جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الإمبراطورية البيزنطية بين عامي 805-856هـ / 1403 - 1453 م

(دراسة سياسية)

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالب

نديم خليل لايقه

إشراف

أ.م.د. غطاس سليمان نعمة

العام الدراسي

2020/2021
1440/ 1441

الإهـداء

إلى من علمني أن الحق كلمة وفعل، وأن العلم نور يحرر الروح من ظلمة الأسر إلى عالم رحيب يستحق الحياة ...

إلى أبي الغالي .

إلى من علّمت قلبي قبل عقلي حقيقة المحبة الصادقة، وأن لا حدود للعطاء، فكان حنانها جنة خصبة، ريانة، أنهارها لا تنضب...

إلى أمي الغالية

أهدي ثمرة جهدي المتواضعة

شـــكر

أتقدم بجزيل شكري، وعميق امتناني، وعرفاني بالجميل إلى أستاذي الفاضل

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الذي شمل هذا البحث بعطفه الفياض، ومنحه من علمه الغزير، وفكره الواسع الكثير، يفتح على الدوام خزائن التاريخ، يصوغ من أحداثها علماً وعبراً وحاضراً يدفق بالحياة.

أشكره على جهده المبذول، ووقته الثمين في سبيل أن يرى هذا البحث النور، بعد أن قوّم منه ما اعوّج، وصوب ما تخلله من أخطاء، فكان القبس المنير يهدي خطوات البحث صوب أضواء ألقة مشعة

الذي قدّمَ لي نصائحه حتى آخر حياته الرحمة لروحه الطاهرة

كما أشكر الدكتور غطاس نعمة على متابعة الإشراف على الأطروحة.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص	**ح**
مقدمة	**1**
الفصل التمهيدي: الأوضاع في الإمبراطورية البيزنطية عقب استعادة السيطرة على القسطنطينية (722هـ-1321م) إلى معركة أنقرة عام (805هـ-1402م):	
أولاً: عواقب الحملة الصليبية الرابعة (600هـ-1204م) على الإمبراطورية البيزنطية:	**19**
1-التفتت السياسي وتردي القوة العسكرية البيزنطية	**19**
2-علاقات الإمبراطورية البيزنطية مع الدول المجاورة لها بعد استعادة القسطنطينية عام 660هـ/1261م	**22**
3-كثرة الحروب الأهلية والتدخلات الخارجية في بيزنطة بين عامي 722-756هـ/1321-1355م	**23**
4-تردي الوضع الاقتصادي والاجتماعي وتأجج مشاعر العداء تجاه اللاتين بين عامي 669-742هـ/1274-1341م	**25**
ثانياً: الأوضاع في الإمبراطورية البيزنطية مع ظهور الخطر العثماني خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي:	**28**
1-نشأة الدولة العثمانية	**29**
2-الأوضاع في منطقة الأناضول بين عامي 726-737هـ/ 1326-1337م	**31**
3- الصراع على العرش البيزنطي ومنعكساته على الجبهة الخارجية بين عامي 755-775هـ/ 1354/1373م	**33**
4- أثر الصراع البيزنطي الداخلي في التدخل العثماني بين عامي 775-783هـ/ 1373-	**36**

1381م	
ثالثاً: منعكسات التوسع العثماني على الإمبراطورية البيزنطية حتى عام 804هـ/ 1402م	**38**
الفصل الأول: السياسة الداخلية في الإمبراطورية البيزنطية بين عامي (805-856هـ/ 1403-1453م:	
أولاً: السياسة الداخلية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الثاني باليولوج (805-827هـ/1403-1425م):	**56**
1-الإمبراطور مانويل الثاني باليولوج (793-827هـ/1391-1425م)	**57**
2- الصراع السياسي الداخلي بين يوحنا السابع والامبراطور مانويل الثاني (806-811هـ/1403-1408م)	**57**
2-الأوضاع السياسية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الثاني	**60**
ثانياً: السياسة الداخلية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور يوحنا الثامن باليولوج (827-850هـ/-1425-1448م):	**63**
1- الإمبراطور يوحنا الثامن باليولوج	**63**
2- الصراع بين يوحنا الثامن وديمتريوس (845-851هـ/1442-1448م)	**64**
3- الأوضاع السياسية داخل الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور يوحنا الثامن	**66**
ثالثاً: السياسة الداخلية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر باليولوج (852- 856هـ/-1449-1453م).	**76**
1- الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر باليولوج.	**76**
2- الصراع بين قسطنطين الحادي عشر وديمتريوس 1448-1453م	**78**
3-الأوضاع السياسية في الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر	**79**
رابعاً: الإمبراطورات البيزنطيات ودورهن في السياسة الداخلية البيزنطية	**86**

الفصل الثاني: السياسة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية 805-856هـ/ 1403- 1453م	
أولاً: علاقة بيزنطة مع الصرب والمجر خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي:	**90**
1-العلاقات البيزنطية الصربية	**91**
2-العلاقات البيزنطية المجرية	**93**
ثانياً: العلاقات البيزنطية مع مدن الدول الإيطالية خلال القرن التاسع الهجري-الخامس عشر الميلادي	**96**
ثالثاً: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والبابوية 805-856هـ/ 1403-1453م:	**101**
1-العلاقات بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية	**101**
2-الصراعات داخل الكنيسة وموقف بيزنطة منها بين عامي 796-817هـ/ 1394-1415م	**102**
3-العلاقات البيزنطية البابوية والمجمع المسكوني في بازل 834-840هـ/1431-1437م	**107**
4-انعقاد مجمع فيرارا-فلورنسا الكنسي 842-843هـ/1438-1439م	**111**
5-موقف رجال الدين داخل القسطنطينية على نتائج المؤتمر	**115**
الفصل الثالث: التوسع العثماني في الأراضي البيزنطية وسقوط القسطنطينية 806-856هـ/1403-1453م:	
أولاً: منعكسات معركة أنقرة وعقد معاهدة غاليبولي مع البيزنطيين عام 806هـ-1403م:	**119**
1-معاهدة غاليبولي	**121**
2-موقف بيزنطة من الحرب الأهلية العثمانية 806-815هـ/1403-1415م	**123**
ثانياً: العلاقات البيزنطية العثمانية بين عامي 815-833هـ/1413-1430م.	**125**
1- حصار القسطنطينية عام 824هـ/1422م	**128**

2- الهجوم العثماني على المورة وعقد الصلح مع البيزنطيين عام 824هـ/1424م	131
3- الصراع للسيطرة على سالونيك والموقف البيزنطي منه عام 833هـ/1430م	132
ثالثاً: العلاقات البيزنطية العثمانية بين عامي (847-852هـ/1444-1448م):	134
1-معركة فارنا (847هـ-1444م)	134
2-معركة كسوفا الثانية (852هـ/ 1448م)	139
رابعاً: الموقف البيزنطي الأوروبي تجاه التوسع العثماني (852-856/1449-1453):	142
1-المواقف السياسية داخل الحكومة العثمانية تجاه البيزنطيين	146
2-رد الفعل العثماني على إجراءات الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الحادي عشر	148
3-حصار القسطنطينية وردود الفعل الأوروبية	151
4-الهجوم الأخير على القسطنطينية وسقوطها عام 856هـ/1453م	154
5-موقف الدول الأوروبية من سقوط القسطنطينية	156
6-منعكسات سقوط القسطنطينية داخلياً وخارجياً	156
الخاتمة	159
الملاحق	164
قائمة المصادر والمراجع	173
الملخص باللغة الإنكليزية	188

ملخص

تعنى هذه الرسالة بدراسة المواقف السياسية التي ظهرت في نصف القرن الأخير من حياة الإمبراطورية البيزنطية رداً على التوسع العثماني العسكري السريع، وهي حالة سادها جو من عدم الاستقرار السياسي والعسكري تميز بالحروب الأهلية والاجتياحات الأجنبية، وبيان ردة فعل شرائح مختلفة في المجتمع البيزنطي على التهديد العثماني، وبينت الدّراسة أنواع الحلول التي سعت إليها الإمبراطورية البيزنطية، والخيارات المتاحة لها بالنسبة للتحالفات الأجنبية.

هذه المشكلات تستحق الاهتمام، حيث تُعد حادثة سقوط القسطنطينية من أهم الأحداث في العصور الوسطى والحديثة على حدٍ سواء فهي خاتمة الأولى وفاتحة الثانية، وقد ترتب عليها تغيير الخريطة السياسية لشرق البحر المتوسط، حيث اختفت الإمبراطورية البيزنطية، وظهرت دولة عثمانية مترامية الأطراف، وإذ كان لهذا السقوط نتائج سياسية ودينية وتجارية بالغة الأهمية، فإن هناك من النتائج ما هو أكثر أهمية حيث ساهمت في تطور النهضة الأوربية وحركة الكشوف الجغرافية لأن سقوط المدينة وغارات العثمانيين السالفة على بيزنطة قد دفع الكثير من العلماء والمثقفين الإغريق إلى الفرار باتجاه الغرب.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين وبعد، لقد شهدت الحقبة الأخيرة من العصور الوسطى استمراراً في الحروب والصراعات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة العثمانية، وفي حقيقة الأمر عرفت الأوضاع السياسية والاقتصادية في الدولتين العديدَ من التطورات المهمة خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وذلك عندما ارتقى عرش الإمبراطورية البيزنطية ميخائيل الثامن "باليولوج" Palaiologosعام(660هـ/ 1261م)، فدافع ببراعة عن الإمبراطورية ضد المسيحيين اللاتين الذين كانوا متلهفين لاستعادة السيطرة على القسطنطينية وإعادة بناء الإمبراطورية اللاتينية. طوال حكم ميخائيل الثامن. استغل العثمانيون الفرصة للتوسُّع في بقية آسيا الصغرى، مع أخذ ما تبقى من الأراضي وذلك خلال بداية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

عانت الإمبراطورية المزيد من الحروب الأهلية خلال حقبة الإمبراطور ميخائيل الثامن وخلفائه من المطالبين المتنافسين على العرش، وعلى الرغم من انتصار وسيطرة سلالة باليولوج في نهاية المطاف وذلك في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، كان الضرر الذي لحق بالإمبراطورية كبيراً، ومن جانب آخر استفاد العثمانيون من الفوضى السياسية البيزنطية لإنشاء موطئ قدم دائم لهم في أوروبا، في غاليبولي Gallipoli .

ومع حلول القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، استطاع العثمانيون تقليص مساحة الإمبراطورية البيزنطية فلم تعد تسيطر إلا على شريط من الأرض على طول البحر الأسود، والمورا Morea، والعاصمة القسطنطينية، وقد حاول الأباطرة البيزنطيون تجنب الاصطدام مع السلطان العثماني في كل فرصة تم إجبارهم فيها على الاحتكاك مع الدولة العثمانية، وكان على ميخائيل الثامن أن يواجه خطر العثمانيين الذين خلفوا السلاجقة بعد انهيار سلطنتهم في آسيا الصغرى، وقد حققوا العديد من الانتصارات على البيزنطيين، ونتيجة لهذا فقدت بيزنطة معظم ممتلكاتها في الجهات الغربية من الأناضول، ولم يبقَ لها سوى بعض المناطق المحيطة بالبوسفور، والدردنيل على طول سواحل بحر مرمرة.

ركزت أغلب الدراسات على فهم الإمبراطورية البيزنطية في أوج قوتها وازدهارها، وذلك عندما كان باستطاعة الأباطرة ردع خصومهم من خلال استخدام موارد الإمبراطورية الهائلة، وحتى بعد استعادة القسطنطينية في عام (660هـ/1261م)، استطاع الأباطرة البيزنطيون مثل ميخائيل الثامن باليولوج Michael VIII Balaeolog استخدام إرث وموارد الدولة لمصلحتها في المفاوضات الدبلوماسية، ومع ذلك فإن الإمبراطورية البيزنطية التي خاضت صراعاً طويلاً امتد أكثر من ألف ومئة عام من أجل البقاء، حيث حاولت الكثير من الشعوب المجاورة غزوها والاستيلاء عليها، ولكنها كانت دائماً تمتلك مقومات البقاء والقدرة على المقاومة، وكان صراعها مع العثمانيين هو الحلقة الأخيرة من حلقات هذا الصراع والذي امتد قرابة قرن من الزمان.

أدى امتداد هذه الحقبة من منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي حتى منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي تقريباً إلى استنفاد عناصر القوة في بيزنطة، فأخذت تعاني من التدهور الاقتصادي والعسكري، وقد انعكس ذلك بوضوح على النواحي الاجتماعية والإدارية.

حيث دخلت الإمبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت في غمار حرب أهلية عقب وفاة الإمبراطور أندرونيكوس الثالث عام (742هـ/1341م)، واشتد الصراع على العرش البيزنطي، ووصل الأمر إلى حد الاستعانة بالعثمانيين أعداء بيزنطة الذين باركوا هذا التفتت، وشرعوا في الاستفادة منه.

إلاّ أنَّ قوة العثمانيين وصلت في ذلك الوقت إلى مرحلة جديدة من السيطرة والنفوذ، واستمرت في التوسع داخل آسيا الصغرى حتى سيطرت على معظم الأملاك البيزنطية في الأناضول، كما استفاد العثمانيون من ضعف بيزنطة ونقلوا ميدان نشاطهم إلى الجانب الأوروبي، وقد توّج ذلك باحتلال مدينة أدرنة **Edirne** البيزنطية (766هـ/1365م)، وتحويلها إلى عاصمة للدولة العثمانية بدلاً من بورصة في آسيا الصغرى.

وقد استغلت دول البلقان هي الأخرى هذه الظروف وأنشأت بدورها ممالك مستقلة، سرعان ما ظهر التنافس والصراع بينها، وتحول إلى صراع ديني مذهبي بين الكنيسة الأرثوذكسية، والكنيسة

اللاتينية، وقد شغلها ذلك عن الالتفات للتوسع العثماني داخل البلقان أو التفكير في التصدي له، حيث أصبحت القوى السياسية المسيحية في شرق أوروبا والبلقان تعيش مرحلة الاحتضار، ولم تعد هناك قوة بإمكانها الوقوف في وجه طموحات العثمانيين، وعندما أدركت بيزنطة حقيقة نوايا العثمانيين اتجهت أنظارها إلى دول غرب أوروبا أو المدن التجارية الإيطالية؛ لحماية ما تبقى لديها من أملاك، وعندما أخفقت في ذلك اتجهت نحو البابوية أملاً في أن تقوم البابوية بدورٍ فعال في توحيد القوى الأوروبية للتصدي للعثمانيين، ولكن كان عليها أن تقدم تنازلات مقابل هذه المساعدة، فَتمَّ الاعتراف بالمذهب اللاتيني وإعلان وحدة الكنائس في مجمع فلورنسا عام (842هـ/1439م)،

وترتب على ذلك انقسام المجتمع البيزنطي على نفسه بين مؤيد ومعارض لهذه الوحدة حيث رفض كل منهما التعاون مع الآخر، في ذلك الوقت انشغلت دول أوروبا بمشاكلها، ولم تقدّر الخطر العثماني وتركت بيزنطة تواجه بمفردها، في حين استمر العثمانيون في الضغط عليها حتى تمكنوا من انتزاع القسطنطينية عام (856هـ/1453م)، ويُعدُّ هذا نقطة تحّولٍ للصراع بين الشرق والغرب طوال حقبة طويلة من العصور الوسطى، وكان ذلك من **دوافع دراسة هذا الموضوع**، بالإضافة إلى أن هذه الحقبة تُعدُّ انتقالية بين العصور الوسطى والعصور الحديثة، فهي خاتمة الأولى وفاتحة الثانية، وعلى الرغم من أهمية هذه الحقبة لم تنل حقها من الدراسات العربية.

فهذه الحقبة لها الأهمية الكبيرة في تاريخ بيزنطة والعثمانيين، وفي تاريخ العالم بأسره، لما ترتب على هذا السقوط من نتائج بالغة الأهمية في النواحي كافة، حيث تغيرت الخريطة السياسية للمنطقة، فظهرت دول، واختفت أخرى، واتسعت حدود دول على حساب دول أخرى، كما كان لدخول العثمانيين القسطنطينية أثره الواضح في نشاط حركة الكشوف الجغرافية من خلال محاولاتهم البحث عن طرق تجارية جديدة للابتعاد عن طرق التجارة التي سيطر العثمانيون عليها عبر الأناضول والبحر الأسود والمضايق، كما كان لهذا السقوط أثره الواضح في ظهور النهضة الأوروبية في إيطاليا. كل هذه العوامل كانت وراء دراسة هذا الموضوع.

أمّا فيما يخص إشكالية الدّراسة:

تمحورت في إزالة الغموض الذي تعاني منه الكثير من الأمور المتعلقة بالواقع السياسي للإمبراطورية البيزنطية أثناء حكم أسرة باليولوج، ومحاولة معرفة ما إذا كان لهذه العلاقات دوّر في إضعاف سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه الغرب اللاتيني، وتتبُّع الروابط بين التصرفات السياسية للأفراد أو الجماعات، وبين المصالح الاجتماعية والاقتصادية، وتوثيق العوامل الاجتماعية، والاقتصادية التي أسهمت في تشكيل المواقف السياسية، وإظهار المواقف المتباينة لسكان بيزنطة في جوٍّ من عدم الاستقرار السياسي والعسكري نتيجة الحروب الأهلية والاجتياح الأجنبي، التي ظهرت عند شرائح مختلفة من المجتمع البيزنطي، والتي سعت من خلال وسائل مختلفة لتأمين مصالحها المفضّلة في مواجهة التوسُّع الدائم للدولة العثمانية، وتفاعلهم مع تهديد العثمانيين، وما هي أنواع الحلول التي سعوا إليها، والخيارات المقابلة التي قدموها فيما يتعلق بالتحالفات الخارجية، وهي مشكلات معقدة تستحق التحقيق الدقيق في حد ذاتها.

كانت الخيارات المتاحة تجاه السياسة الخارجية لبيزنطة ربما محدودة، وكانت إمَّا بالتعاون مع الغرب اللاتيني ضد العثمانيين، أو الخضوع للعثمانيين، أو في رفض كليهما، مع إبقاء بعض العلاقات الخاصة مع العثمانيين عن طريق التجار لتأمين مصالحهم الخاصة، وعن طريق بعض النخب السياسية، هذا ما جعل الدّرَاسة أكثر حيويَّة، وهنا لابدَّ من إبداء المزيد من الاهتمام لأغراض هذه الدَرَاسة حول الارتباطات التي يمكن أن تكون بين أفراد وجماعات محددة بما يتفق مع مبادئهم السياسية، ومصالحهم الاجتماعية والاقتصادية.

أما فيما يتعلق **بموضوع الدّراسة (الإمبراطورية البيزنطية بين عامي (805-856هـ/ 1403-1453م)** فهو من الموضوعات المهمة؛ لأنّه يربط بين العصر الوسيط، والعصر الحديث، والذي أدّى بوقائعه وأحداثه في تغيير مجرى التاريخ العالمي، وتبرز أهمية هذه الدّراسة أيضاً بكونها تدرس جانباً مهماً من يوحناب العلاقة بين الشرق الإسلامي ممثلاً بالدولة العثمانية، والغرب الأوروبي ممثلاً بالإمبراطورية البيزنطية، ونوعية الصراع بين القوتين، كما تظهر أهمية هذا

الموضوع في كونه يتناول حقبة تاريخية مهمة، وهذا الموضوع يعدُّ استكمالاً للموضوعات التي عرضت من قبل في تاريخ العلاقة بين العثمانيين والبيزنطيين.

أما المنهج المتَّبع في هذه الدّراسة فهو المنهج الاستقرائي- السردي، كما اتبع منهج التسلسل الزمني في كل فصل من الفصول حسب تتابع حكم الأباطرة، وسيتم السعي من خلاله إلى دراسة طبيعة العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدول المحيطة بها في الحقبة المستهدفة من هذا البحث، ومعرفة الآثار والنتائج المترتبة عن هذه العلاقات على كل الأطراف.

أمّا الصعوبات التي واجهت البحث أثناء إنجاز هذه الأطروحة بالرغم من توافر المصادر والمراجع لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية، باللغة العربية والمترجمة إليها.

إلاّ أنّه كان يعيبها قلة المعلومات الخاصة بحقبة الدراسة، فهي كانت تتحدث بشكل عام عن الإمبراطورية البيزنطية، ومع ذلك هناك العديد من المؤرخين الذين درسوا الإمبراطورية البيزنطية، والعلاقات السياسية للحكومة البيزنطية مع الدول الأجنبية خلال الحقبة المدروسة، تَمَّ تقديم الكثير من الأعمال حتى الآن عن المواقف السياسية للشعب البيزنطي نفسه، وقد ظهرت بعض الدراسات المتخصصة في العقود الأخيرة التي تعالج مختلف يوحناب العلاقات البيزنطية مع الأتراك العثمانيين والغرب الأوروبي، مع الأخذ بالاهتمام التفضيلات السياسية للأفراد أو المجموعات الاجتماعية، لكن نطاق هذه الأعمال كان محدوداً زمنياً، أو جغرافياً أيضاً.

أمّا فيما يخص خطة البحث فقد تَمَّ تقسيم الأطروحة إلى مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول، وخاتمة، يتضمن الفصل التمهيدي وعنوانه: **(الأوضاع في الإمبراطورية البيزنطية عقب استعادة السيطرة على القسطنطينية إلى معركة أنقرة عام (660-805هـ/ 1261-1402م)**، والذي يتحدث عن عواقب الحملة الصليبية الرابعة على الإمبراطورية البيزنطية، والتي نتج عنها تفتت سياسي وتردي القوة العسكرية البيزنطية، وكثرة الحروب الأهلية والتدخلات الخارجية في الأراضي البيزنطية، وهذا بدوره أدّى إلى تردِّي الوضع الاقتصادي والاجتماعي، وتأجيج مشاعر العِداء تجاه اللاتين، ويعرض لمحة عن الدولة العثمانية، أمّا الفصل الأول فعنوانه **(السياسة الداخلية في الإمبراطورية البيزنطية (806-856هـ/ 1403-1453م)**، يتحدث عن السياسة

الداخلية التي اتَبعها الأباطرة الثلاث الذين تولوا العرش في الإمبراطورية البيزنطية في حقبة الدّراسة وهم مانويل الثاني باليولوج (793-827هـ/1391-1425م) والسياسة التي اتبعها في إدارة شؤون الإمبراطورية، والإمبراطور يوحنا الثامن باليولوج (827-851هـ/1425-1448م)، وسياسة الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر باليولوج (852-856هـ/1449-1453م)، كما يتحدث الفصل الأول عن دور الإمبراطورات البيزنطيات في السياسة الداخلية للإمبراطورية البيزنطية سواءً كانوا زوجات للإمبراطور أو أمهاتهم.

ويتناول الفصل الثاني وعنوانه **(السياسة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية 806-856هـ/1403-1453م)**، دراسة العلاقات الخارجية للإمبراطورية البيزنطية مع دول البلقان، والإمارات الإيطالية، والبابوية، ويدرس العلاقات بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية، والصراعات داخل الكنيسة البابوية، وانعقاد كل من مجمع بازل وفيرارا، كما تضمن رد فعل الكنائس الشرقية على نتائج مؤتمر فيرارا.

أما الفصل الثاني فهو بعنوان **(سياسة الإمبراطورية البيزنطة الخارجية تجاه الدولة العثمانية 806-856هـ/1403-1453م)** متناولاً نتائج معركة أنقرة، وعقد معاهدة غاليبولي واندلاع الحرب الأهلية العثمانية، وموقف بيزنطة منها، بالإضافة إلى حصار العثمانيين للقسطنطينية 824هـ/1422م، ويتناول الحديث عن معركة فارنا 847هـ/1444م، ومعركة كسوفا الثانية851هـ/1448م، كما يتضمن الحديث عن العلاقات البيزنطية الغربية نهاية القرن الرابع عشر والنصف الأول من القرن الخامس عشر للميلاد، وعن وصول قسطنطين الحادي عشر إلى الحكم وسياسته مع العثمانيين، والمواقف السياسية بين الحكومتين، والإجراءات التي اتخذها الإمبراطور البيزنطي بعد فشل السفارات مع العثمانيين، والرد العثماني على تلك الإجراءات، ورد الفعل الأوربي على الحصار العثماني للقسطنطينية، وحالة الانقسام داخل مدينة القسطنطينية خلال الحصار، والهجوم الأخير على القسطنطينية وسقوطها، وموقف الدول الأوربية من ذلك السقوط القسطنطينية، ومنعكسات سقوط القسطنطينية الداخلية والخارجية.

لابُدَّ للباحث في نهاية أي بحث علمي أن يذكر النتائج التي تَمَّ التوصل إليها من الدّراسة الطويلة، ففي خاتمة هذا البحث تمت الإشارة إلى الهدف والمقصد الذي سعى إليهما هذا البحث، ووضع للبحث قائمة بالمصادر والمراجع المستخدمة.

وفي الختام أشكر أساتذتي الكرام الذين كان لتعاليمهم وإرشاداتهم السمحاء الدور الكبير الذي أخرج البحث إلى النور.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذي المرحوم الدكتور سهيل زكار الذي كان لي عوناً ومعيناً وموجهاً، وأيضاً أتقدم بالشكر لكل من قدم لي العون والنصح والمشورة في هذا البحث وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبالشكر تدوم النعم والحمد لله رب العالمين.

دراسة المصادر التي اعتمدت عليها الأطروحة:

أ. المصادر البيزنطية:

تم الاعتماد في كتابة البحث على كتاب المؤرخ البيزنطي المعاصر

1- يوحنا كانانوس John Cananus

/Morto De Constantinople Anno 842هـ/ 1439م: [1]

كان يوحنا كانانوس مؤرخاً بيزنطياً عاش خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، كتب "رواية شاهد عيان حية" عن حصار القسطنطينية جمع بين سرد للحصار العثماني الفاشل للقسطنطينية بقيادة مراد الثاني عام (825هـ1422م)، مع مدح السيدة مريم العذراء التي ينسب لها المؤلف الفضل في خلاص المدينة من الحصار.

يبدأ حساب كانانوس بوصف كيف دمر الجيش العثماني المنطقة المحيطة بالمدينة، ثم يناقش كيف بدأ العثمانيون تحت قيادة السلطان مراد الثاني وأحد جنرالاته الاستعدادات للهجوم على الجدران واستخدامهم مجموعة متنوعة من أسلحة الحصار، ويرافقهم رجل دين مقدس تنبأ بسقوط المدينة، وكتب كانونوس أن المدافعين كانوا يائسين في البداية، وعددهم أقل من المهاجمين،

[1]Cananus, John, De Constantinople Anno 1422 Oppugnata Narratio, CSH, ed. Boon, 1838, ،pp. 457- 479.

ويفتقرون إلى القيادة الحكيمة، ويصف بشكل واضح الهجوم المباشر على الجدران، وكيف شاركت شريحة كبيرة من سكان المدينة – بما فيهم النساء والرهبان – في المعركة ، ونجاح المدافعين على الرغم من الصعاب، وعزا كانانوس الانتصار إلى المساعدة الإلهية في شكل السيدة مريم العذراء الذي أدى ظهورها على أسوار المدينة إلى فرار الجيش التركي. توفي سنة (843هـ/ 1439م) ولم تذكر المصادر التاريخية سنة ميلاده.

2- ميخائيل دوكاس : Doukas Michael

Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks (1462-1400/ 866-802)[2].

شهد الأحداث منذ تولي الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني(793-828هـ /1391 – 1425م) والسلطان مراد الثاني(824 – 848هـ /1421 – 1444م)، ومدة الحكم الثانية (849 – 855هـ/1446-1451م) حتى سقوط القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح.

ويكتسب هذا الكتاب أهميته لأنه يؤرخ للعلاقات البيزنطية العثمانية منذ ما قبل القرن الخامس عشر الميلادي وحتى نهاية الإمبراطورية البيزنطية.

وحول موضوع البحث، ناقش دوكاس حصار مدينة القسطنطينية (826هـ/1422م)، ثم وفاة الإمبراطور مانويل الثاني، وتولي يوحنا الثامن (829هـ/1425م)، وذكر معاهدة السلام بين الإمبراطور يوحنا، والسلطان مراد الثاني، كما أشار دوكاس إلى الغزو العثماني لمدينة سالونيك Thessaloniki (834هـ/1430م)، وحملات مراد الثاني على الصرب والمجر، وأيضاً رحلة الإمبراطور يوحنا الثامن إلى مجمع فيرارا Ferarra عام (841هـ/1437م) في إيطاليا وانتقال المجتمعين إلى مدينة فلورنسا (842هـ/1438م)، الذي كان يهدف إلى تأسيس اتحاد كنسي بين كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية و الكنيسة الكاثوليكية في روما.

وأشار إلى الفشل العسكري الذي مُنيت به القوى الأوربية في معركة فارنا 848هـ/ 1444م، وكسوفا الثانية (852هـ/1448م)، وبقية الأحداث حتى سقوط القسطنطينية (856هـ/1453م)

[2] Doukas, M. Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks. Trans. by, Magoulias, H, Detroit, 1975. P.50-275.

3- جورج سفرانتس: Sphrantzes, George/ : The Fall of Byzantine Empire [1] (803-882هـ/ 1400-1477م):

مؤرخاً بيزنطياً ولد في القسطنطينية عام (803هـ/ 1400م) أثناء الحصار العثماني للمدينة، كان مساعداً للإمبراطور البيزنطي عام (820هـ/ 1418م) مانويل الثاني باليولوج Manuel II Palaeolog (793-828هـ/ 1391-1425م)، واكتسب ثقته عبر سفره في عدة سفارات إلى السلطان العثماني مراد الثاني Murad II (828-836هـ/1424-1432م)، وبعد وفاة مانويل عمل في خدمة الإمبراطور يوحنا الثامن باليولوج John VIII Palaeolog (828-851هـ/ 1425-1448م)، ومن ثم أصبح مساعداً لقسطنطين Constantine وغادر معه في (26 رمضان 830هـ/ 26 أيلول عام 1427م) عندما تم تعيين قسطنطين حاكماً على الموره، وقام قسطنطين بتعيينه حاكماً على باتراس Patras عام (838هـ/1429م)، كما عين حاكماً على ميستراس Mystras عام (849هـ/ 1446م)، وخلال حياته أرسل بسفارة إلى جورجيا Georgia وإمبراطورية طرابزون Trabzon بحثاً عن زوجة لقسطنطين، كما تناول سفرانتز الحديث عن حصار القسطنطينية (826هـ/1422م)، وقتل السلطان مراد الثاني لأخيه مصطفى، بالإضافة إلى الحديث عن اقتحام شبه جزيرة الموره، وهدم جدار حصن الهيكساملیون Hexamillion (827هـ/1423م)، كما أشار إلى وفاة الإمبراطور مانويل الثاني وتولي ابنه الإمبراطور يوحنا الثامن العرش البيزنطي، وحضوره مجمعي فيرارا وفلورنسا Ferrara and Florence (841-842هـ/1437-1438م)، وكان شاهداً على سقوط القسطنطينية عام (856هـ/ 1453م)، حيث وقع في قبضة العثمانيين إلا أنه تمكن من فداء نفسه في (18 شعبان 856هـ/ 1 أيلول عام 1453م) حيث شق طريقه إلى ميستراس ثم انتقل بعد سقوط الموره عام (858هـ/ 1454م) إلى البيلوبونيز Peloponnese عام (864هـ/ 1460م) حيث استقر في دير تارشانيوتس Tarchaneioten في كورفو Corfu حيث وافته المنية عام 882هـ/1478م، وتغطي حولية سفرانتس الحقبة من (803-881هـ/1401-1477م)، وهي حافلة بالأخبار التي أدت إلى سقوط القسطنطينية وما تلاها من كوارث.

---

[1] Sphrantzes, G, The Fall of Byzantine Empire, A chronicle by George Sphrantzes (1401-1477) Trans. by, M, Philippides, Amherest, 1980. P. 27-192.

4- يوحنا أناجنوستس John Anagnostes [1] Thessalonicensi:

كان اليوناني مؤرخ القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي مواطن من مدينة سالونيك مغرم بشكل خاص بالبنادقة الذين حكموا مدينته خلال الأعوام (826-833هـ/1423-1430م)، كان شاهدَ عيان على الحصار العثماني لمدينة سالونيك في 29 آذار عام (833هـ/1430م) ؛ وصف بالتفصيل الحصار في كتاباته، وتم الاستفادة منه حول سقوط سالونيك بيد العثمانيين عام (789هـ/1387م)، واستعادتها من قبل الإمبراطورية البيزنطية في أعقاب معركة أنقرة عام (804هـ/1402م)، وحول بيعها للبندقية عام (826هـ/1423م) بعد أن ضعفت الإمبراطورية وأصبحت عاجزة عن تأمين احتياجات المدينة مما أدخل البندقية في صراع مع العثمانيين حتى 29 آذار عام (833هـ/1430م)، حيث سقطت بيد السلطان العثماني مراد الثاني، ويبدو أنَّ أناجنوستس شارك رأي من رغبوا في الاستسلام لقوات مراد الثاني دون المقاومة خلال غزو المدينة خوفاً من الدمار الذي سيلحق بها، وقد سقط أسيراً بيد العثمانيين، ولكن بعد ذلك بقليل استعاد حريته مع آخرين كُثر بالأموال التي كان قدمها الحاكم الصربي جورج برانكوفيتش Brankovi George، بعد ذلك عاد المؤلف إلى المدينة التي احتلها العثمانيون، على الرغم من حزنه لذلك، وفي وقت لاحق ما بين عامي (835-836هـ/1432-1433م)، بدأ مراد الثاني إنشاء مجموعة من السياسات الجديدة، بما في ذلك مصادرة المباني الدينية والعلمانية، التي تؤذي مصالح المجتمع اليوناني في سالونيك Thessaloniki، وقد تَمَّ الاعتماد عليه وأفاد البحث بشكل كبير في فصول هذه الأطروحة.

ب. المصادر اللاتينية:

1- بيدرو طافور Pero Tafur [2] رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي: 812- 888هـ/1410 – 1484م:

كان بيدرو طافور (813-877هـ/1410 – 1484م) مسافراً ومؤرخاً وكاتباً من قشتالة (إسبانيا الحديثة)، ولد في قرطبة، سافر طافور عبر ثلاث قارات خلال السنوات (840

---

[1] Anagnostes, Thessalonicensi: John Anagnostes, De Extremo Thessalonicensi Excidio Narratio, CSH, ed, Boon, 1838. P. 450-510.

[2] طافور، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، تر: حسن حبشي، القاهرة، ط1، مج1، عام 2002 م، ص138-186.

إلى843هـ/1436 إلى 1439م)، وخلال الرحلة شارك في معارك مختلفة، وزار الأضرحة، وقدم خدمات دبلوماسية ليوحنا الثاني Juan II (1406-1454م) ملك قشتالة، وزار الساحل المغربي، وجنوب فرنسا، والأراضي المقدسة، ومصر، وجزر رودس، وقبرص، وتينيدوس Tenedos، كما زار طرابزون، والقسطنطينية، وشبه جزيرة سيناء، تمت الاستفادة من بعض الإشارات التي أوردها الرحالة الإسباني في رحلته للأراضي الخاضعة للعثمانيين، وإلى مدينة القسطنطينية خلال الأعوام (841-842هـ/1437-1438م) الذي تحدث عن تجار جنوه الموجودين في مدينة غلطة وعلاقاتهم بالعثمانيين، كما أشار إلى النشاط التجاري للعثمانيين داخل القسطنطينية.

2- نيقولو باربارو Niccol Barbaro (822-899هـ/1420-1494م)[1]:

هناك القليل من المعلومات حول باربارو كان جراحاً وعضواً في إحدى العائلات الأرستقراطية في البندقية تعتبر مذكراته واحدة من أكثر روايات شهود العيان تفصيلاً ودقة عن حصار وسقوط القسطنطينية في القرن الخامس عشر، ويرجع ذلك أساساً إلى السرد المقنع الذي يتبع أحداث الحصار يوميا، ومع ذلك بصفته من البندقية ، كان باربارو يحمل معتقدات قوية مناهضة لجنوه خاصة ضد مستعمرة جنوه البيرا، حيث أشار إلى أنهم كانوا يتواطؤون مع العثمانيين أثناء الحصار كما يشير أن جيوفاني جوستينياني ، القائد من جنوه المتمركز عند الجدار الأوسط أضعف جزء من جدران القسطنطينية، تخلى عن منصبه، وأدى ذلك إلى سقوط المدينة عندما قرر التخلي عن منصبه، وهرب إلى سفينته، وكان الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الحادي عشر قد جعل جوستينياني قائداً لقواته، وبينما كان يهم بالهرب عبر المدينة بدأ أتباعه يصرخون "لقد دخل الأتراك المدينة" لكن الاتراك لم يكونوا في الداخل بعد "،تم الاستفادة من كتابه الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني 1453م من خلال تقديمه سرداً زمنياً متيناً يعرض أحداث حصار القسطنطينية يوماً بعد يوم.

---

[1] باربارو، نيقولو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني 1453م، تر: حاتم عبد الرحمن الطحاوي، ط1، القاهرة، عام 2002م، ص33.

3- الفارس البرجندي برتراند دي لابروكيه Bertrand de la Proquiere، The travels of Bertrand de la Proquiere[1]:

زار العاصمة العثمانية أدرنة في عهد السلطان مراد الثاني، وتحدث عن شهرتها التجارية الواسعة (836 هـ -1432م). كما تحدث أيضاً عن النشاط التجاري في مدينة بورصا أيضاً، و قام بزيارة العاصمة البيزنطية في (837 هـ - 1433م) أيضاً ولفت نظره وجود جالية عثمانية تجارية كبيرة فيها، تحت رئاسة موظف عثماني بعيداً عن سيطرة الإمبراطور البيزنطي الذي كان مجبراً بحكم اتفاقه مع السلطان مراد الثاني بأن يعيد أي أسير يهرب من العثمانيين إليهم ثانية.

كما تناول الفارس برتراند إرغام السلطان مراد الثاني للإمبراطور البيزنطي على دفع ضريبة سنوية تبلغ عشرة آلاف دوكات بندقي، كما أشار إلى وجود جالية تجارية لاتينية معظمهم من التجار الجنوية الإيطاليين في منطقة بيرا (غلطه) في القسطنطينية (837 هـ - 1433م)، وتحدث عن اقامتهم علاقات تجارية جيدة مع التجار العثمانيين في المدن الأخرى، كما أشار أيضاً إلى مجمع فلورنسا الذى أقر الاتحاد الكنسي بين القسطنطينية وروما، ولم يغفل عن الإشارة إلى تحول سكان مدينة سالونيك من المسيحية إلى الإسلام بعيد الفتح العثماني لها.

4- **اعتمد البحث على وثائق مدينة البندقية المتعلقة بمدينة سالونيك[2]** حتى نجاح السلطان مراد الثاني في غزو المدينة (834 هـ -1430م)، كما تحدثت الوثائق أيضاً عن مساندة بيزنطة في تمرد مصطفى أخ السلطان مراد الثاني عليه، ونجاح الأخير في القضاء عليه، كما تحدثت وثائق البندقية كثيراً عن حصار العثمانيين لسالونيك، وكيفية الدفاع عنها بتفصيل كبير.

---

(1) Bertrand de la Proquiere, A.D. 1432, 1433, " The travels of Bertrand de la Proquiere", in , Early Travels in Palestine, by Thomas Wright, London,1848. Pp.9-167.

(2) Melville- Jones, J,R (ed.)" Venice and Thessalonica 1423- 1430": The Venetian Documents, Padova, 2002, p. 29.

ج. المصادر الصربية:

- قسطنطين ميخائيلوفيتشMikhalović Constantine[1]

أحد الجنود الصرب الذين سقطوا في أسر العثمانيين على عهد السلطان محمد الفاتح، والذي أشار إلى تولي السلطان مراد الثاني الحكم في مدينة أدرنة، وعقده هدنة مع الإمبراطور ستيفن وزواجه من ماريا ابنة برانكوفيتش ثم هجمات العثمانيين على صربيا وحصار قلعة سميديروفا، ومقاومة الملك فلاديسلاف للغزو العثماني، ثم تنازل السلطان مراد الثاني عن الحكم لابنه محمد، وعودته بعد ذلك نتيجة للثورة التي قام بها الجنود الانكشارية، ثم تحدث عن انتصار السلطان العثماني على القوى المسيحية في موقعة فارنا(848 هـ -1444م)، وقوصوه الثانية (852 هـ - 1448م).

د. المصادر العربية:

1- المقريزي(تقى الدين أحمد بن على المقريزي)، السلوك لمعرفة دول الملوك، (764-845 هـ/ 1364م - 1442م)[2]:

المؤرخ تقي الدين أحمد أبو محمد وأبو العباس بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي الشافعي الأثري، من أعلام التاريخ، سار شوطاً بعيداً في حدود الفكر والعقل. وبحث في أصول البشر وأصول الديانات، وكانت له دراية بمذاهب أهل الكتاب، كان حسن الخلق، كريم العهد، كثير التواضع، عالي الهمة فيمن يقصده لنيل العلم والدراسة، ولد المقريزي حسبما يذكر هو عن نفسه بعد سنة 760 هـ وابن حجر يقول إن مولده كان في سنة 766 هـ، شغل المقريزي العديد من وظائف الدولة في عصره، حيث ولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة عدة مرات، ثم عمل مع الملك الظاهر برقوق ودخل دمشق مع ولده الناصر سنة 810 هـ/ 1407م، وعُرض على المقريزي قضاؤها فأبى، ثم عاد فيما بعد إلى مصر، واستحق كتاب المقريزي (السلوك لمعرفة دول الملوك)

---

[1] Michałowicz, Konstanty. Memoirs of a Janissary, trans. by Benjamin Stolz, Historical commentary and notes by szat soucek, University of Michigan, 1975. Pp. 159-232.

[2] المقريزي،(ت: 845 هـ/ 1442م)، تقي الدين أحمد بن على المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2/4، تح: سعيد عبدالفتاح عاشور، الطبعة الثانية، 2007م، ص 776

المكانة الأولى بين كتب التاريخ في عصره، وتمت الاستفادة من كتابه في الفصل الثالث عند الحديث عن حصار القسطنطينية عام (824هـ/ 1422م)، والادوات التي استخدمها العثمانيون أثناء حصار القسطنطينية.

2- ابن حجر العسقلاني(شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي)، أنباء الغمر بأنباء العمر ج2+3، (773-852هـ/1371-1449م)[1]:

شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن أحمد الكناني العسقلاني مُحدِّث وعالم مسلم، شافعي المذهب، لُقب بعدة ألقاب منها شيخ الإسلام وأمير المؤمنين في الحديث، أصله من مدينة عسقلان، ولد الحافظ ابن حجر العسقلاني في شهر شعبان سنة 773 هـ في الفسطاط، توفي والده وهو صغير، فتربّى في حضانة أحد أوصياء أبيه، ودرس العلم، وتولّى التدريس، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على علم الحديث، ورحل داخل مصر وإلى اليمن والحجاز والشام، وقد تنوعت مصنفاته، فصنف في علوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه، والتاريخ، وغير ذلك.

قضى الحافظ ابن حجر حياته كلها في طلب العلم وقام بالعديد من الرحلات العلمية في ديار الإسلام ليحصل مقاصد الرحلة في طلب الحديث والفوائد المرجوة منها، وهذه الرحلات منها رحلات داخل مصر ومنها رحلات خارجها شملت بلاد الحجاز، واليمن، والشام وغيرها.

3- ابن عربشاه، أبى العباس شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي، ت: (854هـ/1450م)، عجائب المقدور في نوائب تيمور[2].

أديب ومؤرخ ورحالة مسلم، رحل في عدد من البلاد الإسلامية، وعُرف ببراعته في الكتابة والنظم بالعربية والفارسية والتركية، تَمَّ الاعتماد على كتابه (عجائب المقدور) في الفصل الأول في الحديث عن معركة أنقرة عام (1402/805م) وهزيمة السلطان بايزيد الأول ووقوعه في أسر تيمورلنك، وتفرق الجنود العثمانيين بين قتيل وجريح وأسير.

---

[1] ابن حجر العسقلاني، (شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي)، أنباء الغمر بأنباء العمر، تح: حسن حبشي، ج3،القاهرة، عام 1972م، ص133-227.

[2] ابن عربشاه، عجائب المقدور في نوائب تيمور، تح: أحمد فايز الحمصي، بيروت ، 1986 م، ص135-136.

4- ابن تغرى بردى أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (812-874هـ/ 1409-1469م)[1]:

علم من أعلام المؤرخين المصريين في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وكتاباته التاريخية سواء في التراجم، أو في عرض الأحداث العائدة لذلك العصر، تُعدُّ مرجعاً أساساً لا غنى عنه لكل باحث أو دارس لتلك الحقبة الهامة من التاريخ.

وتكتسب كتاباته أهميتها من عدة عناصر، لعلّ أهمها معرفته الواسعة بأحوال عصره، واطّلاعه الدقيق على مجريات الأحداث وملابساتها، هذا إلى جانب تمتعه بقسط وافر من الحيادية والموضوعية، وحُسن التناول، وسلاسة العبارة، وتنظيم المادة التاريخية.

وتَمَّ الاعتماد عليه في الحديث عن معركة أنقرة وعدد قوات العثمانيين، وأسر السلطان العثماني بايزيد الأول على يد تيمورلنك.

5- السخاوي(شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج10، (831-902هـ/ 1428-1497م)[2]:

شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي –نسبة إلى سخا شمال مصر، مؤرخ كبير وعالم حديث وتفسير وأدب شهير من أعلام مؤرخي عصر المماليك.

ولد وعاش في القاهرة، ومات بالمدينة المنورة سافر في البلدان سفراً طويلاً وصنف أكثر من مائتي كتاب أشهرها الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع.

وتَمَّ الاعتماد عليه عند الحديث عن وفاة السلطان العثماني مراد الثاني عام 1451م، وخلفه ابنه محمد الثاني، والارتياح العام الذي شعرت به عموم أوروبا على أثر انتشار هذا النبأ.

---

[1] بردي، ابن تغري، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت: 874هـ/1469م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ12، تحـ: جمال الدين الشيال، القاهرة، عام 1972م، ص 269.

[2] السخاوي، (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج10، بيروت، دار الجيل، عام1992م، ص147.

6- ابن إياس(زين العابدين محمد بن أحمد)، بدائع الزهور في وقائع الدهور ج2/1، (852-930هـ/ 1448-1523م)[1]:

زين العابدين محمد بن أحمد المعروف بـ بن إياس الحنفي ويكنى بـ " أبو البركات هو مؤرخ مصري ولد في القاهرة سنة 852هـ/ 1448م وتوفي بها سنة 930 هـ/ 1523م يعد من أشهر وأهم المؤرخين الذين أرّخوا للعصر المملوكي ولاسيما في الفترة الأخيرة منه.

عالم ومؤرخ مصري من المماليك، ألّف في التاريخ والجغرافيا ونظم الشعر، وشهد الفتح العثماني. يعد كتابه " بدائع الزهور في وقائع الدهور " من أهم المصادر عن تلك الحقبة.

امتاز تدوينه للوقائع التاريخية عن غيره من المؤرخين بالنزاهة، والموضوعية، وإثبات الحقيقة دون مُحاباة أو تحيّز لاستخلاص العبر من مجريات التاريخ، ومما ساعد المؤرخ الكبير ابن إياس على التفرّغ لتدوين الحوادث التاريخية بموضوعية وحرية أنه كان يعتاش من إقطاع ممنوح له.

وتَمَّ الاعتماد عليه في الحديث عن معركة أنقرة وعدد قوات العثمانيين، وإيضاح العلاقة بين العثمانيين والمماليك أثناء المعركة، ووقوع السلطان العثماني بايزيد الأول على يد تيمورلنك في الأسر وتشتت قواته.

هـ.المصادر العثمانية:

1- طورسون بك Tursun Bey تاريخ أبي الفتح[2]:

كان مؤرخاً عثمانياً كتب تأريخاً مخصصاً لمحمد الثاني عمل في الديوان الإمبراطوري ورافق محمد الثاني خلال حصار القسطنطينية عام (856هـ/1453م) الذي أدى إلى سقوط القسطنطينية، تناول في مؤلفه الأحداث التي عاشها بنفسه، ويتضمن تاريخ العثمانيين على مدى 46عاماً من (846-894هـ/ 1442-1488م)، ويتضح من عنوان الكتاب أنه يتناول غزوات السلطان محمد

---

[1] ابن اياس، (محمد أحمد بن اياس)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، عام1984م، ص390-660.

[2] Tursun Bey. The History of Mehmed the Conqueror (Minneapolis and Chicago, 1978), p. 32.

الفاتح، غير أنه يبدأ تأريخه للأحداث لتسع سنوات من عصر السلطان مراد الثاني، وأشار إلى بعض الأحداث التي جرت في عصره.

الفصل التمهيدي:

الأوضاع في الإمبراطورية البيزنطية عقب استعادة السيطرة على القسطنطينية إلى معركة أنقرة عام (660هـ-805هـ/ 1261م-1402م):

أولاً: عواقب الحملة الصليبية الرابعة على الإمبراطورية البيزنطية:

1--التفتت السياسي وتردي القوة العسكرية البيزنطية.

2-علاقات الإمبراطورية البيزنطية مع الدول المجاورة لها بعد استعادة القسطنطينية عام 660هـ/1261م.

3-كثرة الحروب الأهلية والتدخلات الخارجية في بيزنطة بين عامي 722-756هـ/1321-1355م.

4-تردي الوضع الاقتصادي والاجتماعي وتأجج مشاعر العداء تجاه اللاتين بين عامي 669-742هـ/1274-1341م.

ثانياً: الأوضاع في الإمبراطورية البيزنطية مع ظهور الخطر العثماني خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي:

1-نشأة الدولة العثمانية.

2-الأوضاع في منطقة الأناضول بين عامي 726-737هـ/ 1326-1337م.

3- الصراع على العرش البيزنطي ومنعكساته على الجبهة الخارجية بين عامي 755-775هـ/ 1354/1373م.

4- أثر الصراع البيزنطي الداخلي في التدخل العثماني بين عامي 775-783هـ/ 1373-1381م.

ثالثاً: منعكسات التوسع العثماني على الإمبراطورية البيزنطية حتى عام 804هـ/ 1402م.

أولاً: عواقب الحملة الصليبية الرابعة على الإمبراطورية البيزنطية بعد عام 660هـ/ 1261م:

شهدت منطقة الأناضول[1] منذ القرن الثالث عشر الميلادي تفتت سياسي وصراع عسكري بين السلاجقة والبيزنطيين انتهى بانتصار السلاجقة في معركة ملاذكرد عام 1071م[2]، أدى إلى تفكك منطقة الأناضول سياسياً، وظهور دويلات وقوة جديدة منها إمارة آل عثمان التي نمت لتصبح دولة قوية تهدد الإمبراطورية البيزنطية[3]، ومع استرجاع البيزنطيين بيزنطة عام 1261م بقيادة أسرة باليولوج Palaiologan، كانت الإمبراطورية البيزنطية تعاني من التفتت السياسي، وتقطيع أوصال وحدتها، وتقسيمها إلى عدد من الولايات اللاتينية واليونانية، ومع نهاية تلك الحملة الصليبية ازدادت النزعات اللامركزية والانفصالية الموجودة داخل الإمبراطورية، وتحولت إلى نمط ثابت في الإمبراطورية البيزنطية المسترجعة[4]، **و**على الرغم من استعادة ميخائيل الثامن باليولوج عام 659هـ/ 1261م السيطرة على القسطنطينية إلاّ أنَّ الإمبراطورية عادت إلى الوجود لكنها كانت ضعيفة مفتتة، وهي السمة المميزة لحقبة أسرة باليولوج.

1-التفتت السياسي وتردي القوة العسكرية البيزنطية:

مع نهاية الحملة الصليبية الرابعة600هـ/ 1204م تَمَّ تقسيم الإمبراطورية البيزنطية إلى عدد من الولايات اللاتينية واليونانية، فلم تكن قادرة على إعادة تنظيمها الإداري إلى سالف عهدها، كما استمرت مطامع شارل كونت انجو حاكم مملكة الصقليتين[5] الذي كان يطمح لاستعادة السيطرة

---

(1) الأناضول، تقع غرب قارة آسيا على ضفاف البحر المتوسط. وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، مج1، ط3، دار المعرفة، بيروت، عام1993م، ص377.

(2) ملاذكرد، تقع بين أخلاط وبلاد الروم في شمال بحيرة وان. أبو النصر، محمد عبد العظيم، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ط1، عين للدراسات، مصر، عام 2001م، ص85.

(3) الراوندي، محمد بن علي بن سليمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، تر: إبراهيم الشورابي، القاهرة، عام1960م، ص145.

(4) Vasiliev, A, History of Byzantine Empire, Vol. 2, Madison, 1971, p. 270.

(5) الصقليتين: هما (صقلية ونابولي)، كانت تجمعهما مملكة واحدة بهذا الاسم. رنسيمان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، عام 1997م، ص59.

على القسطنطينية وإحياء الإمبراطورية اللاتينية، كما أنَّ الدولة البيزنطية التي تشكلت في طرابيزون Trabzon[1] استمرت بعدائها للدولة البيزنطية في القسطنطينية، وذلك حتى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، يُضاف إليها بقايا الممالك اللاتينية مثل دولة أبيروس Epirus[2]، ونيقية Nicaea [3]، عدا عن ما ورثته كل من البندقية وجنوه من جزر الأرخبيل اليوناني، وكانت البندقية تطمح أيضاً لتشكيل حملة صليبية جديدة ضد الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن لكن طموحها في ذلك خاب، فقد تمكن ميخائيل الثامن من استعادة العرش البيزنطي وطرد اللاتين من القسطنطينية[4].

وعلى الرغم من ذلك لم يتمكن من إصلاح التدهور الذي خلفوه ورائهم، حيث ظهرت داخل بيزنطة مشكلة الإقطاع والعصيان الداخلي وتنافس الأمراء حول العرش، إضافة إلى مشاكلها الخارجية المتمثلة في صراعها مع دول البلقان التي أرادت الاستقلال عنها بعد ما حل بها من ضعف[5]، وكانت الإمبراطورية البيزنطية تضم كل من نيقية في آسيا الصغرى والقسطنطينية وتراقيا وتراقيا وأجزاء من مقدونية وبعض جزر الأرخبيل، ما نتج عنه تعدد المراكز التي يمكن اتخاذ قرارات السياسة الخارجية فيها بشكل مستقل عن قرارات الحكومة المركزية في القسطنطينية، وأحياناً

---

(1) طرابزون: كانت تابعة لقياصرة القسطنطينية يتولى شؤونها حاكم يعين من قبل بيزنطة يلقب دوق حتى استولى اللاتين على القسطنطينية عشية الحملة الصليبية الرابعة عام 1204م، وقد أدى سقوط القسطنطينية= =إلى ظهور ثلاث قوى يونانية على مسرح الأحداث تهدف كل منها إلى استرداد القسطنطينية من اللاتين، وتمثلت هذه القوى في أبيروس Epiros، نيقيه Nicaea ثم طرابيزون.

Hammer. J, Histoire de L'Empire Ottoman, Paris, 1830. P.78.

(2) ابيروس Epirus: تقع غرب اليونان في منطقة جبلية، وهي أحد الدول اليونانية المستقلة التي نشأت بعد سقوط القسطنطينية عام 1204م.

Hammer, Histoire de L'Empire Ottoman, P.716

(3) نيقية Nicaea: هي مدينة يونانية قديمة في آسيا الصغرى، إلى الشرق من مدينة بورصة، وتعد واحدة من أعظم المدن البيزنطية، كانت عاصمة للإمبراطورية البيزنطية في القرن الثالث عشر الميلادي، وفي عام 1204م مع مجيء الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية، اسس لاسكاريس لنفسه دولة في نيقيه أملاً في تحقيق حلمه الكبير باسترداد القسطنطينية من أيدي اللاتين وقد نجح في تحقيق الحلم عام 1261م. فريد، محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة، ط1، 1896م، ص41.

(4) Ostrogorsky, George, History of Byzantine State. Trans, J, Hussey, Oxford, 1955. pp. 399-400.

(5) ليكود شينيه، جان، تاريخ بيزنطة، تر: جورج زيناتي، ط1، بيروت، عام 2008م، صـ116-118.

في مواجهة معها في الوقت الذي كانت الحكومة المركزية تحاول العمل كقوة واحدة في مجال السياسة الخارجية، ونتيجة عجز الحكومة المركزية على تجاوز خصوصية حكام المقاطعات نتج عنه ضعف شديد في محاولات الدفاع عن الإمبراطورية[1].

حيث كان لازدياد قوة الأسر الأرستقراطية المدنية والعسكرية وتنافسها على السلطة أثر كبير في ضعف المقدرة العسكرية البيزنطية[2]، فقد أصبح الجيش البيزنطي في حالة من الضعف الشديد غير قادر على حماية حدود الإمبراطورية والتصدي للأخطار الخارجية، ونتيجة ذلك الواقع كان لزاماً على الإمبراطور البيزنطي اندرونيكوس الثاني (681-728هـ/ 1282-1328م) الاستعانة بالفرق الأجنبية؛ لدعم موقفه العسكري، ومن أهم هذه الفرق التي أسهمت بدور في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية هي الفرقة الكاتالونية Catalan [3]، التي تَمَّ استخدامها في آسيا الصغرى ضد العثمانيين سنة 702هـ/1303م للدفاع عن الحدود[4]، وعلى الرغم من تحقيق الفرقة الكتالونية عدة انتصارات على العثمانيين في آسيا الصغرى إلاّ أنَّ العلاقات أخذت بالتدهور بينها وبين السكان المحليين من جهة، وبين الفرقة والإمبراطور من جهة ثانية نتيجة لأعمال السلب والنهب، ومحاولة تكوين إمارة مستقلة في آسيا الصغرى[5]، إضافة إلى احتلال شبه جزيرة غاليبولي[6] الاستراتيجية على سواحل البوسفور بدون موافقة الحكومة البيزنطية[7]، وعلى الرغم من تمكّن السلطات البيزنطية من اغتيال قائد الفرقة الاسبانية روجي Rogie إلاّ أنَّ الفرقة انتقمت لمقتله، وحاصرت القسطنطينية لمدة عامين (704-707هـ/ 1305-1307م)، وسمحت للأتراك بدخول

---

(1) Hayes, Carlton. History of Europe, to 1648, New York, Vol I, 1958. p. 75.

(2) Diehl.Ch, Byzantium, Greatness and Decline, New Brunswik, 1957, p. 564.

(3) الفرقة الكتالونية: هم مجموعة من المرتزقة الاسبان استقدموا من شرق جبال البرانس الواقعة في إقليم كتالونية.

(4) Ostrogorsky, History of Byzantine State, p. 438-439.

(5) اليوسف، عبد القادر أحمد، الإمبراطورية البيزنطية، بيروت، عام 1966م، ص .172./ فيشر، هربرت، تاريخ أوربا العصور الوسطى، تر: محمد مصطفى زيادة، القاهرة، 1957م، ط2، ص .442.

(6) غاليبولي Gallipoli : هي شبه جزيرة تقع في تراقيا الغربية في الجزء الأوربي، تطل شبه جزيرة غاليبولي على بحر إيجة في جهتها الغربية وعلى مضيق الدردنيل في جهتها الشرقية، وفيها ميناء هام فتحها العثمانيون عام 1357م.

موستراس، س، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، تر: عصام الشحادات، بيروت، عام 2002م، ص425-426.

(7) عاقل، نبيه، الإمبراطورية البيزنطية، دمشق، عام 1969م، ص .339.

أوروبا، وشكلت حكومة مستقلة في أثينا Athena سنة (711هـ/ 1311م) استمرت لثمان سنوات مارست فيها أعمال الوحشية والدمار[1].

2-علاقة الإمبراطورية البيزنطية مع الدول المجاورة لها بعد استعادة القسطنطينية عام 660هـ/1261:

بعد استعادة القسطنطينية من اللاتين لم تعد الدولة البيزنطية تشمل سوى شمال غرب آسيا الصغرى _ القسطنطينية _ تراقيا، وجزء من مقدونيا بما في ذلك سالونيك Thessaloniki [2] وبعض الجزر الواقعة شمال الأرخبيل وجزء من بلاد اليونان الأصلية، فقد أصبحت الدولة البيزنطية متاخمة لإمبراطورية طرابيزون التي احتلت كل ساحل البحر الأسود من هرقلة إلى القوقاز، ومتاخمة لدوقية ابيروس، واحتفظ البنادقة بممتلكاتهم في البيلوبونيز وفي جزر كورفو وكرجو وكريت[3]، كما ظل البارونات البنادقة في مواقعهم في جميع جزر الأرخبيل، وسيطرت مدينة جنوه على تجارة الدولة البيزنطية كلها، واعتمدت بيزنطة عليها مالياً واقتصادياً، واحتفظ الجنوية بممتلكاتهم على ساحل آسيا الصغرى والجزر الكبرى المجاورة مثل خيوس ولسبوس، هذا فضلاً عن وجود دوقية أثينا في وسط اليونان وإمارة آخايا في البيلوبونيز، وهكذا ظهرت قوى كثيرة جديدة نافست الإمبراطورية البيزنطية في القسطنطينية التي أصبحت أضعف من أي وقت مضى. [4]

ووجد ميخائيل الثامن نفسه في صراع مع دول بلقانية متعددة ومع الصربيين خاصة والبلغار، وواجه الإمبراطور البيزنطي خطر قادم من الغرب ممثلاً بتهديدات الصليبيين اللاتين الذين يحذوهم الأمل بإعادة الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، فقد نجح شارل الأنجوى Charles of Anjouy أخ الملك الفرنسي لويس التاسع في الاستيلاء على مملكة صقلية، حيث بدأ شارل بتكوين حلف ضد القسطنطينية يضم إلى جانبه اللاتين في المورة، ومع حكام ابيروس، ومع الصربيين والبلغار، ولكن الظروف ساعدت الإمبراطور البيزنطي بإقامة ثورة في صقلية ضد

---

[1] Vasiliev, History of Byzantine Empire, Vol. 2, p. 604.

([2]) سالونيك: مدينة رومية قديمة واقعة جنوب بلاد مقدونية على بحر أرخبيل اليونان. الترمانيني، عبد السلام، التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، دار طلاس، دمشق، ج4، عام1997م، ص822.

([3]) كريت: جزيرة في البحر الأبيض المتوسط من الجزر اليونانية، وقد استولت عليها الدولة العثمانية منذ القرن السابع عشر الميلادي وألحقت باليونان عام 1918م. الترمانيني، التاريخ الإسلامي، ج4، ص 825.

([4])Dehel, Byzantium, P.209.

شارل الأنجوى عام 681هـ/1282م، أدَّت إلى انفصال صقلية عن مملكة نابولي الفرنسية، وقضت على مشروعات شارل ضد الإمبراطورية البيزنطية.[1]

وحاول الإمبراطور البيزنطي أن يأمن جانب أقوى الدول الإسلامية في ذلك الوقت وهي الدولة المملوكية، ويضمن حليفاً يقف إلى جانبه في حال قيام هجوم صليبي لاتيني جديد ضد الإمبراطورية البيزنطية، حيث تودد إلى السلطان الظاهر بيبرس كما وقَّع معاهدة مع السلطان قلاوون تقوم على علاقاتِ ودٍ وصداقةٍ كاملة، وأن لا تقوم الإمبراطورية البيزنطية بمهاجمة أراضي الدولة المملوكية أو قلاعها، والسماح بتبادل التجارة بين الطرفين بحرية لايشوبها أي عائق، ومساعدة أحد الطرفين للآخر في حال حصول اعتداء على أراضيه.[2]

عندما ظهرت الدولة العثمانية وأصبحت متاخمة لحدود الإمبراطورية البيزنطية نشأت بينهم علاقات اتَّسمت بالصلح والتوافق تارةً وبالحرب والتوسُّع العثماني على حساب الأراضي البيزنطية تارةً أخرى وسيتم الحديث عن هذه العلاقة لاحقاً.

3-كثرة الحروب الأهلية والتدخلات الخارجية في بيزنطة بين عامي 722-756هـ/1321-1355م:

كان من أسباب ضعف وتردي الأوضاع داخل الإمبراطورية البيزنطية والتي أَدَّت بدورها إلى حروب أهلية أنهكت البلاد والعباد الصراع بين الأسر الأرستقراطية المدنية منها والعسكرية الطامحة للوصول إلى العرش في الوقت الذي كان فيه أعداء الإمبراطورية يزدادون قوة ويتوسعون على حساب الممتلكات البيزنطية مثل الصرب والبلغار وبشكل خاص العثمانيون، وكانت الحقبةَ بين عامي (722- 728هـ/ 1321-1328م) من الحقب التي جلبت الويلات للإمبراطورية البيزنطية من خلال النزاع الذي نشب بين اندرونيكوس الثاني.II(Andronicus682- 728هـ/1282-1328م)، وحفيده ووريثه اندرونيكوس الثالث.III Andronicus 728-742هـ/1328-1341م)،

---

[1] عبيد، اسحق، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس 1261-1282، مطبعة دار الكتب، بيروت، د.ت، ص 115- 116.

[2] القلقشندي، (ت:821هـ/1418م)، شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج14، عام1923م، ص 75-78.

واستعانة كل من الطرفين بالقوى الخارجية حيث قدم البلغار مساعداتهم العسكرية للإمبراطور اندرونيكوس الثاني بينما تحالف الصرب مع ولي عهده[1].

وفي الواقع استمرت الأوضاع السيئة داخل الإمبراطورية طوال حكم اندرونيكوس الثالث، فقد ازداد التوسع العثماني داخل أراضي الإمبراطورية البيزنطية بين عامي 726-737هـ/ 1326-1337م، وبوفاة اندرونيكوس الثالث سنة (742هـ/ 1341م) أخذ التنافس على العرش يزداد خطورة إذ ترك اندرونيكوس الثالث وريثاً صغيراً وهو يوحنا الخامس. John V (742-748هـ/1341-1347م)، مما أدّى إلى حرب أهلية نتيجة الخلاف حول الوصاية على يوحنا، وكان أخطر ما نتج عن هذه الحروب الأهلية الداخلية هو استعانة الأطراف المتصارعة بأشد أعداء الإمبراطورية البيزنطية في صراعاتها الداخلية ألا وهم العثمانيون، وقد أتاح لهم ذلك فرصة التعرف على مواطن الضعف لدى البيزنطيين، كما استغلوا الفرصة للتوُّسع داخل أراضي الإمبراطورية البيزنطية، والعمل على التدخل في شؤونها الداخلية، كما تمكّن الصرب في عهد ملكهم ستيفان دوشان Stephan Dushan (734-756هـ/ 1333-1355م) المعروف باسم دوشان العظيم، من النجاح في غزو جزء كبير من جنوب شرق أوروبا، وأصبح واحداً من أقوى الملوك في وقته حيث استغل فرصة الحروب الأهلية للتدخل في شؤون الإمبراطورية والعمل على السيطرة على العديد من المناطق مثل ألبانيا Albania[2]، وأبيروس Epirus، وقد استمرت حالة الصراع والفوضى داخل الإمبراطورية البيزنطية طوال حقبة حكم الإمبراطور يوحنا الخامس، حيث استمر يوحنا في محاولة استعادة العرش مّما زاد من الاضطرابات الداخلية، وزاد من حالة التنافس بين جنوه والبندقية داخل أراضي الإمبراطورية البيزنطية، والتي كان من أسبابها محاولة جنوه فرض سيطرتها على الطريق التجاري في البحر الأسود[3]، وانتهى الصراع بعودة يوحنا الخامس إلى الحكم في الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية منهارة من الداخل نتيجة الحروب والصراعات[4].

---

(1) Ostrogorsky, History of Byzantine State, p.501.

(2) ألبانيا Albania: هي إحدى دول البلقان تحدها يوغسلافيا من الشمال والشرق وجنوباً اليونان وغرباً البحر الادرياتيكي والبحر الأيوني تتحكم بالجهة الشرقية لمضيق اوترانت مدخل الادرياتيكي. الكيالي، عبد الوهاب ، موسوعة السياسة، المؤسسة العربي للدراسات والنشر، ج1، بيروت، د.ت، ص256.

(3) Ostrogorsky, History of Byzantine State, p.520.

(4) أومان، شارل، الإمبراطورية البيزنطية، تر: مصطفى طه بدر، القاهرة، عام 1953م، صـ250-251.

4-تردي الوضع الاقتصادي والاجتماعي وازدياد العداء تجاه اللاتين خلال القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلاد:

كان للاحتكارات الاقتصادية والحرب بين جنوه والبندقية في الأراضي والمياه البيزنطية، والحروب الأهلية والخراب الذي أنزلته الفرق الأجيرة في الأرياف والمدن وغارات الألبان والصرب والبلغار على جهات البلقان والاختلافات الطائفية أدت بمجموعها إلى تعميق الفوارق بين الطبقات وإلى اشتداد التعسف الإقطاعي ومن المشكلات التي عانت الإمبراطورية البيزنطية منها تعدد الأجناس مع العنصر اليوناني الذي كان له دور خطير على الناحية الاجتماعية من حيث اختلاف العادات والتقاليد والآمال، فلم تكن هناك آمال مشتركة ولا مصير مشترك إذ حوت إلى جانب العنصر اليوناني السلاف والألبان واليهود والمسلمون والسريان والأرمن وهؤلاء يقيمون في القسطنطينية والأرياف[1].

بدأت الاضطرابات عند وفاة اندرونيكوس الثالث سنة (742هـ/ 1341م)، ويشار إليها أحياناً باسم الحرب الأهلية الباليولوجية الثانية، حيث اندلع الصراع في الإمبراطورية البيزنطية بعد وفاة أندرونيكوس الثالث، وسببه الوصاية على ابنه البالغ من العمر تسع سنوات ووريثه، يوحنا الخامس، بين رئيس وزرائه السالف يوحنا السادس كانتاكوزينوس John VI Cantakuzinos (748-756هـ/1347-1355م)، وبين الإمبراطورة الأرملة آنا سافوي Anna of Savoy، والدة يوحنا الخامس متخذة طابع حرب طبقية، والمسوغ المباشر في الثورة تأييد النبلاء والارستقراطية في المدن للمغتصب كانتاكوزينوس، بينما أبدت الطبقات الأخرى الحق الشرعي لابن اندرونيكوس الثالث، وقد أدت الصراعات إلى الإطاحة بحكم يوحنا كانتاكوزينوس السادس وتولى الحكم الإمبراطور الشرعي يوحنا الخامس باليولوج، إلا أنه نتيجة لتلك الصراعات داخل المجتمع البيزنطي وصلت الإمبراطورية إلى مستوى من الضعف لا تقوى معه على الدفاع عن نفسها[2].

عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوربا في العصور الوسطى، ط3، الأنجلو المصرية، جـ1، عام 1978م.، ص651.

[1] Vasiliev, History of Byzantine Empire, Vol. 2, p. 615-616.

[2] عاشور، أوربا، ج1، ص651. / بينز، نورمان، الإمبراطورية البيزنطية، تر: حسين مؤنس، القاهرة، عام 1950م، ص 348-349.

نتج عن تلك الصراعات والحروب الأهلية وتردّي الأوضاع الاقتصادية نقص دخل الخزينة الإمبراطورية على الرغم من الضرائب والسياسة المالية التي اتبعتها الحكومة تجاه رعاياها، ذلك يعود لحالة الارتباك المالي الذي كان يسود الإمبراطورية خلال حقبة القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، كما كان لحصول كل من البندقية وجنوه على إعفاءات ضريبية وامتيازات داخل الموانئ والمدن البيزنطية، وسيطرتهم على التجارة الخارجية للإمبراطورية أثره السلبي في تناقص الفائدة الجمركية، كل ذلك أدى بدوره إلى خفض قيمة العملة الذهبية البيزنطية نتيجة استخدام الفضة ومعادن أخرى في صك النقود، وقلة الموارد المالية للإمبراطورية إلى حدٍّ دفع أباطرة بيزنطة لرهن جواهر التاج البيزنطي لقاء الديون، وبذلك عَمَّ الفقر، وانتشرت المجاعة بين أعداد كبيرة من أفراد المجتمع البيزنطي[1]، وهذا ما دفع لفرض الحكومة مزيداً من الضرائب على المواطنين القادرين وغير القادرين ممَّا ساهم في انتشار المجاعة بين قطاع كبير من المواطنين البيزنطيين إذ زاد من حالة التذمر بين أوساط الطبقات الفقيرة في حين تهّرب أصحاب الأملاك الكبيرة من دفع الضرائب وعدم مساهمتهم في دعم خزانة الدولة، ففقد الشعب الثقة في نفسه وفي زعمائه سنة بعد سنة [2] .

في ظل هذه الظروف تعرضت أوروبا لوباء خطير بين عام (749-750هـ/1348-1349م)، والذي عرف بالموت الأسود Death Black (الطاعون)، وتسبّب في العديد من الوفيات، في كل من فرنسا وإسبانيا وإنجلترا، كما اجتاح الإمبراطورية البيزنطية الطاعون في عهد الإمبراطور يوحنا السادس كانتاكوزينوس عام 1347م، حيث قدم في تاريخه وصفاً دقيقاً لعدد الضحايا الكبير من ضحايا الطاعون[3]، كما وصفها المؤرخ المعاصر ديميتريوس كيدونيس Demetrios Kydones ((نتيجة الطاعون كان حجم الإصابات كبير، وقل عدد السكان داخل مدينة القسطنطينية، وأصبح عدد الأموات أكثر من الأحياء، وكان الأطباء غير قادرين على إيجاد

---

[1] توفيق، عمر كمال، تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعارف، عام 1967م، ص .221.

[2] Ostrogorsky; History of Byzantine State, p. 304.

[3] Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, P. 626.

حل[1]، وكان للطاعون تأثير مدمر على الهيكل الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع البيزنطي حيث أعطى الأتراك الفرصة لغزو شمال اليونان)).[2]

على الرغم من استمرار حالة الانقسام والتنافر الديني في العالم المسيحي إلاّ أنّه خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ظهرت محاولات لرأب الصدع بين المعسكرين، وكان من أهم تلك المحاولات التي قام بها الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن سنة (673هـ/ 1274م) من خلال إرسال وفد ديني إلى فرنسا لحضور مجمع ليون الديني Lyons (670-673هـ/ 1272-1274م)، ويعّد المجمع المسكوني الرابع عشر الذي عُقِدَ في ليون جنوب فرنسا في الكنيسة اللاتينية، برآسة البابا غريغوري العاشر Gregory X (669-675هـ/1271-1276م) من أهم المجمعات الدينية، حيث ناقش قضايا إعادة الوحدة مع الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، وأبدى الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن رغبة في ذلك [3]، كما أظهر الوفد البيزنطي استعداده للاعتراف بزعامة كنيسة روما على جميع الكنائس العالمية والخضوع لها ولطقوسها الدينية، حيث كان على ميخائيل أن يواجه سياسة الغرب العدوانية في إعادة إحياء إمبراطورية القسطنطينية اللاتينية، وقد استطاع في الواقع الاستفادة من عاملين: الأول رغبة البابوية في فرض سيادتها على الكنيسة في القسطنطينية، والثاني استغلال قلق البابا غريغوري العاشر من تزايد قوة وسطوة شارل الأنجوي، ونتيجة الاتفاق مع البابوية تمكّن ميخائيل من السيطرة على أبيروس التي كانت تحت سيطرة شارل الأنجوي، وعلى عددٍ من الجزر[4]، ولكن بالرغم من احتفال الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن بإعلان اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية في كنيسة القديسة صوفيا عام 673هـ/1275م نتيجة مؤتمر ليون، إلاّ أنَ الكنيسة البيزنطية حافظت على إتّباع طرقها في العبادة واستقلالها، ورفضت قرار الإمبراطور كما أعلنت قرار حرمان الإمبراطور من مراسيم الدفن المسيحي احتجاجاً من الكنيسة البيزنطية على سياسته، وقد أدت السياسة الدينية التي انتهجها

---

(1) Demetrios Kydonies Letters, ed. R.J. Loeneriz,VoI. I Vatican City, 1956, pp. 121-122. : نقلاً عن Nicol, The Reluctant Emperor, A biography of John kantakuzene, Byzantine Emperor and monk, c. 1295-1383, p. 93.

(2) هويزنجا، يوهان، اضمحلال العصور الوسطى، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة العامة، القاهرة 1978م، ص 137.

(3) Vasiliev: History of the Byzantine Empire, Vol. 2, pp. 657-659.

(4) توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص325.

الإمبراطور ميخائيل إلى انقسامات حادة داخل الكنيسة الأرثوذوكسية، وظهور أحزاب معارضة لسياسة الاتحاد وأخرى مؤيدة ممّا أدّى إلى حالة من الفرقة والاختلاف داخل المجتمع البيزنطي، وزيادة التباعد بين رجال الكنيستين الشرقية والغربية، واشتداد مشاعر الكره بين كل من الكنيسة الغربية اللاتينية والكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية[1].

ثانياً: الأوضاع في الإمبراطورية البيزنطية مع ظهور الخطر العثماني خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي:

أضعفت الحروب الأهلية التي اندلعت داخل الدول الأوروبية، والحروب الخارجية فيما بينها قدراتها الاقتصادية والعسكرية، وعلى الرغم من الانقسام والصراع السياسي والعسكري استطاعت المدن الإيطالية (جنوه – البندقية – ميلانو – فلورنسا – نابولي) تحقيق الكثير من الأرباح بفضل التجارة بين الشرق والغرب[2]، حيث دخلت جنوه والبندقية في صراع عسكري كان سببه الرئيس التنافس التجاري ودارت بينهما حرب داخل المياه البيزنطية هدفها السيطرة على تجارة البحر الأسود، ومحاولة جنوه منع السفن التجارية من العبور ومصادرتها لسفن تابعة للبندقية، وهذا ما سبب هزيمة البندقية عام 754هـ/1353م[3].

أضعفت هذه الحروب تلك المدن والدول الأوروبية التي عملت بجد لإبرام اتفاقيات تجارية مع العثمانيين لاسيّما فرنسا، وإنجلترا، لحماية أنفسهم من الأخطار الخارجية، ولضمان سلامة تجارتهم[4]، الأمر الذي منعها من تقديم المساعدة للإمبراطورية البيزنطية في مواجهة التهديد العثماني[5].

---

(1) Ostrogorsky, History of Byzantine State, p. 411. / Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, p. 660-663.

(2) يحيى، جلال، عصر النهضة والعالم الحديث، الهيئة العامة، القاهرة، 1979م، ص35.

(3) Ostrogorsky, History of Byzantine State, p. 520.

(4) هايد، ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد رضا محمد رضا، الهيئة العامةج3، القاهرة، عام 1994م، ص117.

(5) عاشور، أوربا،ج1، ص 540 .

فيشر، هربرت، أصول التاريخ الأوربي الحديث، تر: زينب عصمت راشد– أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، عام 1965م، ص71.

كانت الإمبراطورية البيزنطية تأمل في مساعدة فرنسا وانكلترا ضد توسّع وتهديد الدولة العثمانية على وجه الخصوص، لكن الأوضاع في كل من فرنسا وإنجلترا حالت دون تحقيق ذلك، ولم يكن الوضع في كلا البلدين أفضل من المدن الأوروبية الأخرى، فقد بدأت حرب المئة عام بين فرنسا وإنجلترا (738-857هـ/1337-1453م)[1]، كما أنّ البابوية نفسها مع بداية القرن الرابع عشر تعرضت لصدمة قوية تم تعيين البابا كلمنت الخامس (705-714هـ/1305-1314م)، وهو أحد الكرادلة الفرنسيين أصر على إقامة مراسم تتويجه في مدينة أفينون Avignon جنوب شرق فرنسا، وجعلها مكان إقامته بدلاً من روما، وقد سُميت هذه الحقبة بحقبة الأسر البابلي نتيجة خضوع البابوية لسيطرة ملوك فرنسا بين عامي (705-779هـ/ 1305-1377م)[2]، ودخل الطرفان في صراع مدّعياً كل طرف بتبعية الآخر له ممّا منعهما عن التفكير بإقامة أي حملة ضد العثمانيين[3].

1-نشأة الدولة العثمانية:

يعود تاريخ العثمانيين إلى القرن الثالث عشر الميلادي، عندما هاجرت قبيلة من قبائل الغز التركية من أواسط آسيا تحت ضغط قبائل المغول متوجهة نحو الغرب، فعبرت سنة 1223م نهر الفرات فغرق قائدها سليمان شاه فيه، وتَمَّ دفنه بالقرب من قلعة جعبر في الرقة السورية حتى وصلت إلى آسيا الصغرى، وهناك وقفت هذه القبيلة إلى جانب السلطان علاء الدين السلجوقي (616-634هـ/1219-1237م) سلطان سلاجقة الروم في حربها ضد المغول، ممّا أدّى إلى انتصاره عام 629هـ/ 1232م، فمنحها السلطان علاء الدين قطعة أرض من أملاكه، مكافأة لها على عملها ولتكون عوناً له ضد جيرانه البيزنطيين، كما حصل زعيم القبيلة أرطغرل[4]

---

(1) قامت حرب المئة عام بين فرنسا وإنكلترة بسبب التنافس الاقتصادي والصراع السياسي بين الدولتين على الأملاك الإنكليزية ضمن القارة الأوروبية.

Thompson, (J.W). The Mediaeval Ages 300–1500, Vo1. 2, London, 1931., p. 891.

(2) Stephenson, C. Mediaeval History, New York, 1943.P.503.

(3) Creasy, E. History of The Ottoman Turks, Beirut, 1961, p. 38.

(3) أرطغرل: ابن سليمان شاه التركمان، زعيم قبيلة قابي من أتراك الأغوار الذين نزحوا من شرق إيران إلى الأناضول هرباً من الغزو المغولي، ودخل أتباعه في خدمة سلاجقة الروم بعد وفاة والده، وكوفئ بالسيادة على بلدة

Ertugrulعلى لقب محافظ الحدود[1]، ولكن أرطغرل أراد توسيع حدوده، حيث بدأ بمهاجمة أملاك البيزنطيين في الأناضول باسم السلطان علاء الدين السلجوقي[2]، وبعد وفاة أرطغرل سنة 1281م تولّى الزعامة ابنه عثمان(680-726هـ/1281-1326م) -وإليه ينتسب العثمانيون- الذي أيقن أن عشيرته التركية بتعدادها القليل لن تستطيع تأسيس دولة، فاتّبع سياسة المصاهرة مع الدول المجاورة[3]، وسرعان ما نمت هذه الإمارة حتى أصبحت دولة تشمل قسماً من آسيا وأوروبا وأفريقيا، وغدت من أكبر الدول الإسلامية، حيث عملت على نشر الإسلام في أوروبا والدفاع عن المسلمين ضد الغزو الصليبي[4]، وبعد وفاة الغازي عثمان سنة 724هـ/ 1324م تولى الزعامة ابنه أورخان (726-761هـ/1326-1360م)، الذي يُعدُّ أول أمير عثماني يحمل لقب سلطان وسيد العالم، وخلال ست سنوات من استلامه العرش استولى على معظم الأراضي البيزنطية، ممّا جعل الدولة العثمانية من أقوى الإمارات التركية في المنطقة، أمّا مراد الأول (761-791هـ/1360-1389م) الذي خلف والده أورخان سنة 1359م، فقد تحاشى القيام بأعمال حربية ضد القسطنطينية، كما فعل والده بل اتجه إلى أوروبا حيث انشغل بمدِّ نفوذه فيها، وتابع ابنه بيازيد الأول (791-805هـ/1389-1402م)مسيرة والده في افتتاح الممالك التركية الصغيرة التي كانت مستقلة في الأناضول، ثم صمّم على فتح القسطنطينية لكنه تراجع بسبب الخطر المغولي، حيث اصطدم مع الجيوش المغولية بقيادة تيمورلنك سنة 805هـ/ 1402م الذي انتصر على بيازيد الأول وأسره، وقد مات في الأسر، فخلفه ابنه محمد الأول (816-824هـ/1413- 1421م) الذي كان عادلاً وكريماً، التفت إلى تنظيم أمور الدولة الداخلية، ثم خلفه ابنه مراد الثاني (824-855هـ/1421-1451م) الذي حاول فتح القسطنطينية، لكن تمرّد أحد أخوته عليه سبّب في إيقاف هذه الرغبة لدى

سكودا، الواقعة على الحدود مع الإمبراطورية البيزنطية، وقد أدى ذلك إلى سلسلة من الأحداث التاريخية التي أدت إلى تأسيس الدولة العثمانية.

Shaw, Stanford: History of the Ottoman Empire and Modern Turkey (1280-1808), Cambridge University, 1976, P.13.

[1] كوبريلي، محمد فؤاد، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة، 1967م، ص119- 126.

[2] رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون 1516-1916م، دمشق، 1974م، ص26-28.

[3] الشناوي، عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، ط2، 1980م، ص33-34.

[4] الحويري، محمود محمد، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002م، ص41-49.

مراد الثاني إلى أن فُتِحَت القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية على يد السلطان محمد الفاتح (855-886هـ/ 1451-1481م) سنة 1453م[1].

2-الأوضاع في منطقة الأناضول بين عامي 726-737هـ/1326-1337م:

شكل الأتراك العثمانيون القوة الخارجية ذات التأثير السلبي في التاريخ البيزنطي حتى نهايته، إذ دخل الأتراك العثمانيون آسيا الصغرى في الثلث الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وسرعان ما شرع أرطغرل في مهاجمة ممتلكات الدولة البيزنطية في الأناضول، واستغل الأتراك بقيادة عثمان[2] حالة الفوضى والإهمال للأراضي البيزنطية في منطقة الأناضول، وتمكنوا من الاستيلاء على مزيد من الأراضي والممّرات المحيطة بهضبة الأناضول، وقد حاول الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثاني الحدَّ من تقدم العثمانيين، من خلال الاستعانة بجنودٍ مرتزقةٍ من أراغون كانوا يُعرَفُون بالفرقة الكتالونية، وعلى الرغم من تحقيقهم بعض الانتصارات إلاّ أنّه في سنة (701هـ/ 1302م) هُزِمَ الجيش البيزنطي في سهل بافيوسPaphos [3]، وأُجبِرَ على الانسحاب إلى نيقوميديا[4]، ممّا دفع الإمبراطور أندرونيكوس للتحالف مع المغول من خلال زواج سياسي سنة

---

[1] الصرفي، رزق الله منقريوس، تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، ج3، 1908م، ص100-106.

[2] ولد عثمان سنة 656هـ/ 1258م، تولى عثمان شؤون الإمارة وزعامة العشيرة بعد وفاة والده أرطغرل، فأخلص الولاء للسلاجقة على الرُغم مما كانت تتخبط فيه من اضطراب، وفي سنة 1295م بدأ عثمان بمهاجمة الثغور البيزنطية باسم السلطان السلجوقي، وتمكن من فتح عدة حصون، وقاد عشيرته إلى سواحل بحر مرمرة والبحر الأسود. وحين تغلَّب المغول على سلاجقة الروم وقضوا على دولتهم، سارع عثمان إلى إعلان استقلاله عن السلاجقة، فكان بذلك المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية.

يلماز، اوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، تر: عدنان محمود سلمان، مج1، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان، عام 2010م، ص80- 83 - 84.

[3] سهل بافيوس: يقع إلى الشرق من نيقوميديا، وفي 27 تموز عام 1302م التقى البيزنطيين جيش الأتراك المكون من حوالى 5000 من سلاح الفرسان تحت قيادة عثمان نفسه، ويتألف من القوات الخاصة به وكذلك حلفاء من القبائل التركية من بافلاغونيا، و منطقة نهر مايندر، وقد ألحق سلاح الفرسان العثماني بالجيش البيزنطي خسائر كبيرة، مما جعل الجيش البيزنطي ينسحب إلى نيقوميديا.

Nicol, Donald: The Last Centuries of Byzantium, 1261–1453, Cambridge University, 1993, p. 126.

[4] نيقوميديا: هي مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى وأصل اسمها نيكوميدس، كانت عاصمة لمملكة بيثينيا تقع على بحر مرمرة تتمتع بميناء كبير وتدخل إليه سفن تجارية كبيرة. فريد، تاريخ الدولة العلية، ص41.

(707هـ/ 1307م) إلاّ أنّ انشغال المغول بمحاربة المماليك في مصر والشام حال دون تحقيق المساعدة المرجوة منهم، وهذا بدوره سرّع من التوسع العثماني في الأناضول البيزنطي[1]، إلى أن تمكنوا من محاصرة مدينة بورصه Bursa[2] ، مؤدياً إلى انتشار المجاعة فيها، واستسلام المدينة بعد انسحاب القوات البيزنطية التي كانت مرابطة بداخلها عام (726هـ/ 1326م)[3].

وفي عام (728هـ/ 1328م) بدأ أورخان حصار نيقية، وفي عام 729هـ/ 1329م، حاول الإمبراطور أندرونيكوس الثالث كسر الحصار عن المدينة، وحاول استعادة حالة الاستقرار في المناطق الحدودية، لكنه أخفق وهُزِمَ أمام العثمانيون، ونتيجة لذلك استولى العثمانيون على مدينة نيقية عام 731هـ/ 1331م دون قتال[4] وكانت من أمهات المدن في الإمبراطورية البيزنطية[5]، والدليل على صحة السيطرة عليها من دون قتال هو ما أكّده ابن بطوطة الذي قام بزيارة المدينة بعد مرور سنوات عدة على سقوطها بيد العثمانيين أنَّ أسوار المدينة كانت سليمة ولم تتعرض لأي تدمير[6]، واستمر العثمانيون في تقدمهم مستغلين ضعف الإمبراطورية البيزنطية وعدم حصولها على دعم البابوية والدول الأوروبية فحاصروا مدينة نيقوميديا Nicomedia التي استسلمت لهم سنة (737هـ/1337م)[7].

---

[1] عطا، زبيدة، الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، دار الفكر العربي، القاهرة، عام 1977م، صـ115.

[2] بورصه: مدينة في الأناضول، أسسها بروسباسي الثاني ملك بيثينيه، امتازت بازدهارها التجاري في العهد البيزنطي قبل أن يقوم السلطان أورخان بن عثمان بفتحها عام 1325م، ليجعلها عاصمة للعثمانيين. موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ص157-158.

[3] برجاوي، سعيد أحمد، الإمبراطورية العثمانية، تاريخها السياسي والعسكري، بيروت، عام 1993م.، ص25.

[4] Treadgold (W): History of the Byzantine State and Society, Stanford, press, 1997, P.761.

[5] العصامي، عبد الملك بن حسين المالكي، (ت 1049-1111هـ) ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأواخر والتوالي، ج4، القاهرة، عام 1973م، ص60.

[6] ابن بطوطة، شمس الدين أبو عبد الله بن محمد اللوتي الطنجي، ت: 779هـ/1377م، رحلة ابن بطوطة، تحفة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: علي المنتصر، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط 4 عام1985م، ، ص 188.

[7] طقوش، محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط2، بيروت، لبنان، دار النفائس، عام 2008م، ص40.

3-الصراع على العرش البيزنطي ومنعكساته على الجبهة الخارجية عامي 755-775هـ/ 1354-1373م:

وُلدَ يوحنا الخامس في 18 حزيران عام(732هـ/1332م) وهو الابن الثاني للإمبراطور أندرونيكوس الثالث من زوجته آنا دي سافوي Anna de Savoy، وقد خلف والده على عرش القسطنطينية عام (741هـ/1341م) وهو طفل في التاسعة فتولى الوصاية على العرش يوحنا السادس كانتاكوزينوس، حاول يوحنا أن يستغل صغر سن الإمبراطور للاستحواذ على العرش، فتمرد ونادى بنفسه إمبراطوراً في تراقيا، بينما ظل الإمبراطور وأنصاره في القسطنطينية، وقد ناصر الإمبراطور الصغير في ذلك الصراع أمه آنا دي سافوي، التي شكَّت في إخلاص يوحنا منذ البداية، وناصره أيضا يوحنا السادس عشر بطريرك القسطنطينية، وعانت الإمبراطورية البيزنطية من تجدد الحرب الأهلية حين شرع يوحنا الخامس عام (755هـ/ 1354م) في التخطيط للانفراد بالسلطة بعيداً عن الوصي الطامع الإمبراطور يوحنا السادس كانتاكوزينوس، كان ذلك الصراع من أخطر ما واجهته بيزنطة حيث بحثت الأطراف المتصارعة عن حليف خارجي تجلَّى ذلك من خلال لجوء كانتاكوزينوس إلى السلطان العثماني أورخان طلباً للمساعدة في صراعه مع يوحنا الخامس[1]، الذي كان فرصة ذهبية للأتراك؛ للتدخل في الوضع الداخلي البيزنطي، الأمر الذي عَمَّق الخلاف بين الأطراف المتصارعة داخل بيزنطة.

على الرغم من الدعم الذي قدمه العثمانيون ليوحنا السادس فقد انتهى الأمر بسقوطه وخلعه على يد يوحنا الخامس الوريث الشرعي وتسلُّمِه مقاليد الحكم.

وقف العثمانيون بعد عبورهم إلى الساحل الأوروبي نتيجة لاستنجاد الإمبراطور البيزنطي يوحنا السادس بهم عام (756هـ/ 1355م)، في صراعه مع الإمبراطور يوحنا الخامس على حقيقة ضعف الإمبراطورية البيزنطية، مما دفعهم إلى شن الغارات على مدينة غاليبولي ، وتمكنوا من دخولها، ساعدهم في ذلك تعرض المدينة لزلزال شديد سنة (755هـ/ 1354م) تصدَّعت خلاله أسوارها، فاستغلَّ العثمانيون هذه الفُرصة وحاصروا المدينة ثم تمكنوا من دخولها[2]، فاشتدَّ بذلك الضغط العثماني على القسطنطينية.

---

(1) Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, pp. 622-624.
(2)Ostrogorsky, History of Byzantine State, p.478.

ومن خلال احتلال العثمانيين ميناء غاليبولي الاستراتيجي، الذي يقع على الشاطئ الأوروبي من الدردنيل، ضمنوا مروراً من الأناضول إلى أوروبا، وفتح الطريق للتقدُّم المنهجي والاستقرار في شبه جزيرة البلقان، وقد كان هذا من أهم الأحداث في تاريخ العثمانيين الباكر[1].

أمّا الإمبراطور البيزنطي يوحنا الخامس كان مدركاً للخطر العثماني المتزايد، وفي سبيل مواجهته عرض على البابا إمكانية الخضوع للكنيسة البابوية، والتحول للعقيدة اللاتينية مقابل الدعوة لتشكيل حملة صليبية تقف في وجه التوّسع العثماني، إلاّ أنَّ البابا أنوسنت السادس (753-763هـ/ 1352-1362م) توّجه بالشكر للإمبراطور دون تقديم أي وعود بمساعدات عسكرية[2]، نتيجة لذلك الرد المخيب لآمال يوحنا الخامس أبلغ البابا بعدم قدرته على إقناع الشعب البيزنطي بفكرة قبول الاتحاد[3]، في حين تابع العثمانيون توسعهم انطلاقاً من أدرنة[4] وغاليبولي نحو سائر أنحاء إقليم تراقيا، وبفتح إقليم تراقيا تَمَّ فصل القسطنطينية عن الأقاليم البيزنطية الغربية في أوروبا، وأضحت هذه المدينة بعد الانتشار العثماني محاطة من الجانب الأوروبي بِالأراضي العثمانية وفُصلت عن الإمارات المسيحية الصغيرة في شبه جزيرة البلقان[5].

أمام التوسع العثماني في البلقان، اعترف الإمبراطور البيزنطي بالسيطرة العثمانية على الأراضي في الجانب الأوروبي، كما وافق على دفع الجزية، والاعتراف بالتبعية للسلطان العثماني، وتقديم المساعدة العسكرية للعثمانيين عند الحاجة[6]، وبدأ يتعامل البيزنطيون مع العثمانيين باعتبارهم أمراً واقعاً لا يمكن تغييره، حيث اشترك الإمبراطور البيزنطي إلى جانب ابنه مانويل في مساعدة العثمانيين لحصار فيلادلفيا Philadelphia في آسيا الصغرى، والتي سقطت بيدهم سنة

يلماز، أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مج1، استانبول، 1988م ، ص 96.

(1) Atiya, A, The Crusades in The Later Middle Ages, London, 1938. P. 389.

(2) Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, pp. 369-370.

(3) هسي، ج، م.، العالم البيزنطي، تر: رأفت عبد الحميد، دار المعارف، القاهرة، عام 1984م، ص 220-221.

(4) أدرنة: اسمها ادريا نوبوليس Adrianoplies نسية إلى الإمبراطور الروماني ادريان أو هدريان، الذي أجرى فيها عدة تحصينات أوجبت اطلاق اسمه عليها. فريد، الدولة العلية، ص44.

(5) Ostrogorsky, History of Byzantine State, p. 478.

(6) Pears, E, "The Ottoman Turks to The Fall of Constantinople", CMH, 1927, P.670.

باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص 23.

(775هـ/ 1373م)، وذلك بناءً على تعهده بتقديم المساعدة العسكرية للسلطان العثماني عند الحاجة [1].

نتيجةً لما سلف شعرت أوروبا عامةً، والممالك المسيحية المجاورة للدولة العثمانية والبابوية خاصةً من امتداد السيطرة العثمانية إلى ما وراء جبال البلقان، ما دفع البابا أوربان الخامس Urban V (764-772هـ/1362-1370م) إلى تجهيز حملة صليبية لمحاربة العثمانيين[2].

الواقع أنَّ البابوية لم تُعر السيطرة العثمانية في أوروبا أية أهمية طالما كانت على حساب البيزنطيين الهراطقة في نظرها، ولكن عندما بدأت هذه الحروب تهدد الدول الأوروبية الغربية التابعة للفاتيكان، سعى أوربان الخامس لإعداد حملة صليبية ضد العثمانيين، إلاّ أنّها توجهت نحو مصر بدلاً من توجهها لطرد العثمانيين من أوروبا، حيث أدَّت إلى خيبة أمل الإمبراطور البيزنطي، ونتيجة لذلك توجّه الإمبراطور البيزنطي نحو ملك المجر أي ملك هنغاريا لويس الأول الكبير Louis I the Great للقيام بحملة ضد العثمانيين، وبالفعل تَمَّ تشكيل حملة يقودها كونت سافوي المسمّى أماديوس السادس Amadeus VI [3]، الذي انطلق من البندقية على رأس أسطول بحري سنة (764هـ/ 1366م)، وأبحر حتى وصل مضيق الدردنيل، حيث انضم إليه أسطول صغير بِقيادة فرانشيسكو كاستيلوريزو Francesco Castelorizo أمير جزيرة لسبوس Lesbos[4]، وفيلق بيزنطي بقيادة بطريرك القسطنطينية، هاجمت القوات المشتركة مدينة غاليبولي، وتمكنت من استعادتها ممّا كان ذلك صفعة كبيرة للعثمانيين، كما تَمَّ استعادة مدينة أدرنة، وبعد ذلك انسحب أماديوس بقواته إلى البندقية بعد أن سلَّم جميع ما استولى عليه إلى الإمبراطور البيزنطي[5]، حيث استغل العثمانيون انسحاب الصليبيين، فاستعادوا أدرنة وكان لسقوط المدينة في يد العثمانيين

---

[1] Ostrogorsky, History of Byzantine State, p. 482.

[2] فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 130.

[3] Ostrogorsky, History of Byzantine State, p, 537.

[4] لسبوس: ثالث أكبر جزيرة يونانية وتقع في شمال بحر إيجة. الشرقاوي، أحمد عبد الوهاب، جغرافية الممالك العثمانية، دار البشير للثقافة والعلوم، عام 2018م، ص 169.

[5] مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، جـ1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، عام 1993م، ص 51.

مجدداً، صدىً سيء في الدول الأوروبية، خاصة البابوية[1]، مما أثار رعب الدول الأوروبية، فتنادى الملوك مرّة أخرى إلى إعلان حملة صليبية جديدة ضد العثمانيين[2]، فتكَّون تحالف أوروبي بلقاني باركه البابا أوربان الخامس، وضَمَّ الصربيين، والبلغاريين، والمجريين، وسكان إقليم والاشيا، وقد استطاعت الدول الأعضاء في التحالف الصليبي أن تحشد جيشاً بلغ عدده ستين ألف جندياً تصدى لهم القائد العثماني لالا شاهين Lala Shaheen، بقوة تقلُّ عدداً عن القوات المتحالفة، وقابلهم في 26 أيلول عام (773هـ/1371م) حيث وقعت أول مواجهة عسكرية كبيرة بين الدولة العثمانية وبين الصرب، وذلك في معركة تشيرمن Tchirmen التي نشبت على نهر ماريتزا Maritza River الواقع عند ملتقى حدود اليونان وبلغاريا، ولذا يقال لهذه المعركة كذلك معركة ماريتزا، التي انتهت بانتصار العثمانيين انتصاراً حاسماً، وانهزم الجيش المتحالف، وهرب قادته وغَرِقَ ملك الصرب أسطفان أوروك الخامس Stephen of Uruk V، ونجا ملك المجر لويس الأول بأعجوبة من الموت ممّا فتح الطريق أمام العثمانيين للتقدُّم عبر وديان نهر ماريتزا، والسيطرة على شمال وغرب شبه جزيرة البلقان[3].

نتيجة لذلك فتح العثمانيون إقليم تراقيا ومقدونيا ووصلوا إلى جنوبي بلغاريا وإلى شرقي صربيا، وأصبحت جميع مدن وأملاك الإمبراطورية البيزنطية والدولتين البلغارية والصربية تتساقط في أيدي العثمانيين[4].

4-أثر الصراع البيزنطي الداخلي في التدخل العثماني بين عامي 775-783هـ/ 1373- 1381م:

أمام التقدُّم العثماني اضطر الإمبراطور البيزنطي إلى التفاهم مع السلطان العثماني مراد الأول عام 774هـ/ 1372م، بعدما تأكَّد له عدم حصوله على مساعدات من الغرب الأوروبي

---

(1) حليم بك، إبراهيم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت ، عام 1988م، ص 40.

(2) الصلابي، علي محمد، السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية، لبنان، المكتبة العصرية، عام 2013م، ص 53.

(3) يلماز، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية، صـ 98.

(4) اسماعيل، أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، الرياض – السعودية، مكتبة العبيكان، عام 1996م، ص 37.

حيث اعترف بتبعيته له وتعهد بِدفع الجزية وتقديم المساعدة العسكرية للجانب العثماني عند الضرورة، ممّا أثار استياء ابنه أندرونيكوس الرابع Andronicus IV، معلناً تمرده بالاشتراك مع صاووجي بك Sowji Beck ابن السلطان العثماني مراد الأول، بسبب تذمر الإثنان من سياسة والديهما، تم القضاء على ذلك التمرد، وعُيِنَ مانويل الثاني مساعداً له في الحكم مؤكّداً بذلك تبعيته للعثمانيين[1]، وبعد وقت قصير من سجن أندرونيكوس، باع يوحنا الخامس جزيرة تينيدوس Tenedos Island[2] إلى البندقية، لكن جنوه لم ترضَ حصول البنادقة الذين كانوا في حرب على الجزيرة، فقامت جنوه في عام (778هـ/ 1376م) عن طريق مستعمرتها بغلطة Galata[3]، بتقديم المساعدة لأندرونيكوس، وكذلك قدمت له القوات العثمانية المساعدة[4]، ممّا أمكنه من الهرب من السجن والسيطرة على القسطنطينية، وسجن والده الإمبراطور يوحنا الخامس وشقيقه الأصغر مانويل، وفي المقابل أعطى أندرونيكوس جزيرة تينيدوس إلى جنوه، وغاليبولي إلى العثمانيين، هذه الأفعال ورطت أندرونيكوس بعد وقت قصير من توليه منصبه في حرب مع البندقية، بالإضافة إلى تتويجه ابنه يوحنا السابع مساعد له في الحكم عام (778هـ/ 1376م)، وأصبح نتيجة لذلك ما لا يقل عن أربعة أباطرة داخل بيزنطة، عبارة عن ألعوبة في سياسات العثمانيين والمدن الإيطالية، فقد

---

(1) Ostrogorsky, History of Byzantine State, p. 543

ضبيع، صلاح، العلاقات العثمانية البيزنطية، دار الاجتهاد للنشر، بيروت، 1999م، ص 185.

(2) جزيرة تينيدوس Tenedos Island: تقع في الجزء الشمالي الشرقي من بحر إيجه، على مسافة لا تتجاوز 40 مرحلة عن البر (المرحلة تعني مسافة يوم)، ويبلغ امتداد محيط الجزيرة حوالي 80 مرحلة، وفيها مدينة إبولية، وميناءان ومعبد لأبوللون السمينثيسي، وينتشر حول تينيدوس عدد من الجزر الصغيرة بما فيها اثنتان تحملان اسم كاليدان، وتقع هذه الجزيرتان على الطريق إلى ليكتوس، وحتى جزيرة تينيدوس نفسها كان بعضهم يدعوها كاليدان، وبعضهم الآخر لوكوثريس، وكانت الجزيرة هي التي وقعت فيها أحداث أسطورة تينوس، ومن= =هنا جاء اسم الجزيرة. سترابون، س، الجغرافيا سبعة عشر كتاباً في جزأين، ج2 (11-17)، تر: حسان مخائيل اسحق، ط1، دار مؤسسة رسلان للطباعة، سوريا- دمشق، عام 2017، ص137.

(3) غلطة: الجزء المقابل لضفاف مدينة القسطنطينية بمثابة مستعمرة أو مركزاً تجارياً للتجار الطليان من البندقية، وسواها وقد توسع وعمر فيها تجار جنوى حبهم التجاري بعد عودة الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس إلى العاصمة عام 1261م، وأنشأ التجار اللاتين هناك ميناءً تجارياً. أحمد، محمد، تاريخ الحضارة البيزنطية الاجتماعي والثقافي والفني، تح: سهيل زكار، دار التكوين، سوريا، عام 2010م، ص55.

(4) Treadgold, History of the Byzantine State, p.780.

تعهد أندرونيكوس بزيادة الجزية التي كانت تدفعها بيزنطة للعثمانيين، وتقديم المساعدة العسكرية لهم عند الحاجة[1].

استمر أندرونيكوس الرابع في الحكم حتى عام (781هـ/ 1379م) عندما تمكّن يوحنا الخامس وابنه مانويل الثاني من الهرب إلى بلاط السلطان العثماني مراد الأول، وتَمَّ الاتفاق على تنازل بيزنطة عن فيلادلفيا إلى العثمانيين آخر الممتلكات البيزنطية في الأناضول، مقابل مساعدته في استعادة عرشه، وتمكَّن يوحنا الخامس من استعادة العرش بمساعدة العثمانيين، والبندقية التي أمدته بأسطول حربي نكاية بغريمتها جنوه عام (781هـ/ 1379م)[2].

ثالثاً: منعكسات التوسُّع العثماني في الأناضول بين عامي 792-804هـ/ 1390- 1402م:

أمام استمرار التوسّع العثماني وتقدّمهم في البلقان، أدركت كل من البندقية وجنوه الوضع الخطير في الأناضول، وتركت خلافاتهما، وتَمَّ الاتفاق على تشكيل قوة مشتركة لدعم بيزنطة ضد العثمانيين في الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية قد وصلت إلى درجة كبيرة من الضعف والهوان وأصبحت تابعة للسلطان العثماني[3].

فتشكَّل تحالف صليبي ضد العثمانيين ضمَّ كل من بلغاريا، صربيا، البشناق[4]، بولندا والمجر، واستغل الصليبيون التوتر الذي كان قائماً بين علاء الدين بك القرماني أمير القرمان الذي كان يخشى ازدياد توسع الدولة العثمانية، فقد كانت إمارة قرمان تنظر بعين الخوف الشديد من

---

(1) Castellan (George). History of the Balkans From Mohammed the Conqueror to Stalin Hardcover, Translator, Nicholas Bradley, New York, 1992, p. 52.

الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص 58.

(2) Treadgold, History of the Byzantine State, p.781.

(3) اسطيفان، نجيب، صراعات الكنيسة وسقوط القسطنطينية، ط1، دار التكوين، دمشق سوريا، عام 2011م، ص 266.

(4) البشناق: هم سكان أقليم البوسنة، شعوط، المعتصم بالله إبراهيم، جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين حتى فتح القسطنطينية 755-857هـ/ 1354-1453م، جامعة الملك فهد الوطنية، السعودية، 1980م، ص63.

ازدياد قوة العثمانيين، وقد استغل أميرها علاء الدين فرصة انتقال السلطة إلى مراد لتحريض الأمراء الآخرين على قتال العثمانيين[1].

استغل الصليبيون انشغال السلطان مراد الأول في عقد الصلح مع الأمير القرماني علاء لصالحهم وتمكنوا من حشد قوات بلغت قرابة مائتي ألف جندي، واستطاعوا إيقاع هزيمة عسكرية أليمة بالعثمانيين في معركة بلوشنيك شمال بلغاريا عام (788هـ/1387م)، كما سعى الأمير البيزنطي مانويل الثاني حاكم سالونيك إلى نقض علاقة التبعية بمراد الأول[2]، الذي دفع مراد الأول إلى مهاجمة سالونيك، ومحاصرتها إلى أن استسلمت المدينة في 9 نيسان عام (789هـ / 1387م)[3]، وفرَّ مانويل منها، وعدَّ يوحنا الخامس موقف ابنه المعادي للعثمانيين معارضاً مع سياسته، وتسبب في فقدان ثاني مدن الإمبراطورية[4].

استغل مراد الأول ضعف الإمبراطورية البيزنطية ودول البلقان فتقدم حتى سيطر على مدينة نيش سنة (788هـ/ 1386م) ، ممّا أثار ملك البلغار يوحنا شيشمان John Shishman، الذي أراد الانضمام إلى أمير الصرب لازار Lazar، إلاّ أنَّ السلطان مراد الأول استبق ذلك التحرك، وأرسل جيشاً فاجأ جيوش البلغار وهزمهم، ثم تقدم حتى فتح مدينة ترنوفو Turnovo [5] عاصمة الممّالك البلغارية، واضطرَّ شيشمان أمام ذلك أن يحتمي داخل مدينة نيقوبوليس Nicópolis سنة (790هـ/ 1388م)[6]، حيث جمع ما بقي من جيشه، ثم هاجم العثمانيين للمرة الأخيرة لكنه هُزِمَ

---

[1] فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 129.

[2] شناوي، عبد العزيز محمد، أوروبا في مطلع العصور الوسطى، دار المعارف، عام 1969م، ص105./ كلود، تاريخ بيزنطة، ص 124.

[3] Nihat Çelik: "Black Sea and the Balkans under Ottoman Rule", Karadeniz Araştırmaları,. Cilt: 6, Sakarya university, Turkey. 2008, p12.

[4] ضبيع، العلاقات العثمانية البيزنطية، ص 185 – 186.

[5] ترنوفو Turnovo: مدينة تقع في شمال بلغاريا، تقع على الحدود ما بين رومانيا وبلغاريا. موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ص 351.

[6] نيقوبوليس Nicópolis: مدينة تقع في بلغاريا على نهر الاستروم، بالقرب من مدينة ترنوفا Ternova، وسط بلغاريا. موستراس، المعجم الجغرافي، ص484.

وأُسِرَ، وعلى الرغم من ذلك فإن السلطان مراد الأول سمح له بحكم نصف بلاده بشكل شبه مستقل وضم السلطان النصف الآخر من بلغاريا إلى الدولة العثمانية[1].

شكل التقدّم العثماني الناجح تهديداً مباشراً لدولة الصرب بزعامة الأمير لازار، الذي عمل على إثارة حليفه ملك البشناق تفرتكو Tefertko (784-792هـ/1353-1391م)على العثمانيين، واشتبكا في قتال عنيف سنة (790هـ/ 1388م)، أدى لهزيمة العثمانيين وانسحابهم، وكان لِهذه المعركة أثر بارز في تأخير سقوط البشناق Bushnaq بيد العثمانيين سنين طويلة، كما ألهبت الشعور الوطني والديني المسيحي، وأظهرت إمكانية هزيمة العثمانيين[2].

إلا أنَّ الجيش العثماني استطاع بعد ذلك بقيادة بايزيد الأول من تحقيق النصر على الصرب في معركة قوصوه Qosoh battle عام (790هـ/1389م)[3]، والتي انتهت بجرح قيصر الصرب لازار الذي وقع أسيراً في يد العثمانيين مع عدد من النبلاء، كما قتل مراد الأول أثناء قيامه بتفقد ساحة المعركة[4]، ويصف ابن حجر العسقلاني بايزيد بأنه كان مرهوب الجانب ويحب العلم والعلماء وبأنه أعظم ملوك العالم[5]

أصبح يوحنا السابع باليولوج John VII Palaeolog (772-810هـ/1370- 1408م) إمبراطوراً بيزنطياً حكم لخمسة أشهر في سنة (783هـ/1390م)، وعندما اعتلى أبوه اندرونيكوس الرابع العرش (1376-1379م) بعد ان أطاح بأبيه يوحنا الخامس (756-777هـ/1355-1376م) عام (777هـ/1376م) أصبح يوحنا السابع امبراطوراً مشاركاً، لكن تمت الإطاحة بهما،

---

(1) فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 135.

(2) Finkel, Caroline, Osman's Dream, The History of the Ottoman Empire, 2005. pp. 20-21

(3) فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 135.

معركة قوصوه: جرت في 15 حزيران عام 1389م بين العثمانيين بقيادة السلطان مراد الأول، وأمراء البلقان بقيادة حاكم صربيا لازار، وملك البوسنة تفرتكو الأول انتهت المعركة بانتصار العثمانيين، وقتل فيها السلطان مراد الأول على يد جندي صربي هو ميلوش كوبيلتش Milosh Kobilich، الذي طلب مقابلة السلطان العثماني بهدف اعلان اسلامه امامه وعندما اقترب من السلطان طعنه بخنجره، وتولى بايزيد الأول الحكم من بعده، وكانت معركة قوصوه أول نجاح يحققه العثمانيون ضد التحالف الأوروبي الصليبي. الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص61-63.

(4) مؤنس، حسين، أحاديث منتصف الليل، القاهرة – مصر، دار الهلال عام 1977م، ص 68 – 69.

(5) أبناء الغمر بأنباء العمر، ج2، ص226..

ولحل النزاع منح الإمبراطور البيزنطي يوحنا الخامس ابنه أندرونيكوس مقاطعة سيليمبريا Selimbria، وبعد وفاة اندرونيكوس عام 786هـ/1385م خلفه ابنه يوحنا السابع في منصبه، وفي 14 نيسان عام (783هـ/1390م) أطاح يوحنا السابع جده يوحنا الخامس عن الحكم واعتلى العرش بدلاً منه، واستمر في منصبه خمسة أشهر حيث تمكّن يوحنا الخامس من استعادة عرشه من جديد بفضل مساعدة ابنه مانويل ومساعدة جمهورية البندقية، وذلك عام (792هـ/ 1390م)[1]، حيث لجأ الإمبراطور (يوحنا الخامس وابنه مانويل) إلى بايزيد الأول وأبرما معه معاهدة تقتضي بِزيادة المال الذي يدفعانه إلى العثمانيين، وأن يبذلا جهداً أكبر في مساعدة الجيوش العثمانية وقت الحرب، وفي الوقت نفسه التجأ يوحنا السابع إلى بايزيد الأول طلباً للأمان، والذي اتخذه وسيلةً للضغط على الإمبراطور يوحنا الخامس، الذي وجد نفسه رهينة بقدر ما كان تابعاً، واضطرَّ تحت طلب بايزيد الأول إلى إرسال قوة عسكرية، مؤلفة من مائة جندي بقيادة ابنه مانويل، اشتركت مع العثمانيين في حروبهم، وبهذا أصبح الأباطرة البيزنطيون مجرد ألعوبة في يد السلطان العثماني يحركهم كيفما شاء[2].

استغل الإمبراطور البيزنطي يوحنا الخامس انشغال السلطان بايزيد الأول بِفتوحاته في الأناضول فعمد إلى ترميم أبراج وأسوار القسطنطينية وتقويتها، كما شيَّد بعض القلاع الجديدة، إلاَّ أنَّ السلطان العثماني أمره بِهدم أعمال التجديد كافة وهدَّده، إن لم يفعل ما يُؤمر به، بِفقيء عينيّ ابنه مانويل، الذي كان ما يزال في رفقة الجيش العُثماني، فاضطرَّ يوحنا الخامس إلى الاستجابة، ولم يستطع تحمل إذلال السلطان العُثماني، فمات عام (793هـ/ 1391م)، وعندما علم ابنه مانويل بِوفاته، تمكن من الفرار والعودة إلى القسطنطينية، وتربَّع على سدة الحكم باسم مانويل الثاني(793-827هـ/1391-1425م) [3].

---

(1) طقوش، تاريخ العثمانيين، ص 58.

Necipoglu, Nevra: Byzantium between the Ottomans and the Latins: Politics and Society in the Late Empire. Cambridge University Press, 2009, p39.

(2) ضبيع، "العلاقات العثمانية البيزنطية، ص 186.

رستم، أسد، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم، بيروت – لبنان، منشورات المكتبة البوليسية، ج2، ط2، عام 1988م، ص 255.

(3) يلماز، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية، ص 104.

الأمر الذي عدَّه بايزيد الأول إهانة له، وتحدياً لمشاريعه داخل بيزنطة ممّا دفعه لفرض الحصار على العاصمة القسطنطينية، ونتيجة لذلك طلب مانويل الثاني المساعدة من الغرب الأوربي، وفي الوقت نفسه عقد سلاماً مع العثمانيين[1].

مع تساقط الحصون البيزنطية في أوروبا بِيد العُثمانيين اعتقد البلغار أنهم أضحوا ورثتها في البلقان، ونتيجة لذلك كان الصدام حتمياً بينهم وبين العثمانيين، فقد كانت بلغاريا تشكل حاجزاً فاصلاً بين السلطان بايزيد الأول وسيجسموند ملك المجر، والذي أدرك مدى التهديد الذي مثله العثمانيون على مملكته، لذلك بادر إلى مد يد المساعدة لبلغاريا، ونجح البلغار في الاستيلاء على مدينة نيقوبوليس وذلك في سنة (794هـ/ 1392م)[2].

الأمر الذي دفع بايزيد الأول للتوجّه لوقف البلغار، وضم ما تبقى من البلاد البلغارية إلى الدولة العثمانية، بعد أن كان السلطان مراد الأول قد ترك نصفها لِشيشمان على أن يدفع له خراجاً سنوياً معيناً[3]، وبعد العديد من المعارك تمكن بايزيد الأول من استعادة نيقوپوليس– المعقل الأخير للخان البلغاري يوحنا شيشمان – فدخلها وقبض على شيشمان وأعدمه، وبذلك فقدت بلغاريا استقلالها السياسي، الأمر الذي أدّى لانتشار الرعب في أنحاء أوروبا، وتصاعدت دعوات القوى المسيحية للقضاء على الوجود العثماني في البلقان[4].

خشي سيجسموند من أن يحل ببلاده ما حلَّ ببلغاريا، بعد أن تاخمت حدود مملكته مناطق السيطرة العثمانية، فأرسل إنذاراً إلى بايزيد الأول للانسحاب من بلغاريا، مدركاً في الوقت نفسه أنهُ لا طاقة له بمقاومة العثمانيين من دون مساعدة خارجية، لذا استنجد بأوروبا الغربية[5]، وفي الوقت نفسه كان الإمبراطور البيزنطي قد توجَّه بطلب المساعدة من أوروبا وعلى رأسهم فرنسا وإيطاليا والمجر[6]، وكان لابدَّ لمواجهة الخطر العثماني من توحيد قوى المنطقة مع القوى الغربية، حيث كانت البندقية من أكثر المدن اهتماماً بتشكيل الحملة وتوصلت إلى تفاهم مع كل من جنوه

---

(1) Shaw, History of the Ottoman Empire, P. 31.

(2) Gibbons, Herbert: The Foundation of Ottoman Empire1300-1403, London, 1968, pp. 194-195.

(3) فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 132.

(4) اسماعيل، أحمد، الدولة العثمانية، ص 41.

(5) Shaw, History of the Ottoman Empire p.31.

(6) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p.50-51.

والإمبراطور البيزنطي الذي كان من أول المرحبين بتشكيلها، كما كان من بين الداعين لها كل من أمير والاشيا فلاد الثاني(796-849هـ/1394-1447م) وشارل السادس ملك فرنسا (782-824هـ/1380-1422م)[1]، وكانت البندقية تخشى من سقوط القسطنطينية بيد العثمانيين خاصة بعد قبول الإمبراطور البيزنطي دفع الجزية للسلطان العثماني، وبعد سيطرة العثمانيين على المضائق وتشديد الحصار على القسطنطينية كانت البندقية أكثر قلقاً من المجر ما دفعها للتفاهم مع المجر للتصدي للخطر العثماني[2].

أدركت البندقية أهمية مشاركة كل من جزر رودس Rodhos، وخيوس Chios القريبة من القسطنطينية، وميتلين Mytilen [3] أكبر جزيرة في بحر إيجة، فهي مناطق ذات مواقع استراتيجية مهمَّة يمكن استخدامها مثل قواعد انطلاق ضد العثمانيين[4]، وكان الإمبراطور البيزنطي يرغب بالمشاركة في الحملة إلا أنه كان يخشى من ردة فعل السلطان العثماني في حالة فشلها[5]، أما انكلترا كانت الوحيدة التي أسهمت بعدد من القوات بعد أن حلت حقبة من السلام النسبي خلال الحرب التي كانت بينها وبين فرنسا عام (797هـ/ 1395م) حيث أسهم الطرفان في الحملة الصليبية ضد العثمانيين، وذلك من خلال التنسيق بين كل من ملك انكلترا ريتشارد الثاني Richard II، وملك فرنسا شارل السادس Charles VI (1368 - 1422م/ 769-825 هـ)، أما مشاركة البابوية فقد كان لها إسهام كبير واهتمام كبير بالقوى السياسية المتحالفة حيث أصدر البابا بونيفاس التاسع Boniface IX (791-806هـ/1389-1404م) عفواً عاماً لجميع الذين شاركوا في هذه الحملة عام (796هـ/ 1394م) [6].

من الملاحظ بأنَّ البابوية على الرغم ممّا كانت تعانيه من مشاكل داخلية فإنها عملت جاهدةً لإطلاق هذه الحملة، وهي لم تكن في الحقيقة مدفوعة ضد الخطر العثماني الذي يهدد بيزنطة أو البلقان؛ لأن هذا الخطر كان موجوداً منذ منتصف القرن السابع الهجري، الرابع عشر الميلادي،

---

[1] Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire. p.59.

[2] رستم ، الروم، ج2، ص257.

[3] رودس، خيوس، ميتلين: جزر تقع في البحر الأبيض المتوسط عند مدخل بحر ايجة جنوب غرب الأناضول. الترمانيني، التاريخ الإسلامي،ج4، ص822.

[4] Gibbons, Foundations, p.205.

[5] Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, p.59.

[6] Pears, The Ottoman Turks, p.675.

وإنما الدافع وراء حماس ورغبة البابا بونيفاس في دعم هذه الحملة من ناحية الرغبة في استقطاب المؤيدين والمناصرين له نتيجة صراعه مع الكرادلة في أفينون، ومن ناحية أخرى لإنقاذ المجر من أيدي العثمانيين، والتي مثلت القوة التي استخدمتها البابوية في تأديب كل المناطق الأرثوذكسية، والتي كانت لاتينية المذهب مقارنةً بحماسة البابوية لتشكيل حملة صليبية لدعم كل من بيزنطة والصرب والبلغار الذين كانوا على المذهب الأرثوذوكسي، ويُعدّون بنظر البابوية منشقين عن تعاليم الدين، وبغض النظر عن دوافع القيام بهذه الحملة فقد كانت أوروبا على استعداد للمشاركة بقواتها العسكرية فيها[1].

كانت خطة سيجسموند استدراج قوات بايزيد الأول إلى داخل الأراضي المجرية ومن ثم الهجوم عليهم ومباغتتهم وذلك نتيجة خبرة سيجسموند بأساليب العثمانيين العسكرية في القتال، إلا أنَّ الصليبيين سيطر عليهم حماس تحرير واستعادة بيت المقدس والأمل في تحقيق النصر بسهولة من دون أخذ الحذر اللازم ممّا أدى بهم إلى عكس ما كانوا يرغبون[2].

تحرك الجيش الصليبي في عام (798هـ/ 1396م) وتمكَّن من السيطرة على مدينة فيدن Vidin[3]، وأعمل فيها القتل والذبح، حيث لم يترك السلطان العثماني سوى مجموعة صغيرة من الجنود في مدينة فيدين لحمايتها، وبالتالي عندما وصل الصليبيون عمل حاكم المدينة يوحنا سراتسمير Sratismir، الذي كان تابعاً للسلطان العثماني على فتح أبواب المدينة أمام الجيش الصليبي، واعترافه بالتبعية لسيجسموند[4]، ومن ثم توجه الجيش الصليبي باتجاه حصن راهوفا Rahova، الذي كان يتحصن بداخله عدد من الجنود العثمانيين، والذين أبدوا مقاومة شديدة أدت إلى إخفاق محاولة الصليبيين لاقتحامه، ولكنّ إصرار سيجسموند على اقتحامه وإمداد المحاصرين

---

(1) بروكلمان، كارل، الأتراك العثمانيون وحضارتهم، تر: نبيه أمين فارس– منير البعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، عام 1949م، ص419.

(2) Haldon, John, A History of Byzantium Tempus Publishing Ltd, 3rd edition, 2005, p.146.

(3) فيدن Vidin: مدينة بلغارية محصنة على ضفاف نهر الدانوب في شمال بلغاريا، بالقرب من الحدود الصربية الرومانية. موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية البيزنطية، ص487.

(4) Nicol, The Last Centuries of Byzantium, p. 304.

له بالكثير من العتاد والأدوات اللازمة للحصار مكَّنه من اقتحام الحصن وقتل كل من كان موالياً للعثمانيين والبلغار على حد سواء[1].

ونتيجة لقلة خبرة وقوة الأسطول العثماني تجنب الاشتباك مع الأسطول الصليبي الذي كان على رأسه الأسطول البندقي الذي استمر في مسيرة تقدمه حتى مصب نهر الدانوب[2] حيث انضم إليه كل من سفن الجنويين وجزيرتي رودس ولسبوس[3].

كان لانضمام سفن جزيرة رودس إلى الأسطول الصليبي أثره في زيادة حماس المهاجمين الذين وصلوا إلى مدينة نيقوبوليس وعملوا على حصارها لما يقرب من خمسة عشر يوماً نظراً لصعوبة اقتحام أسوارها [4]، وكان مما زاد من إصرار المدافعين عن المدينة هول المذابح التي ارتكبتها الجيوش الصليبية أثناء مسيرها، ممّا زاد الخوف من سقوط المدينة، ومع اقتراب وصول السلطان العثماني وقواته بدأ اليأس يتغلغل إلى قلوب المحاصرين للمدينة[5].

وكان قادة الفرق الصليبية المشاركة في الحملة يحلم بإحراز النصر ممّا زرع الغيرة والخلاف فيما بينهم و بدأوا يفكرون بالانشقاق عن الجيش تحت قيادة سيغيسموند[6] وعلى الرغم من محاولته محاولته إعادة الوحدة والنظام لقواته إلا أنها استمرت بالانقسام، وخلال ذلك ظهر السلطان العثماني بايزيد الأول على رأس قواته بشكل مفاجئ، وقتل وأسر من الصليبيين أعداداً كثيرة، وعلى الرغم من محاولة سيجسموند إنقاذ قواته إلا أنه لم يستطع، وأمام ذلك هرب ملك المجر على متن إحدى سفن أسطول البندقية إلى بلاده[7].

---

(1) Haldon, A History of Byzantium, p. 146.
(2) Gibbons, Foundation, p. 205.
(3) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 51-53.
(4) رستم، الروم، جـ 2، ص258.
(5) رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، جـ3، بيروت، دار للثقافة للطباعة والنشر، عام 1980م، ص 766.
(6)Vambery, Arminius, Hungary In Ancient, Medieval, And Modern Times London, 1887, p. 183.
(7) Pears, The Ottoman Turks, p. 67. / رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، جـ 3، ص 768

انتهت الحملة بخيبة أمل الأوروبيين في القضاء على العثمانيين، وأصبح الاعتقاد السائد قرب سقوط القسطنطينية بيد العثمانيين[1].

بعد هذا النصر الذي حققه بايزيد الأول على الصليبيين في معركة نيقوبوليس عام (798هـ/ 1396م) تمكَّن من استرداد المناطق كلها التي كان قد سيطر عليها الصليبيون، وتراجعت القوات الأوروبية بعد أن سقط الكثير من القتلى والأسرى[2]، كما انضمت إلى القوات العثمانية بعد هذه المعركة أعداداً كبيرة من التركمان وغيرهم ممن هربوا من تقدم تيمور لنك[3].

وقفت الدولة البيزنطية موقف الحياد من تقدم القوات الصليبية، وكل ما قام به الإمبراطور البيزنطي حيال معركة نيقوبوليس هو تقديم الوعود بمساندة القوات الصليبية، إلاّ أنّه لم يلتزم بتنفيذ أي من هذه الوعود[4].

حقيقة الأمر أنَّ عدم مشاركة بيزنطة في القتال إلى جانب الصليبيين كان أمراً مبرراً نتيجة تخوف بيزنطة من بقائها بمفردها في مواجهة العثمانيين في حال انسحاب القوات الصليبية، و كان المسوغ في حيادها هو رغبتها في إبقاء حالة السلام المؤقت والود النسبي المتبادل بينهما[5]، إلاَّ أنَّ أنَّ بيزنطة عُزلت عن بقية جيرانها نتيجة تقدم وحصار القوات العثمانية ممّا منعها من تقديم أي مساعدة، ولم تكن تمتلك أي قوات أو مؤن أو مساعدات لتقديمها للقوات الصليبية.

عقب هزيمة الجيش الصليبي في معركة نيقوبوليس، توجه بايزيد الأول إلى القسطنطينية لاستكمال حصارها، مبرراً ذلك بغضبه من الموقف الحيادي للإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني حيث كان يتوقع السلطان العثماني مشاركة البيزنطيين وتقديم المساعدة له، ويبدو أنَّ لذلك علاقة بالمدى الذي امتنع فيه الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني عن الوفاء بالتزاماته تجاه الدولة العثمانية، إذ امتنع عن إنشاء حي للمسلمين، ومحكمة ومسجد في القسطنطينية، والراجح أنه أراد التخلص من التبعية لبايزيد الأول، ونتيجة لذلك ساد الشعور بقرب سقوط القسطنطينية بيد

---

(1) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 53. / Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, P. 60.
(2) Oman, Charles. A History of the Art of War in the Middle Ages: 1278-1485, Vol. 2, London, 1999, p. 2-51.
(3) Gibbons, Foundation, p. 224.
(4) Pears, The Ottoman Turks, p. 675.
(5) Shaw, History of the Ottoman Empire, p. 21.

العثمانيين[1]، وقد عمل السلطان العثماني على نشر الاضطراب والحروب الأهلية داخل الإمبراطورية البيزنطية من خلال تشجيع طرف على طرف آخر بوقوفه إلى جانب يوحنا السابع المطالب بالعرش من عمه مانويل الثاني[2].

عمل السلطان بايزيد الأول لإكمال حصار القسطنطينية، إلى بناء قلعة «أناضولي حصار»[3] على مسافة ثمانية كيلومترات منها على ساحل مضيق البوسفور، وأصبحت تتحكم بحركة السفن الداخلة والخارجة من المضيق[4]، وأمام ذلك سعى الإمبراطور مانويل الثاني – جاهداً – في طلب المساعدات العسكرية من الغرب، فكتب خطابات عديدة إلى أمراء وملوك غرب أوروبا، وكان قد أرسل الإمبراطور مانويل الثاني سفارة إلى شارل السادس ملك فرنسا، وعلى رأسها عمه تيودور حاملاً رسالة شخصية من مانويل الثاني تضمنت: " تعرف يا أخي القوة التي يتمتع بها العثمانيون أعداء المسيح...، لقد عانينا لمدة ثلاث سنوات في حرب لم نكن طرفاً فيها، ولقد استغل الأمير العثماني بلادنا لخدمة مصالحه، فترى يا أخي ما سيحدث لو دخل العثمانيون بيزنطة وأعتقد أن بلادنا تستطيع أن تصمد إلى الصيف المقبل، وأثناء ذلك نتمنى أن تصل إلينا الإمدادات لمساعدتنا، لذلك أرسلنا مبعوثنا إليكم، عمنا العزيز " تيودور " الرجل الحكيم، فأرجو أن تستمع إليه وإلى عرضه فهو نائب عني لديكم، وإنني أرى منكم الاستعداد لحماية المسيحية" [5].

يتضح من تلك الرسالة مدى الضعف الذي ألم بأباطرة بيزنطة لدرجة أنهم كسبوا التعاطف عن طريق إثارة موضوع حماية المسيحية ببلادهم من الخطر التركي وطلبهم المساعدة من حكام أوروبا ممّا أثار إعجاب الملك الفرنسي بأسلوب الرسالة، واستجاب لطلب مانويل الثاني.

---

(1) مصطفى، أحمد عبد الرحيم، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، بيروت، عام 1982م، ط1، ص55.

(2) Runciman, Steven, The Fall of Constantinople 1453, Cambridge University Press, 1965, p. 40.

هايد، ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد رضا محمد رضا، الهيئة العامةج2، القاهرة، عام 1991م، ص 122.

(3) قلعة أناضولي حصار: بنيت عام 1397م، على الشاطئ الآسيوي، على مسافة 6 أميال شمال العاصمة البيزنطية. عمران، محمود سعيد، معالم التاريخ الإسلامي الوسيط، دار النهضة العربية، عام 1998م، ص121.

(4) إبراهيم ، تاريخ الدولة العثمانية، ص 47.

(5)Barker, J. W. Manuel II Palaeologus 1391- 1425, A study in later Byzantine statesmanship, Rutgers University Press, 1st Edition, 1969, p. 154-158.

حقيقة الأمر أنَّ استجابة ملك فرنسا لنداءات الإمبراطور مانويل الثاني هو لرغبة فرنسا في الدفاع عن الجالية الجنوية في البيرا، وذلك لأن فرنسا أصبحت سيدة على جمهورية جنوه عام (796هـ/ 1394م)، وبطبيعة الحال كان لابدَّ أن تمتد سيادتها على المستعمرات الجنوية في العالم البيزنطي والبحر الأسود، وكذلك كانوا يرغبون في الأخذ بثأر الجيش الفرنسي الذي هُزم في معركة نيقوبوليس عام (798هـ/ 1396م)[1]، ونتيجة لذلك أعدَّ الملك الفرنسي في ربيع عام (801هـ/ 1399م) حملة مكونة من ألف ومائتي رجل أوكل قيادتها ليوحنا مينجري John Meingre المعروف بالمارشال بوسيكيو Boucicaut، وكان يعرف بالشجاعة والخبرة في المعارك، وقد شارك في معركة نيقوبوليس وأسر على يد بايزيد الأول في هذه المعركة، وأطلق سراحه من المعسكر التركي بعد دفع فدية هو ومن معه ممن اشتركوا في الحملة على الأتراك[2]، وقد ساعد الإعلان عن إرسال حملة بوسيكيو في رفع معنويات سكان بيزنطة وريادة صمود الإمبراطور البيزنطي أمام العثمانيين، وعلى الرغم من حجم قواتها الصغير استطاعت في غضون بضعة أسابيع، تخليص نواحي العاصمة وضواحيها من الحضور العثماني، ونجحت الحملة في طرد وتهجير الأتراك من قصورهم ومعاقلهم المنتشرة على مقربة من مدينة القسطنطينية، التي كانت لقرابة العشرة أعوام الماضية محاصرة ومهددة من الأتراك، كما شكلت بارقة أمل في وسط الظلام واليأس الذي يعيشه البيزنطيون[3].

كانت الحملة محاولة لإنقاذ القسطنطينية، حتى أن بوسيكيو أدرك أن قواته وإن نجحت في تخفيف الضغط العثماني على بيزنطة، فإنه ليس بمقدورها استعادة أملاك بيزنطة الضائعة رغم الانتصارات التي حققها، ولذلك كان يدرك أنه يجب على الإمبراطور مانويل الثاني السفر بنفسه لمقابلة الملك الفرنسي شخصياً وطلب المساعدة منه[4].

إنَّ ما جعل فرنسا في طليعة دول غرب أوروبا التي طرق الإمبراطور مانويل الثاني بابها للمساعدة قوة إقناع بوسيكيو من جهة، ومن جهة أخرى لأن البلاط الفرنسي كانت له مصالح في

---

(1) Gibbons , Foundation, p. 236.

(2) Barker, Manuel II Palaeologus, p.162./ Gibbons, Foundation, p. 238.

(3) Bréhier, Louis. Vie Et mort de Byzance, Bibliothèque de synthèse historique, tome 32. Paris,1947, p. 470.

(4) Barker , Manuel II Palaeologus., p. 163

الشرق يحرص على حمايتها وتأمينها وهذا الاحتمال أقرب إلى الحقيقة، فقد كان لدى شارل السادس (1368 – 1422م/769– 825هـ) بواعث على الاهتمام بما يدور في الشرق لأن جنوه وضعت نفسها طواعية تحت سيادة التاج الفرنسي عام (798هـ/ 1396م)[1].

جهز بوسيكيو أمر كل شيء لبدء رحلة الإمبراطور إلى الغرب الأوروبي إلا أنه ظهرت مشكلة من يحل محل الإمبراطور في العاصمة أثناء غيابه عنها، وعند ذلك توسط بوسيكيو للمصالحة بين الإمبراطور مانويل وابن اخيه يوحنا السابع Jhon VII، ليحل محله أثناء غيابه عن القسطنطينية، وتم ذلك في الرابع من أيلول عام (801هـ/ 1399م)[2].

توجه الإمبراطور مانويل عام (801هـ/ 1399م) برفقة عدد كبير من رجال الدين وكبار النبلاء البيزنطيين من مدينة القسطنطينية إلى البندقية إذ وصل إليها عام (802هـ/ 1400م)، وغادرها متجهاً إلى بافيا Pavia [3] وميلان، ومن ثم توجه إلى فرنسا والتقى مع ملك فرنسا شارل السادس، بعد ذلك توجه الإمبراطور البيزنطي لمقابلة الملك الانكليزي هنري الرابع Henry IV (801–815هـ/1399–1413م)، وبعد إنهاء اجتماعه مع الملك الانكليزي توجه عائداً إلى باريس عام (803هـ/ 1401م)، وكان الهدف من جولته هذه حشد أكبر قدر من المساعدات الأوروبية للتصدي للخطر العثماني.

عندما علم السلطان العثماني بايزيد الأول بتوجه الإمبراطور إلى الغرب الأوروبي شدد من الحصار على القسطنطينية[4]، وقد أرسل السلطان بايزيد سفارة إلى يوحنا السابع يطلب تسليم

---

[1] هايد، ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد رضا محمد رضا، الهيئة العامةج1، القاهرة، عام 1985م، ص 124

[2] M. Jugie, Le Voyage de L'Empereur Manuel Palologoe en Occident 1399- 1403, Paris, 1912, p. 326.

[3] بافيا Pavia: مدينة شمال إيطاليا في إقليم لومبارديا، عاصمة مقاطعة بافيا، تقع على نهر تيتشينو، شمال التقاءه مع نهر بو، 35 كم جنوب ميلانو، يعود تاريخ تأسيسها إلى عهد الرومان تحت اسم تيسينوم Ticinum، كانت عاصمة مملكة اللومبارديين، في العصور الوسطى. الشريف الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي الهاشمي القرشي، ت 559هـ/1166م: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، ص753.

[4] Gibbons, Foundation, p.235.

المدينة له عام 804هـ/ 1402م مهدداً يوحنا السابع بذبح جميع السكان في المدينة في حال دخولها بالقتال[1].

كان الإمبراطور يوحنا السابع يدرك حالة الضعف التي حلت بالإمبراطورية وعجزها عن إظهار أي مقاومة تذكر وكان ينتظر معجزة من الرب لإنقاذ المدينة من الحصار العثماني إلا أنه خلال هذه الحقبة ظهر من الجانب الآسيوي خطر جديد هدد أملاك الدولة العثمانية المتمثل بتيمورلنك الأمر الذي دفع السلطان العثماني بايزيد لسحب قواته والتوجه للتصدي للخطر المغولي في منطقة الأناضول[2].

شعرت القسطنطينية بالارتياح وتنفست الصعداء عندما أضحت المعركة بين تيمورلنك وبايزيد الأول وشيكة؛ لأن أسوارها كانت واقعة تحت الحصار العثماني، كما ساد الارتياح وسط الدول الأوروبية التي سعت للاستفادة من قوة تيمورلنك والتحالف معه للقضاء على العثمانيين حيث أرسلت كل من انكلترا، وفرنسا، وإسبانيا سفاراتها إلى تيمورلنك تعرض التحالف معه[3]، وقد تكون رغبة الغرب الأوروبي من التحالف مع تيمورلنك نتيجة الإحساس بالقلق والتقصير في تقديم المساعدة لبيزنطة في مواجهة الخطر العثماني، وهذا يتضح من تصرف الملك الإسباني هنري الثالث (781-808هـ/1379-1406م) الذي عمدَّ عام (804هـ/1402م) إلى إرسال سفارة لتوطيد العلاقة مع تيمورلنك، وعاد وأرسل سفارة أخرى عام (805هـ/1403م)[4].

وعلى الرغم من توجه السفراء من الغرب إلى بلاط تيمورلنك إلاَّ أنه لا يوجد أي دليل على قيام تحالف عسكري بينهم، وقد يكون الدافع وراء رغبة الغرب الأوروبي إرسال السفارات إلى بلاط تيمورلنك هو سياسة تيمورلنك التي كانت غير مفهومة، والذي كان يرغب للحدّ من الخطر العثماني من التوسّع شرقاً على حساب ممتلكاته، وعدم رغبته في القضاء على العثمانيين والسيطرة على أملاكهم، وكان هدف تيمورلنك التوجه نحو فتح الصين وتأمين أملاكه في الشرق، وقد اتضح ذلك عندما أقدم تيمورلنك عقب معركة أنقرة بحصار مدينة أزمير (804هـ/1402م) Izmir والاستيلاء

---

(1) Runciman, The Fall of Constantinople, p. 40.
(2) Nicol, D. M. The End of The Byzantine Empire, London, 1979, p.73.
(3) Gibbons, Foundation, p. 243.
(4) عبد السيد، حكيم أمين، قيام دولة المماليك الثانية، دار الكاتب العربي، القاهرة، عام 1967م، ص144.

عليها، وإعادة أميرة آيدين Ayden حاكم عليها قبل أن يتجه نحو آسيا الصغرى[1]، وقد أثار ذلك استياء الغرب الذي بدأ في إعادة النظر بأمر التحالف معه، وخاصة أنَّ تيمورلنك لم يبدِ أي اهتمام للسفارات الغربية على الرغم من استقباله الحسن لها[2]، وكان من أسباب العداء بين بايزيد الأول وتيمورلنك هو قيام كل من الطرفين بإيواء الهاربين من الطرف الآخر إذ طلب الحاكم المغولي من السلطان العثماني تسليمه الزعماء الفارين، وأمام رفض بايزيد بدأ الصراع بين الطرفين[3]، حيث أنه مع تقدم تيمور إلى بغداد، وفرار حاكمها أحمد جلال يارا الذي لجأ إلى بايزيد الأول، فإنه مع تقدم بايزيد الأول وسيطرته على الإمارات التركمانية في آسيا الصغرى مثل قرميان Kermian [4]، وصاروخان Sarukhan [5] قد لجأ حكامها إلى تيمور[6]، وقد حاول السلطان العثماني بايزيد التحالف مع المماليك والتودد منهم من خلال إرساله سفارة إلى القاهرة تحمل هدايا قيمة، حاملة رسالة منه إلى السلطان برقوق بخطورة التحركات العسكرية التي يقوم بها تيمورلنك، وأن الأراضي العثمانية والمملوكية في خطر، عارضاً عليه التحالف العسكري بينهما إلا أنَّ السلطان برقوق لم يبدِ موافقته على ذلك التحالف[7]،

---

(1) فياض، محمد محمد، تيمورلنك، دار المعارف، القاهرة، عام 1954م، ص19.

(2) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p.75.

(3) الحنبلي، (ت:1089هـ/1686م)، أبي الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، ج7، عام 1931م، ص47./ ابن سباط الغربي، (ت:692هـ/1522م)، حمزة بن أحمد، صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، ج2، تح: عمر عبد السلام تدمري، لبنان، عام1993م، ص 75.

(4) قرميان Kermian: بلاد تقع غرب الأناضول ما بين اسكي شهر شمالاً وأفيون قره حصار جنوباً. الترمانيني، التاريخ الإسلامي، ج4، ص 825.

(5) صاروخان Sarukhan: مدينة تقع شمال مدينة ازمير على بحر ايجة. الترمانيني، التاريخ الإسلامي، ج4، ص824.

(6) Hammer, Histoire de L'Empire Ottoman, pp. 84- 90.

(7) العيني (ت855هـ/1451م)، بدر الدين أبو محمد بن أحمد بن موسى، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد "الشيخ المحمودي"، تح: فهيم محمد شلتوت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، عام 2003م، ص94./ ابن الصيرفي، (ت:900هـ/ 1497م)، علي بن داود، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تح: حسن حبشي، القاهرة، ج1، عام 1970م، ص365.

وهكذا كان احتماء عدد من الأمراء المعادين للتوسع التتاري إلى البلاط العثماني سبباً للصدام بين القوتين الكبيرتين آنذاك[1]،بعد ذلك تقدمت قوات تيمور عام 802هـ/ 1400م نحو مدينة سيواس Sivvas خط الدفاع الأول للعثمانيين من جهة الشرق التي تفصل بين آسيا الصغرى والعراق، وقتل كل من كان بداخلها من العثمانيين بما فيها ابن بايزيد أرطغرل Ertoghrul ، أغضبت أعمال تيمور بايزيد الأول فأحتل مدينة أرزنجان التي كانت تحت سيادة تيمورلنك[2]، ممّا أغضب تيمور، وأرسل إلى بايزيد الأول سفراء لإنهاء حصار القسطنطينية، وإعادة أملاك الإمبراطور البيزنطي كافة إلاّ أنّ بايزيد الأول رفض، وأهان سفراء تيمورلنك ممّا زاد من حدة التوتر ودفع الطرفان للمواجهة[3].

جمع بايزيد الأول في حزيران 805هـ/ 1402م جيشاً لمواجهة قوات تيمورلنك قدر عدده بسبعين ألف مقاتل[4]، بينهم عشرون ألف من الصرب بقيادة بيتر لازاروس P. Lazarus، ووحدات من تتار القبجاق، ومن إمارات آيدين، وصاروخان، وقرمان، وسيواس، ومنتشا، وحميد، فضلاً عن قوات من البلقان، إلا أن بايزيد تعجل في هذا الأمر حيث أن جيشه كان صغير مقارنة بجيش خصمه تيمور[5]، الذي سار على رأس جيشه المكون من مئة وأربعين ألف مقاتل[6] يتقدمهم يتقدمهم اثنان وثلاثون فيلاً مدرعاً جلبها تيمور من الهند[7]، كان هناك اختلاف كبير بين المصادر المصادر بشأن الجيوش التي اشتركت في هذه المعركة فقد ذكر بعض المؤرخين بأن جيش تيمور كان قرابة المليون جندي، وقوات بايزيد حوالي المائتي ألف[8]، في حيث ذكر البعض الآخر أن كل

---

(1) حليم بك، إبراهيم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت ، عام 1988م، ص38.

(2) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, PP. 59-60.

(3) Runciman, The Fall of Constantinople, P. 41.

(4) اختلفت المصادر في عدد هذا الجيش لكنها اتفقت أنه أقل من عدد القوات التتارية، فهناك من قدره بأكثر من مليون، وآخر بثلاثمئة ألف، وغيرهم قدره بمئة وعشرين ألفاً، وهناك من قدره بتسعين ألفاً.

Shaw, History of the Ottoman Empire, p. 35.

(5) ابن حجر، أبناء الغمر، ج2، ص225.

(6) Gibbons, Foundation, P. 219.

(7) يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1، ص110.

(8) ابن اياس، بدائع الزهور، ج2/1، ص471.

كل جندي من العثمانيين يُقابل عشرة من التتار[1]، وعلى الرغم من أن المؤرخ البريطاني ستانفورد شو Stanford Shaw يقول أن هناك إجماعاً بين المؤرخين على أن قوات تيمور أكبر من جيش بايزيد[2]،

دفعت الأعمال التخريبية التي أقدم تيمورلنك على ارتكابها في المناطق التي مرَّ بها وحرمان بايزيد الأول من موارد المياه إلى استعجال بايزيد الأول لمواجهة تيمورلنك بمغادرة معسكره الذي كان قد أقامه بالقرب من مدينة أنقرة[3]، وهو ما أربك خطط بايزيد واضطر أن يطلب من قواته بذل بذل مجهود أكبر في المسير حتى وصلوا أمام تيمورلنك وهم مجهدين بشكل واضح[4]، وعندما اشتبك الجيشان شهر رجب/ تموز عام (804هـ/1402م)، وما أن بدأت المعركة حتى انسحبت قوات الإمارات التركمانية من صفوف جيش بايزيد[5] ، واستمرت مع ذلك قوات بايزيد الأول تحارب تحارب حتى قدوم الليل عندها وقع بايزيد الأول أسيراً وتفرقت قواته بين قتيل وجريح وأسير[6]، وقد أحسن تيمور معاملة بايزيد في بادئ الأمر لكنه شدد عليه الأسر بعد قيام بايزيد بأكثر من محاولة للهرب، وقد توفي في الأسر سنة 805هـ/1403م، وعندما سمع تيمور بذلك حزن بشدة، وسمح بدفنه في جامع بروسا[7] كما وقع ابن بايزيد الأول موسى بالأسر، بينما تمكن محمد وعيسى من الهرب، ولم يعثر لابنه مصطفى على أثر[8].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص268.

(2) Shaw, History of the Ottoman Empire, p. 34.

(3) أنقرة Ankara: مدينة تقع في وسط الأناضول بالقرب منها جرت الموقعة الكبرى بين بايزيد الأول وتيمورلنك 804هـ/1402م. الترمانيني، التاريخ الإسلامي، ج4، ص 819.

(4) الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص47.

(5) Haldon , A History of Byzantium, p. 146.

(6) Spandounes, Theodore. On the Origins of the Ottoman Emperors, Cambridge University Press, 1997, pp.23-24.

(7) ابن حجر، أبناء الغمر، ج2، ص225./ القرماني،(ت: 1019هـ/ 1610)، أبي العباس أحمد بن يوسف الدمشقي، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بغداد، 1282هـ، ص291.

(8) فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 146.

وقد وصف المؤرخ شهاب الدين ابن عربشاه، أنَّ العساكر العثمانية أصبحت أشبه بالشياهم والقنافذ لكثرة ما أمطرت بالسهام، وأنَّ بايزيد الأول اقتيد مكبلاً إلى تيمورلنك [1].

أشار البعض إلى قيام تحالف بين بايزيد الأول والممّاليك ضد تيمورلنك في معركة أنقرة[2] معتمدين على وصول بعض الممّاليك إلى بايزيد الأول قبل المعركة، إلا أنَّ ذلك لا يدل على قيام تحالف بينهما، لما كان بين الطرفين من توتر نتيجة قيام بايزيد الأول بالإغارة على أملاك الممّاليك عام 1391م، وقد ظهر أثر هذا الخلاف بشكل واضح عند ظهور خطر تيمورلنك فيما قاله السلطان برقوق "ما أخشى من تيمورلنك كل أحد يساعدني عليه، وإنما أخاف ملوك بني عثمان[3]،

---

[1] ابن عربشاه (أبى العباس شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي، ت: 854هـ/1450م)، عجائب المقدور في نوائب تيمور، تح: أحمد فايز الحمصي، بيروت ، 1986 م، ص 135 – 136.

[2] Shaw, History of the Ottoman Empire, p. 35.

[3] عبد السيد، دولة المماليك، ص146.

الفصل الأول: السياسة الداخلية في الإمبراطورية البيزنطية بين عامي (805-856هـ/ 1403-1453م:

أولاً: السياسة الداخلية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الثاني باليولوج (805-827هـ/1403-1425م):

1-الإمبراطور مانويل الثاني باليولوج (793-827هـ/1391-1425م)

2- الصراع السياسي الداخلي بين يوحنا السابع والامبراطور مانويل الثاني (806-811هـ/1403-1408م)

2-الأوضاع السياسية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الثاني

ثانياً: السياسة الداخلية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور يوحنا الثامن باليولوج (827-850هـ/-1425-1448م):

1- الإمبراطور يوحنا الثامن باليولوج

2- الصراع بين يوحنا الثامن وديمتريوس (845-851هـ/1442-1448م)

3- الأوضاع السياسية داخل الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور يوحنا الثامن

ثالثاً: السياسة الداخلية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر باليولوج (852- 856هـ/-1449-1453م).

1- الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر باليولوج.

2- الصراع بين قسطنطين الحادي عشر وديمتريوس (851-856هـ/ 1448-1453م)

3-الأوضاع السياسية في الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر

رابعاً: الإمبراطورات البيزنطيات ودورهن في السياسة الداخلية البيزنطية

أولاً: السياسة الداخلية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الثاني باليولوج (805-827هـ/1403-1425م):

شكلت السنوات الخمسون الأخيرة من حياة القسطنطينية تحت الحكم البيزنطي حقبة حرجة، والتي نجا فيها سكان المدينة من حصارين عثمانيين بين عامي (814-825هـ/1411 و 1422م)، وقبل الاستسلام أخيراً والسقوط بيد العثمانيين بعد الحصار الثالث عام (856هـ/1453م)، فقد واجهوا اتحاد كنيستهم مع كنيسة روما في مجلس فلورنسا عام (842هـ/1439م)، والذي أصبح مصدراً للكثير من الجدل داخل مدينة القسطنطينية، وأدّى إلى انقسامات حادة بين السكان، وقد استمرت الخلافات بين المواطنين حتى اللحظات الأخيرة قبل سقوطها، فعندما ظهرت قوات محمد الثاني حول العاصمة البيزنطية عام (856هـ-1453م) هتفت مجموعة من السكان داخل القسطنطينية والتي أصابها اليأس، بتسليم المدينة إلى اللاتين، فيما ناقضهم آخرون بقولهم: سيكون من الأفضل الوقوع في أيدي العثمانيين من الوقوع في أيدي اللاتين[1]، وعلى الرغم من إعلان اتحاد كنيسة القسطنطينية مع الكنيسة اللاتينية في روما، إلاَّ أنَّ ردود الفعل تجاهه داخل القسطنطينية كانت رافضة له من قبل غالبية السكان بتحريض من المتدينين الرافضين للوحدة، والتي شغلت دوراً في المواقف العامة تجاه اللاتين والعثمانيين أثناء حقبة الحصار.

من أهداف هذا الفصل تسليط الضوء على الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، خلال هذه الحقبة، علاوةً على ذلك تقييم إلى أي درجة كانت القسطنطينية قادرة على التعافي من الآثار المدمرة لحصار بايزيد الأول، وفيما هي الحالة التي كانت عليها المدينة وقت حصار محمد الثاني، ومصير الإمبراطورية البيزنطية من قبل العثمانيين، إلاَّ أنَّ المعلومات المتعلقة بالمواقف السياسية نادرة جداً وعرضية، ولا تميل المصادر إلى الكشف عن تصرفات الأفراد أو الجماعات تجاه اللاتين أو العثمانيين بطريقة مباشرة ومنهجية، باستثناء الحصارين العثمانيين الموجزين المذكورين، تَمَّ الحفاظ على علاقات سلمية نسبياً بين القسطنطينية، والعثمانيين خلال معظم الحقبة التي سلفت مجلس فلورنسا، وتَمَّ التركيز في أجزاء من هذا الفصل على التفاصيل الاجتَمَّاعية، والاقتصادية،

---

[1] Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p.329-365.

والتي أفادت في توضيح القوى المختلفة التي شغلت دوراً في تشكيل وتطوير المواقف السياسية، وكانت نتيجة مباشرة لسقوط القسطنطينية.

1- الإمبراطور مانويل الثاني باليولوج (793-827هـ/1391-1425م):

وُلِدَ مانويل الثاني سنة (752هـ/1350م) وهو الابن الثاني للإمبراطور يوحنا الخامس باليولوج من زوجته هلينا كانتاكوزين تولى حكم سالونيك من قبل والده ما بين عامي (767-772هـ/1365- 1370م) وقد سافر إلى الغرب أثناء ولايته طالباً المساعدة العسكرية ضد الغزاة العثمانيين، بعد محاولة الانقلاب الفاشلة التي قام بها أندرونيكوس الرابع الابن الأكبر للإمبراطور يوحنا الخامس، ثم تَمَّ تعيينه ولياً للعهد، لكن الأمر لم يستَمَّر طويلاً ففي سنة (792هـ/1390م)، وقبل وفاة الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوج بعام واحد اغتصب يوحنا السابع نجل أندرونيكوس الرابع العرش، فقام مانويل بالاستعانة بالجنود البنادقة وأوقع الهزيمة بجيوش يوحنا السابع[1]، وأعيد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوج إلى الحكم مرة أخرى، وعلى الرغم من استعادة الإمبراطور يوحنا الخامس لعرشه إلا أن السلطان بايزيد الأول العثماني أخذ مانويل رهينة وأقام في بلاطه في بورصة، وفي سنة (793هـ/1391م) توفي الإمبراطور يوحنا الخامس، وبمجرد سماع مانويل للنبأ فرَّ من بلاط السلطان العثماني وتوجه إلى القسطنطينية لتسلم مقاليد الحكم فيها باسم الإمبراطور مانويل الثاني، وأمن العاصمة ضد أي مطالبة محتمَّلة من قبل ابن أخيه يوحنا السابع، وعلى الرغم من تحسن العلاقات مع يوحنا السابع، إلا أن السلطان بايزيد الأول حاصر القسطنطينية من عام 1394 إلى 1402.[2]

2- الصراع السياسي الداخلي بين يوحنا السابع والإمبراطور مانويل الثاني (806-811هـ/ 1403-1408م):

بعد عودة مانويل عام (806هـ/ 1403م)، كانت العلاقات بينه وبين يوحنا السابع متوترة مرة أخرى لأنه كان يعلم أن يوحنا السابع لم يعد بإمكانه الاعتمَّاد على دعم العثمانيين، فقد حاول مانويل الثاني استبعاده تمَّاماً من التسلسل الهرمي الإمبراطوري، وجرده من لقب إمبراطور

---

[1] طقوش، تاريخ العثمانيين، ص58.

[2] يلماز، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية، ص104.

مشارك، وحرمه من الأراضي التي كان يحكمها في سيليمبريا وسالونيك، وكان عذر مانويل هو الشائعات بأن يوحنا السابع بدأ مفاوضات عام (804هـ/1402م) مع بايزيد بشأن استسلام القسطنطينية، ويعتقد أن يوحنا السابع وبايزيد اتفقا إذا هزم بايزيد تيمورلنك، فإن يوحنا سوف يسلم المدينة له، لكن من غير الممكن أن يكون مثل هذا الاتفاق قد تَمَّ التوصل إليه، خاصة وأن يوحنا أثبت إخلاصه طوال حقبة ولايته كوصي، وعقد معاهدة مواتية للغاية مع الأمير العثماني سليمان معاهدة غاليبولي (805هـ/1403م)، ولكن من المحتَمَّل أن يكون سبب الاستياء الذي بدأ مجدداً بين يوحنا ومانويل بعد عودة مانويل هو أن مانويل شعر بأنه تَمَّ تجاهله واستبعاده من هذه المفاوضات المهمة [1].

تَمَّ إرسال يوحنا إلى جزيرة ليمنوس Lemnos ، لكنه فر إلى والد زوجته فرانشيسكو في جزيرة ليسبوس، وبعد ذلك بوقت قصير خلال أيلول عام (805هـ/1403م)، أطلق يوحنا وفرانشيسكو حملة بحرية ضد سالونيك، لم تسفر عن نتيجة تذكر، ولم تكن الحملة عبارة عن محاولة للاستيلاء على المدينة من سيطرة مانويل، ولكن بالأحرى لتحريرها من العثمانيين، حيث كانت الحامية العثمانية لا تزال موجودة كانت الحملة صراحة ضد رغبات مانويل، حيث كان مانويل قد استدعى بالفعل يوحنا السابع وربما يكون قد سحب المطالبات البيزنطية بمدينة سالونيك التي تَمَّ الاتفاق على إعادتها لبيزنطة من قبل العثمانيين بموجب معاهدة غاليبولي عام (805هـ/1403م) التي أبرمها يوحنا السابع مع الأمير العثماني سليمان، ونتيجة ذلك عاد يوحنا السابع وفرانشيسكو إلى ليسبوس، ثم توجهوا إلى القسطنطينية على رأس جيش، وخططوا للاستيلاء على المدينة من مانويل بالقوة إلا أنهم اختاروا في النهاية عدم مهاجمة القسطنطينية، وتوصل يوحنا السابع إلى عقد اتفاق سياسي جديد عام (805هـ/1403م) بينه وبين مانويل الثاني مماثل للاتفاق الذي توصلوا إليه عام (801هـ/1399م)، باعتباره ابن مانويل الثاني بالتبني، ظل يوحنا السابع أول إمبراطور مشارك،

[1] Wirth, Peter, Zum Geschichtsbild Kaiser Johannes' VII. Palalologos. Byzantion, Published By: Peeters Publishers, Vol. 35, (1965), pp.598-599.

وظل ابن مانويل الفعلي، يوحنا الثامن، هو الإمبراطور الثاني كما تَمَّ تأكيد حقوق يوحنا السابع في سالونيك[1].

كتب الرحالة القشتالية المعاصر روي غونزاليس دي كلافيجو، الموجود في القسطنطينية في ذلك الوقت، أن كل من مانويل ويوحنا السابع كانا أباطرة كاملين وأن يوحنا السابع كان سيحكم بمفرده بعد وفاة مانويل، وبعد ذلك سيخلفه نجل مانويل يوحنا الثامن، الذي سيخلفه بدوره ابن يوحنا السابع' أندرونيكوس الخامس باليولوج، إلا أنَّ ردود الفعل على الاتفاق لم تكن إيجابية فقد كتب كلافيجو أنه لا يعتقد أن الاتفاقية ستحترم من قبل أي إمبراطور، وبموجب الاتفاق المبرم بين الإمبراطورين توجه يوحنا السابع إلى سالونيك أواخر عام (805هـ/1403م)، وكان برفقته بعض أشد المؤيدين لمانويل الثاني، وهدف مانويل مراقبة أنشطة يوحنا السابع، وتولى يوحنا السابع على الفور الحكم الذاتي في سالونيك بأمر من القسطنطينية[2]، فقد نصت كتابات مانويل على أن يوحنا السابع "مُنح" سالونيك من قبل مانويل، وهي عبارة تشير إلى أن مانويل لا يزال يعدُّ نفسه رئيساً ليوحنا السابع، وعلى الرغم من تولي يوحنا السابع حكم سالونيك وحصوله على لقب إمبراطور، إلا أنه لم يتوقف أبداً عن المطالبة بحقه في أن يكون الإمبراطور البيزنطي الشرعي، واستَمَّر في استخدام لقب إمبراطور في المراسلات الأجنبية، وتَمَّت مخاطبته بنفس طريقة مخاطبة عمه مانويل الثاني، وفي سالونيك أنشأ يوحنا السابع خزنته الخاصة وأصدر عملات معدنية تحمل صورته الخاصة بدلاً من صورة مانويل، كما أنشأ بلاطه الإمبراطوري ومكتبه، حيث تَمَّ توقيع الوثائق باسمه بدلاً من اسم مانويل طوال حقبة حكمه في سالونيك، والتي استَمَّرت حتى وفاته عام (810هـ/1408م)، فقد شهدت الإمبراطورية البيزنطية حقبة حكم مزدوج [3] مقسمة إلى قسمين [4]كانت أنشطة يوحنا كإمبراطور في سالونيك تتكون أساساً من تنظيم الدفاع عن المدينة، وتنظيم

---

[1] Leonte, Florin. Rhetoric in Purple: the Renewal of Imperial Ideology in the Texts of Emperor Manuel II Palaiologos, (PhD thesis). Central European University, Budapest, Hungary, 2012, p.49.

[2] Leonte. Rhetoric in Purple, pp. 49-50.

[3] Leonte. Rhetoric in Purple, pp. 50-52.

[4] Kapsalis, Athanasius. Matthew I, Patriarch of Constantinople (1397 - 1410), his life, his patriarchal acts, his written works, (Thesis Masters). Durham University, (1994), p. 97.

ممتلكات الكنيسة المحلية، ويبدو أنه كان راضياً بحيث لا توجد سجلات أخرى تتحدث عن صراع بين يوحنا السابع ومانويل الثاني بعد أحداث (805هـ/1403م).

لقد كان وصول يوحنا السابع إلى سالونيك لا يعني لأهلها مجرد وصول إمبراطور وإنما محرر لها من العثمانيين وجعلها المدينة الثانية للإمبراطورية البيزنطية، وطوال حقبة حكمه في سالونيك استَمَّر الأهالي في النظر إليه كحاكم مقتدر عمل على تحصين المدينة، وأقام فيها أنظمة ومؤسسات جيدة، وقام يوحنا السابع بتربية ابنه أندرونيكوس الخامس Andronikos V ليكون إمبراطوراً مشاركاً وعدَّ ابنه ليس فقط خليفته الشرعي، بل الخليفة الشرعي المستقبلي للإمبراطورية البيزنطية، ويمكن الاستدلال على ذلك من الأعمال الفنية المعاصرة من سالونيك ، والتي تصور اندرونيكوس الخامس بشكل أكثر بروزاً من وريث مانويل يوحنا الثامن، ولكن مع وفاة أندرونيكوس الخامس عام (809هـ/1407م) أسقطت جميع هذه المخططات، وبعد وفاة أندرونيكوس الخامس بحقبة وجيزة، أصبح يوحنا السابع راهبا متخذاً الاسم الرهباني يوسف، وتوفي في سالونيك بعد عام من وفاة أندرونيكوس الخامس في 22 أيلول عام (810هـ/1408م)، عن عمر 38 عاماً ومع وفاة أندرونيكوس الخامس ويوحنا السابع، فإن السلالة الإمبراطورية المنافسة التي أنشأها أندرونيكوس الرابع زال خطرها [1].

3- الأوضاع السياسية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الثاني(793-827هـ/1391-1425م):

بدأت الأوضاع داخل مدينة القسطنطينية عقب معركة أنقرة وهزيمة بايزيد الأول (805هـ/1403م) بالتحسن فبدأ رأس المال داخل المدينة يلحظ شبه انتعاش ساعد في ذلك بشكل كبير الحروب الأهلية التي اندلعت بين أبناء بايزيد الأول للتنافس على العرش العثماني، وقد حاول ديميتريوس كريسولوراس Demetrius Chrysoloras اللاهوتي البيزنطي المناهض للوحدة تقديم صورة إيجابية متفائلة من خلال خطابه الذي ألقاه في الذكرى الأولى لهزيمة بايزيد الأول في معركة أنقرة بين عامي (805-810هـ/1403-1408م) إلا أن خطابه لم يتوافق مع الظروف الفعلية داخل مدينة القسطنطينية عقب معركة أنقرة فقد أشار إلى أن طبقة الفقراء داخل مدينة القسطنطينية

[1] Leonte. Rhetoric in Purple, pp. 51-51

عام (805هـ/1403م) أصبحوا أثرياء بعد المعركة، وذلك يتناقض مع مضمون رسائل الإمبراطور مانويل الثاني[1] خلال نفس الحقبة التي أوضح فيها الإمبراطور النقص في الأموال الخاصة والعامة في كل من القسطنطينية وسالونيك، كما يوضح السفير القشتالي كلافيجو Clavijo[2] الذي زار القسطنطينية خلال نفس العام الذي كتب فيه الكريسلوراس خطبته، ووصف المنازل والكنائس والأديرة المدمرة في المدينة بشكل واضح، كما أشار إلى النقص الكبير في عدد السكان نتيجة عمليات الهجرة المتكررة إلى المدن الإيطالية جراء الحصار، والمظهر شبه القروي داخل مدينة القسطنطينية، إلا أن ذلك لا ينفي تحسن الوضع داخل مدينة القسطنطينية ولو بشكل تدريجي حيث يوضح رجل الدين جوزيف برينيوس Joseph Bryennios في رسالة كتبها تعود إلى القرن الخامس عشر إلى بدء مظاهر الرخاء الاقتصادي، وانتشار الثروة في كل مكان نتيجة حقبة السلام على الصعيدين الداخلي والخارجي، وقد يكون مرد ذلك إلى وجود طبقة من التجار الذين هاجروا إلى المدن الإيطالية أثناء حقبة حصار بايزيد الأول للعاصمة البيزنطية (804هـ-1402م)، وعودتهم إلى المدينة عقب انتهاء الحصار، الأمر الذي جعل الوضع الاقتصادي يتحسن مع عودتهم وبدأ ضخ أموالهم في سوق القسطنطينية، كل ذلك جعل الناس قادرين على الصمود أمام الحصار العثماني للقسطنطينية عام 813هـ/1411م من قبل الأمير العثماني موسى على الرغم من التراجع الملحوظ في عدد السكان نتيجة انتشار الطاعون الذي أودى بحياة الكثير من السكان[3]، وتسبب في هجرة أعداد كبيرة من السكان إلى المدن الإيطالية، ومكثوا فيها لحقبة طويلة بعد رفع حصار موسى، والتي دفعت الإمبراطور مانويل الثاني إلى مطالبة مجلس شيوخ البندقية لإعادتهم في عام (817هـ/1415م)، وقد أشار برينيوس إلى تركز الأموال داخل مدينة

---

(201) Dennis, G. Four Unknown Letters of Manuel II Palaeologus، Byzantion, (1966), pp. 117-141

(2) كلافيجو Clavijo: هو روي يوحنازاليس دي كلافيجو Ruy Gonzalez أرسله هنري الثالث ملك قشتالة Henry III of Castile (792-808هـ/1390-1406م) في سفارة إلى تيمور لنك، وبدأ كلافيجو رحلته بالقرب من مدينة قادس Cadiz بجنوب أسبانيا في أيار عام (805هـ/1403م) مروراً بعدد من الجزر منها ميورقة وصقلية وورودس، ثم وصل إلى القسطنطينية في 28 تشرين الأول من نفس العام، وخلال تواجده في القسطنطينية سجل كلافيجو وصف للمباني الموجودة بالمدينة والأوضاع بشكل عام، ويتميز كلافيجو عن المصادر البيزنطية بذكره بعض التفاصيل عن الحرب الأهلية البيزنطية والصراع بين الإمبراطور يوحنا الخامس وابنه أندرونيكوس الرابع.
Clavijo, Embassy to Tamerlane 1403–1406 , ed. F. Lopez (Madrid,1999), pp. 87–88.

(3) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 127.

القسطنطينية بيد بعض الأفراد وليس كل المواطنين فقد أوضح برينيوس إلى أنه خلال صيف عام (824هـ/1422م)، مع حصار عثماني آخر نفذه السلطان مراد الثاني خاطب الإمبراطور البيزنطي السكان بشأن إعادة تحصين أسوار القسطنطينية التي لم تكن في حالة جيدة، فقد وجه برينيوس عتابه للمواطنين الأثرياء الذين عمدوا إلى بناء منازل فاخرة من ثلاثة طوابق في الوقت الذي كانت فيه المدينة بأمس الحاجة لتلك الأموال، حيث ظلت تلك التحصينات مهملة على مدى الثلاثين عاماً الماضية، وقد حث برينيوس جميع السكان من أغنياء وفقراء للإسهام في إعادة تحصين الأسوار موضحاً أن انتصار العثمانيين واقتحام أسوار المدينة كان محتَمَّلاً جداً في عام (824هـ/ 1422م)، الأمر الذي تسبب في إثارة الذعر والخوف داخل مدينة القسطنطينية [1].

فقد كان السكان يشعرون بالخوف من الوقوع أسرى بيد العثمانيين، وما قد يترتب عليه من ارغامهم على اعتناق الإسلام، وتدمير الكنائس واستبدالها بالمساجد، إلا أن كل تلك المخاوف دفعت سكان القسطنطينية للتَمَّسك في الدفاع عن مدينتهم، والوقوف صف واحد من نساء وجنود ورجال دين أمام الحصار العثماني على مدينتهم[2]، وعلى الرغم من كل مناشدات الإمبراطور البيزنطي للغرب الأوربي والمدن الإيطالية لإرسال المساعدات العسكرية إلا أنه في 26 آب عام (824هـ/1422م) رفض مجلس الشيوخ في البندقية اقتراحاً للقيام بعملية بحرية ضد الأسطول العثماني الذي كان يفرض الحصار على القسطنطينية، واتخذ مجلس الشيوخ قراراً بإبلاغ الإمبراطور البيزنطي أن البندقية لا تستطيع إرسال أي مساعدة عسكرية أو مالية للمحاصرين داخل المدينة، واقترحت بأنه يتوجب على الإمبراطور بدلاً من ذلك التودد للسلطان العثماني مراد الثاني، وأن يسعى للحصول على المساعدة من جنوه وفرسان رودس[3].

([1]) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, pp. 8- 12.

([2]) Cananus, Constantinople, pp. 66-71.

[3] فرسان رودس: هي أحد الطوائف الدينية العسكرية التي ظهرت مع الحملة الصليبية الأولى، وقد بسط البابا لواءه عليها ابتداءً من عام (506هـ/1113م)، وعملوا في إحراز مكاسب كبيرة، وفي عام (693هـ/1294م) اتجهوا إلى جزيرة قبرص، ومنها إلى رودس بعد انتزاعها من بيزنطة ولعبوا دوراً أساسياً في تجارة البحر المتوسط.

ديل، شارل: البندقية جمهورية أرستقراطية، تر: أحمد عزت عبد الكريم– توفيق اسكندر، دار المعارف، القاهرة، عام 1947م.، ص60.

كانت البندقية قد اتخذت موقفاً مماثلاً تجاه العثمانيين خلال حصار الأمير العثماني موسى عام (813هـ/1411م)، بسبب حاجتها للحفاظ على مصالحها التجارية من خلال إرسال مجلس الشيوخ سفيراً إلى الأمير العثماني ومعه تعليمات محددة باللجوء إلى التعاون مع الإمبراطور البيزنطي فقط إذا كانت كل الجهود المبذولة لإبرام اتفاق إيجابي مع الأمير العثماني موسى[1].

وقد شهدت القسطنطينية حالة من الانتعاش السياسي والعسكري بعد عام (827هـ/1424م) لم تشهدها منذ معركة أنقرة (804هـ/ 1402م) بتوقيع الجانبين العثماني والبيزنطي معاهدة سلام انعكست تدريجياً على الوضع الاقتصادي داخل القسطنطينية، وعلى الرغم من أن معاهدة السلام التي وقعت بين الجانبين عام (827هـ/1424م) كانت لصالح العثمانيين من حيث أعادت الإمبراطورية البيزنطية كدولة تابعة للعثمانيين تدفع الجزية بعد أن كانت بيزنطة هي المتحكمة والمسيطرة على مجريات الأحداث داخل الدولة العثمانية عقب معركة أنقرة، إلا أن معاهدة السلام وفرت الاستقرار السياسي والعسكري داخل الإمبراطورية البيزنطية والذي انعكس بدوره على انتعاش الجانب الاقتصادي.

ثانياً: سياسة الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور يوحنا الثامن باليولوج (827-850هـ/-1425-1448م):

1-الإمبراطور يوحنا الثامن باليولوج (827-850هـ/1425-1448م):

ولد يوحنا الثامن بالقسطنطينية سنة (794هـ/1392م)، وهو الابن الأكبر لمانويل الثاني و هيلينا دراجس، ابنة الأمير الصربي الأمير قسطنطين دراجس، وقد عهد إليه والده بولاية العهد سنة (818هـ/1416م)، وبعد وفاة والده سنة (828هـ/1425م) أصبح يوحنا الثامن إمبراطوراً في القسطنطينية، وكان منذُ سنة (824هـ/1422م) وأثناء ولايته للعهد قد اضطلع بمهام الدفاع عن القسطنطينية أثناء حصار السلطان مراد الثاني لها، واضطر الى قبول تنازل شقيقه أندرونيكوس

---

[1] موسى: وهو ابن بايزيد الأول، وقد وقع مع والده في أسر تيمورلنك بعد معركة أنقرة، وقد أطلق تيمورلنك سراحه عند وفاة بايزيد الأول، وأرسله مع جثمان والده إلى بروسا، وأثناء عبوره أراضي قرميان احتجزه أميرها، وظل في الأسر إلى أن طالب به شقيقه محمد الأول، عندئذ بادر أمير قرميان إلى الإفراج عنه مع جثمان السلطان بايزيد.
Hammer, Histoire de L'Empire Ottoman, p.131

عن حكم سالونيك للبندقية في عام (826هـ/ 1423م) لحمايتها من الخطر العثماني آمنة ضد العثمانيين، زار البابا يوجين الرابع Eugene IV ووافق على الاتحاد للكنيسة اللاتينية، وتَمَّت المصادقة على الاتحاد في مجلس فلورنسا في عام (842هـ/1439م)، والذي حضره الإمبراطور يوحنا مع 700 من أتباعه بما في ذلك البطريرك جوزيف الثاني بطريرك القسطنطينية، وعلى الرغم من إعلان الاتحاد إلاَّ أنه أخفق في الاستَمَّرار نتيجة معارضة سكان القسطنطينية له، وتَمَّسكهم بكنيستهم الأرثوذكسية، وقام يوحنا الثامن بتعيين أخيه قسطنطين كوصي على العرش ما بين (840-842هـ/ 1437-1439م) أثناء زيارته للغرب لطلب المساعدة العسكرية ضد العثمانيين، ومع ذلك تَمَّكن الإمبراطور يوحنا من خلال سلوكه الحكيم تجاه الدولة العثمانية من تأمين سلامة مدينته من هجماتهم(1).

2- الصراع بين يوحنا الثامن وديمتريوس (845-851هـ/ 1442-1448):

مع انهيار الإمبراطورية البيزنطية وتقسيمها على مدار القرن الرابع عشر الميلادي، شعر أباطرة سلالة باليولوج أن الطريقة الوحيدة المؤكدة للحفاظ على ما تبقى من ممتلكاتهم سليمة هو منحها لأبنائهم، والحصول على لقب المستبد، كأطراف للدفاع والحكم فقد كان الإمبراطور مانويل الثاني (793-828هـ/ 1391-1425م) لديه ستة أبناء نشأ ابن مانويل الأكبر يوحنا، ليصبح إمبراطوراً مشاركاً، وتَمَّ تعيينه لخلافة مانويل كإمبراطور وحيد عند وفاته، الابن الثاني ثيودور، تَمَّ تعيينه مستبداً للمورا، والثالث، أندرونيكوس عين حاكم على سالونيك عام (810هـ/ 1408م)، وكان عمره ثماني سنوات فقط، وأبقى مانويل أبنائه الأصغر، قسطنطين، وديمتريوس، وتوماس، في القسطنطينية حيث لم يكن هناك ما يكفي من الأراضي لمنحهم.

لم تكن العلاقات بين أبناء مانويل الثاني جيدة دائماً، وعلى الرغم من أن العلاقة بين يوحنا وقسطنطين يبدو أنها كانت جيدة، إلا أن العلاقة بين قسطنطين وديمتريوس الأصغر وتوماس لم تكن ودية، وقد أشار الإمبراطور يوحنا الثامن إلى المؤامرات التي كان ينظمها ديميتريوس ضد حكمه، والذي كان يتلقى المساعدة من العثمانيين، ومن بعض النخب البيزنطية داخل الحكومة المعارضين لحكمه، ووفقاً لسفرانتز فإن ديمتريوس كان ينوي التوجه إلى العثمانيين

(1) Lazaris, Stavros. L'empereur Jean VIII Paléologue concile de Ferrare – Florence", Byzantinische Forschungen, 2007, p. 293-324

عند مغادرة الإمبراطور يوحنا الثامن القسطنطينية في عام (840هـ/ 1437م) لحضور مجلس فلورنسا الذي كان يسعى لتوحيد الكنائس الأرثوذكسية واللاتينية، وبالتالي إلهام أوروبا الغربية للعمل في الدفاع عن إمبراطوريته المنهارة المهددة من قبل الدولة العثمانية سريعة التوسع، وكان يوحنا قد ترك أخيه قسطنطين الأكثر ثقة، ووريثه المفضل كوصي في القسطنطينية، حيث كان يوحنا لا يرغب في إبقاء ديمتريوس في القسطنطينية لعدم ثقته به، وخشيته من أن يقدم على خيانته ويسلم المدينة للعثمانيين لذلك قرر اصطحابه معه على الرغم من أن ديمتريوس كان معروفاً بمعارضته الصارمة لأي خطط لإعادة توحيد الكنائس الأرثوذكسية واللاتينية، وأظهر بالفعل اتجاهات متَمَّردة، على أمل أن يصبح إمبراطوراً بنفسه بدعم من العثمانيين، وعلى الرغم من أن مجلس فلورنسا الذي استَمَّر عدة سنوات حقق اتحاداً بين الكنائس، واختتَمَّ في حزيران (842هـ/ 1439م)، لم يعد يوحنا الثامن إلى القسطنطينية حتى 1 شباط (843هـ/ 1440م)، وعلى الرغم من استقباله باحتفال كبير ومهيب نظمه قسطنطين، وديمتريوس الذي عاد قبل أخيه يوحنا بقليل، إلاَّ أنَّ نبأ توحيد الكنائس أثار موجة من الاستياء داخل القسطنطينية، والمورا بين عامة الناس الذين شعروا بخيانة يوحنا الثامن لإيمانهم[1].

وبحلول عام (845هـ/1442م)، كان ديمتريوس يتطلع إلى العرش الإمبراطوري فقد أبرم صفقة مع السلطان مراد وأقام جيشاً لنفسه، وصوّر نفسه على أنه بطل القضية المناهضة للوحدة، التي عارضت اتحاد الكنائس اللاتينية، والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، وهي قضية يدعمها الأتراك، وأعلن الحرب على أخيه يوحنا الثامن، وكان الخطر الذي شكله كبيراً لدرجة أن يوحنا الثامن استدعى قسطنطين من المورا للإشراف على دفاعات المدينة، وفي نيسان (845هـ/1442م) بدأ ديمتريوس، والعثمانيون هجومهم لكن تَمَّ صدهم، وأعطى يوحنا الثامن في تشرين الثاني من العام نفسه حكم سيليمبريا لثيودور، الذي تخلى بدوره عن منصبه كحاكم المورا، جاعلاً قسطنطين، وتوماس الحكام الوحيدين للمورا [2].

[1] Nicol, Donald M. The Immortal Emperor: The Life and Legend of Constantine Palaiologos, Last Emperor of the Romans. Cambridge University Press. (1992).pp. 3-4-15-16.

[2] Nicol, The Immortal Emperor, pp. 18-19.

3- الأوضاع السياسية داخل الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور يوحنا الثامن (827-850هـ/1425-1448م):

من خلال الحفاظ على العلاقات السلمية مع العثمانيين اندلع نزاع مسلح عام (837هـ/1434م) بين جنوه، والحكومة البيزنطية على تجارة البيرا، ويبدو أن الإمبراطور يوحنا الثامن اتخذ إجراءات معينة في هذا الوقت للحد من النفوذ التجاري لمستعمرة جنوه المجاورة التي كان لها لحقبة طويلة تأثير مدمر على اقتصاد القسطنطينية، وخزينة الدولة من خلال جذب التجار والبضائع بعيداً عن العاصمة البيزنطية، ومهما كانت تدابير الإمبراطور، فقد أدت إلى تفاقم الوضع مع جنوه، مما دفعها إلى حمل السلاح ضد القسطنطينية لكن جنوه خضعت في النهاية لمطالب الإمبراطور يوحنا الثامن، والتي شملت دفع جزية تتألف من ألف قطعة ذهبية، من أجل إصلاح الأضرار التي لحقت بالمحلات التجارية والمستودعات طوال حقبة التوترات بينهما [1].

لم تكن العلاقات بين بيرا التي تقع على الجانب الآخر من القرن الذهبي والقسطنطينية جديدة أو غير عادية لكن مستعمرة جنوه، كانت تنافس العاصمة البيزنطية منذ استعادتها عام (665هـ/1267م) على المركز التجاري الذي حرمت بموجبه بيزنطة من أغلب عائداتها التجارية، إلاّ أنه خلال عام (837هـ/1434م) كانت محاولة الإمبراطور البيزنطي لإعاقة هذا التطور الذي كاد أن يؤدي إلى استبدال بيرا بالقسطنطينية كميناء للتجارة، وعلى الرغم من أن الأباطرة البيزنطيين السالفين بذلوا جهوداً لجذب التجار بعيداً عن بيرا لكن المحاولات الأخيرة المعروفة من هذا النوع تعود إلى أواخر أربعينيات القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[2] وبعد ذلك لم تسمح السياسة والضعف الاقتصادي للدولة البيزنطية بتلك المحاولات، ولكن خلال عام (837هـ/1434م)، فإن محاولات يوحنا الثامن أعادت الانتعاش الاقتصادي للسوق التجاري داخل القسطنطينية، نتيجة الانتعاش السياسي، وإنهاء الأعمال العدائية نهاية عام (837هـ/1434م) بشكل سلس مع جنوه، ويبدو أن الاتصالات بين بيرا والقسطنطينية قد استؤنفت، حيث يظهر

([1]) Schreiner, P. "Venezianer und Genuesen w¨ahrend der ersten H¨alfte des 15. Jahrhunderts in Konstantinopel (1432–1434)," Stven (1970), pp. 364–368.

[2] Laiou, A. E. The Economic History of Byzantium from the Seventh through the Fifteenth Century, Volume 1, Washington, DC, 2002, pp. 311–75

التجار ورجال الأعمال من جنوه بشكل بارز في الحسابات التي احتفظ بها جياكومو بادوير في القسطنطينية بين عامي (839هـ/1436م) و(843هـ/1440م) حيث يشير إلى أنَّ التجار الإيطاليين الذين كانوا يعدّون العاصمة البيزنطية وميناؤها غير آمنة لأنشطتهم التجارية في أواخر (793هـ/1390م) [1] تدفقوا إلى المدينة وبأعداد متزايدة باستَمَّرار طوال العقد الثالث من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وقد أشار المؤرخ بيرتراندون Bertrandon، الذي زار القسطنطينية خلال الحقبة (835-836هـ/1432-1433م)، وكتب أنه رأى العديد من التجار الأجانب هناك، وعلى الأخص تجار من البندقية فضلاً عن جنوه، وكاتالون[2] وبعد مجلس فلورنسا في عام (842هـ/1439م)، قدم الإمبراطور البيزنطي للتجار الفلورنسيين تسهيلات في القسطنطينية ومنحهم امتيازات تجارية تشبه تلك التي يتَمَّتع بها التجار من البندقية وجنوه، ولكنها أكثر شمولاً، وقد قدمت هذه المنح بلا شك لتجار فلورنسا كبادرة دبلوماسية بعد اتحاد فلورنسا، والتي أدت إلى تنشيط الحركة التجارية داخل العاصمة البيزنطية[3].

من خلال قائمة المعاملات التي سجلها بادوير في دفتر حسابه في حقبة إقامته في القسطنطينية من (839هـ/1436م) إلى حوالي (843هـ/1440م)، يشير ليس فقط إلى عدد كبير من الأجانب، وخاصة التجار الإيطاليين الذين لديهم علاقات تجارية هناك، ولكن أيضاً إلى العلاقات الاقتصادية التي بينهم وبين نظرائهم البيزنطيين، والتي تُظهر وجود 130 تاجراً من القسطنطينية الذين تَمَّ الإبلاغ عن تواجدهم في المستعمرات الإيطالية، حيث شكلوا أكثر من 27 في المائة من عدد التجار البالغ 477 تاجر في سجلات بادوير من بين الأسماء البيزنطية المتكررة، أولئك الذين ينتَمَّون لأعضاء العائلات الأرستقراطية الرائدة في القسطنطينية، على سبيل

---

[1] سجل بادوير Jachomo Badoer: هو الوثيقة التجارية الوحيدة المكتوبة بالكامل في القسطنطينية والتي نجت في مجملها من الفتح التركي لتلك المدينة، وإنه مصدر ثمين للبيانات ذات الصلة بالأنشطة الاقتصادية المكثفة والتجارة البيزنطية في تلك الحقبة.

Bertelè, Giovanni. Il libro dei conti di Giacomo Badoer (Costantinopoli 1436-1440). Complemento e indici, Published Padova, Esedra, 2002, pp. 98-127.

[2] Angold, M. "The decline of Byzantium seen through the eyes of western travellers," in Travel in the Byzantine World, ed. R. Macrides (Aldershot, 2002). pp. 213–232..

[3] تم تخفيض الرسوم الجمركية (كوميركيون) المطلوبة من فلورنسا من 4 في المائة إلى 2 في المائة من قيمة الضرائب على البضائع.

Antoniadis-Bibicou, H. Recherches sur les douanes `a Byzance (Paris, 1963), pp. 97–155.

المثال ، باليولوج، كانتاكوزين، دوكاس، والعديد من الآخرين[1]، والاتصالات السالفة لبعض هذه العائلات مع التجار الإيطاليين تشير إلى الطبيعة الثابتة والطويلة الأمد نسبياً لعلاقاتهم الاقتصادية مع ايطاليا، وقد يكون الانطباع الذي تَمَّ التوصل إليه من خلال دفتر حساب بادوير مضللاً، ومع ذلك إذا كان السجل يفترض أن العلاقات الجيدة قد تَمَّ الحفاظ عليها بين الإيطاليين ورجال الأعمال الأرستقراطيين في العاصمة امتدت لتشمل جميع أنواع التجار في المدينة، إلا أنه وبفضل سلسلة وثائق البندقية التي تعود إلى النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، تحدثت عن بعض الأعمال العدائية التي تَمَّ ارتكابها في ذلك الوقت ضد تجار البندقية داخل القسطنطينية من قبل تجار المدينة لدوافع اقتصادية، وأن البيزنطيين الذين وجهت ضدهم تهم العنف على ما يبدو كانوا من صغار التجار، وكذلك صغار المسؤولين الحكوميين[2]، وعلى ما يبدو أن بعض الفئات كانت من خلفية اجتَمَّاعية متواضعة يقفون في تناقض صارخ ضد عملاء بادوير الأرستقراطيين. حيث أنهم استاءوا من الدور المهيمن الذي لعبه تجار البندقية في الحياة التجارية للقسطنطينية، والتي لم تقتصر على أنشطة التجارة الدولية، لكن امتدت أعمالهم إلى السيطرة على الأسواق الداخلية بالمدينة أيضاً، كما تَمَّكنت مجموعة من الأرستقراطيين البيزنطيين من جني أرباح شخصية من علاقاتهم التجارية مع الإيطاليين إلا أنَّ صغار التجار في القسطنطينية، كانت مصالحهم الاقتصادية مهددة من قبل دخول الأجانب في سوق الصرف المحلي بالمدينة مما أدى إلى تكوين مشاعر العداء ضد إيطاليا، وإذا تَمَّ النظر إليها من منظور أوسع، فإن الحالة الموضحة أعلاه تظهر الفائدة التي كانت تعود على أقلية غنية في ظل الظروف التي ثبت أنها تضر بشريحة كبيرة من السكان الذين يتألفون من أفقر الناس، كما تشير إلى وجود صراع بين المصالح الخاصة والعامة، وعلى الرغم من أنها ظاهرة شائعة شهدتها مجتَمَّعات مختلفة في أوقات مختلفة، إلا أنَّ التركيز عليها هنا بسبب وجودها في هذا المنعطف المحدد من تاريخ القسطنطينية والتي كان لها عواقب وخيمة فيما يتعلق بمصير المدينة من قبل العثمانيين، وفي واقع الأمر موضوع المصالح العامة مقابل المصالح الخاصة تقع في صميم خطاب جوزيف برينيوس

---

[1] Badoer, I Il libro dei conti di Giacomo Badoer, pp. 79–80.

[2] للحصول على تحليل كامل لمحتويات هذه الوثائق.

Necipoglu, N. "Byzantines and Italians in fifteenth-century Constantinople, commercial cooperation and conflict " 1995, PP. 132–136..

بخصوص تحصينات القسطنطينية، وكان برينيوس يذكر باستَمَّرار أمام عامة الشعب بضرورة اعطاء الأولوية للصالح العام؛ بترميم الأسوار الضرورية بدلاً من بناء الأثرياء للقصور الفخمة، وذلك لتفادي سقوط المدينة ، مثال آخر يتَمَّ فيه بروز الصراع بين المصالح الخاصة والعامة من قبل جهود بعض التجار البيزنطيين في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي للتهرب من دفع الرسوم الجمركية (الكوميركيون kommerkion) لصالح الدولة البيزنطية أيضاً من خلال محاولة المرور على أنهم تجار بندقيين معفيين من دفع الرسوم الجمركية، أو عن طريق تكليفهم البضائع إلى تجار البندقية خلال الضوابط الجمركية[1]، وفي خطابه إلى مجلس شيوخ البندقية بتاريخ 31 أيار (821هـ/1418م)، أشار الإمبراطور مانويل الثاني إلى كيفية حرمان الخزانة البيزنطية من عائداتها الجمركية نتيجة هذه الممارسات، والتي كانت لها تبعات أسوأ من تلك الخسائر التي لحقت بالقسطنطينية جراء الحروب مع العثمانيين، والتي نتجَ عنها ثراء عدد قليل من الأفراد دون أي فائدة لاقتصاد القسطنطينية ككل، لذلك من المهم إعادة تعريف معنى "الانتعاش الاقتصادي" في بداية هذه المناقشة للأوضاع الاقتصادية في القسطنطينية خلال الربع الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[2].

وعلى ضوء ما تقدم يمكن فهم الانتعاش الاقتصادي على أنه لا يعني الانتعاش الاقتصادي لجميع السكان، ولا انتعاش الاقتصاد ككل، حيث إنه يدل على العكس من ذلك على عودة البذخ والرفاهية لبعض المواطنين المالكين، بينما استَمَّرت قطاعات كبيرة من السكان للعيش في المشقة والحرمان. في هذا الصدد، من المهم الانتباه إلى حقيقة أن الأرستقراطيين البيزنطيين الذين تَمَّ ذكرهم في سجلات بادوير اشتروا سلعاً أكثر بكثير مما باعوها، كاشفة عن طبيعة العجز الاقتصادي الذي نتج عن تلك السياسة بسبب كثرة البضائع المستوردة التي اشتروها مقارنة بمجموع قيمة السلع المحلية التي باعوها، هذه العوامل تفسر سبب تدهور الوضع الاقتصادي، مقابل ازدهار

---

(1) اتخذت الحكومة البيزنطية بعض الإجراءات خلال القرنين الثامن والتاسع الهجري/ الرابع والخامس عشر الميلادي لحماية أنشطة البيع بالتجزئة لتجار المدينة الأصليين من التعدي على الإيطاليون. ومع ذلك ، كانت مثل هذه الإجراءات نادرة وغير فعالة على المدى الطويل.

Necipoglu, "Byzantines and Italians in fifteenth-century Constantinople, pp. 136–137.

(2) Chrysostomides, J. "Venetian commercial privileges under the Palaeologi, (1970), pp. 354–355.

الأنشطة الاقتصادية لأفراد معينين، يشير الإسباني بيرو تافور الذي زار القسطنطينية خلال (840-841هـ/1437-1438م): "بأن السكان على الرغم من أنهم كانوا يرتدون ملابس جيدة، إلا أنهم يعيشون في حزن وفقر، ويعانون من أوضاع معيشية صعبة"[1]، وأضح من خلال زيارته بأن عدد سكان مدينة القسطنطينية في تناقص، ومضيفاً أيضاً أنه كان هناك نقص في الجنود المدربين مما يعطي صورة على ازدهار المدينة خلال حقبة ماضية، ووصف مستعمرة البيرا بأنها مدينة مزدهرة: "فهي مكان يتسم بكثافة حركة البضائع القادمة من البحر الأسود، وكذلك من الغرب ومن سوريا ومصر، حتى كان جميع من فيها أثرياء". وبعد رؤية السوق التجاري المزدهر لمستعمرة جنوه، يبدو أن بيرو تافور لم يتأثر بما رآه من تجارة القسطنطينية، لذلك لم يكن لديه كلمة واحدة ليقولها عنها بالتالي كانت الأشياء التي وجدها مثيرة للإعجاب في القسطنطينية من آثار تاريخية تشهد فقط على روعة الماضي لمدينة كانت في حالة تدهور حقيقي في أيامه بعد أن لاحظ كل هذا، لم يستطع أخيراً تشبيه الإمبراطور البيزنطي إلا بـ "أسقف بلا كرسي".

حيث أن الحالة المتردية التي شهدها بيرو تافور في القسطنطينية تعود جزئياً إلى تفشي الطاعون في المدينة عام (838هـ/1435م) على الرغم من اتخاذها التدبير اللازمة لتفادي انتشاره عن طريق السفن القادمة من منطقة البحر الأسود[2] إلا أنه حتى قبل انتشار الطاعون عام (838هـ/1435م)، لاحظ المسافرون إلى القسطنطينية ظروفاً لا تختلف عن تلك التي أشار إليها بيرو تافور في كتاباته، لذلك سيكون من الخطأ أن تنسب بالكامل الشدائد التي تَمَّر بها القسطنطينية إلى الطاعون، حيث وصفت العاصمة البيزنطية عام (825هـ/1422م) بـ "المدينة المشؤومة" ذات الهياكل المدمرة والمهجورة[3]، وقد وصف الرحالة برتراندون، الذي قضى وقتاً في القسطنطينية خلال حقبة (835-836هـ/1432-1433م)، حالة الدمار التي أصابت المدينة ومحيطها[4]، ومن الواضح أنه على الرغم من العلاقات السلمية نسبياً مع العثمانيين، لم يكن هناك تقدم كبير في الوضع الاقتصادي للقسطنطينية منذ زيارة كلافيجو عام(806هـ/1403م)، علاوة

(1) Vasiliev, A. "Pero Tafur, a Spanish traveler of the fifteenth century and his visit to Constantinople, Trebizond, and Italy, (1932), P. 75–146.
(2) Vasiliev, "Pero Tafur," PP. 116–117.
(3)Angold, "The decline of Byzantium, p. 228.
(4)Broquere. Bertrandon. de la. Le voyage d Outremer de Bertrandon de la Broqui`ere, ed. Ch. Schefer (Paris, 1892), pp. 9-167.

على ذلك، تَمَّ رصد بعض الثورات الاجتَمَّاعية في المدينة خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، والتي قد تكون مرتبطة بالفجوة بين المصالح العامة والخاصة فقد سعت الطبقات الثرية لزيادة ثروتها على حساب تردي الوضع الاقتصادي للطبقات الفقيرة مما نتج عنه صراعات داخلية واضطرابات مدنية دفعت الطبقات الحاكمة لاسترضاء الساخطين من الجماهير التي كانت تهددها[1]، وقد كانت الاضطرابات الاجتَمَّاعية داخل مدينة القسطنطينية لا ترتبط فقط بالفارق الاقتصادي بين الأغنياء والفقراء، وإنما توجد أسباب أخرى أدت إلى تحريض الشعب ضد حكم الطبقات العليا، التي انتهجت أسلوب أدى إلى استفزاز الطبقات الفقيرة، مثال على ذلك تيودور كانتاكوزينوس باليولوج ،"عم" الإمبراطور مانويل الثاني، الذي قام ببناء منزل فخم لنفسه في أرقى حي من أحياء القسطنطينية، بتكاليف باهظة الثمن من استخدام أجود أنواع الخشب وأفضل أنواع الرخام في بناء هذا المنزل الرائع ذو الأعمدة مثل معظم الأعضاء المتنفذين داخل الحكومة في العاصمة علاوة على ذلك، أقام تيودور علاقات قوية مع الطبقة العليا الغنية في إيطاليا، فبقدر ما كان تيودور يعيش حياة مترفة في القسطنطينية كان الكثير من سكان القسطنطينية يعيش حياة الفقر مما دفع هؤلاء الفقراء للتحرك ضد الطبقات الغنية حوالي (818-821هـ/1415-1421م)، الذين بنوا منازل من ثلاثة طوابق لأنفسهم بدلاً من المساهمة بالمال لترميم أسوار المدينة[2] ، كما ظهرت فئة من الأثرياء لم تكن ذو مكانة عالية مثل أعضاء الطبقة الأرستقراطية أو تجار القسطنطينية، وإنما موظفين ضمن حكومة القسطنطينية كما هو الحال في عام (833هـ/1430م)، عندما كان يتواجد في المدينة قاضياً، يتردد على القصر الإمبراطوري، ذو صلة بالإمبراطور يوحنا الثامن شخصياً، وكانت له علاقات وثيقة مع بعض كبار الشخصيات في العاصمة، هذا الرجل إلى جانب الممارسات الخاطئة في الشؤون القانونية، اعتاد إساءة استخدام سلطة منصبه لزيادة ثروته حيث عمد على إكراه بعض الحرفيين الصغار بالتهديد والبعض الآخر بوعود كاذبة ومضايقتهم باستَمَّرار للحصول على منتجات حرفية مجانية أو بأسعار منخفضة، فقد ساهمت مثل هذه الانتهاكات للسلطة من قبل موظفي الخدمة المدنية ذوي المناصب الجيدة دوراً

(1) Badoer, Il libro dei conti di Giacomo Badoer, pp. 405- 610.

(2) Syropoulos, Sylvester. Les "M´emoires" du Grand Eccl´esiarque de l'E´glise de Constantinople sur le concile de Florence (1438–1439), ed. and trans. V. Laurent, Paris, 1971. p.133–134.

أيضاً في إثارة الاضطرابات بين سكان العاصمة، وإبراز المواقف المعادية التي احتضنها الناس من الطبقات الدنيا ضد التجار الإيطاليين أو نحو ذلك من البيزنطيين من الطبقة العليا، الذين كان الكثير منهم لهم صلات وثيقة مع الإيطاليين، وقد أظهرت حادثة رواها برتراندون تعكس بدورها موقف اثنين من تجار العاصمة البيزنطية تجاه العثمانيين.

عندما تَمَّ نقله من ميناء سكوتاري العثماني في الجانب الآسيوي من البوسفور إلى البيرا عام (835هـ/1432م)، ظن البحارة البيزنطيين الذين نقلوه بأنه تركي وعاملاه بشرف وتقدير كبيرين، ولكن عند وصولهم إلى بيرا اكتشفوا أنه أوروبياً، فتخلوا عن احترامهم له، ويشتبه برتراندون في أنهم كانوا سيستخدمون القوة ضده لو لم يكن مسلحاً، وقد فسر سلوك البحارة تجاهه لأسباب دينية ونسبه إلى الكراهية التي رعاها البيزنطيون بشكل عام تجاه "المسيحيين الذين يطيعون" كنيسة روما[1]، ولكن هذا لا يفسر بالضرورة تلقي معاملة أفضل عندما أخطأ في تعريفه على أنه تركي، لذلك سيكون من المفيدة، فحص بعض المصادر التي تقدم المزيد من الرؤى حول مواقف سكان القسطنطينية تجاه العثمانيون والتي سلطت الضوء على أشكال معينة من الاتصال، بخلاف المواجهات العسكرية التي ساعدت البيزنطيين على التعرف بشكل أفضل على العثمانيين في النصف الأول من القرن الخامس عشر، من خلال نشاط مجموعة من التجار العثمانيين داخل العاصمة البيزنطية حيث تَمَّ الاحتفاظ بهذه المعلومات في سجل حسابات بادوير، التي أظهرت قيام تبادلات تجارية مع أكثر من اثني عشر تاجراً عثمانياً في القسطنطينية بين عامي (839 و843هـ/1436 1440م). وكان هؤلاء التجار يتاجرون بالشمع والزبيب والجلود والصوف والكتان والقماش من ضمن أنشطتهم التجارية، وعلى الرغم من أعدادهم الصغيرة، إلا أن سجل بادوير يعطي دلالة واضحة على قيام نشاط تجاري بين العثمانيين والبيزنطيين داخل القسطنطينية، مثل هذه المعاملات المصرفية التي حدثت بين العثمانيين واثنين من المصرفيين المشهورين في القسطنطينية وهم – يوحنا سوفيانوس John Sophianus، ونيكولاس سارانتينوس Nicholas Sarantinos [2] ومن بين عملاء بادوير العثمانيين البارزين أحدهم باسم "علي باشا"، الذي تَمَّ تحديده على أنه الوزير العثماني الكبير خليل باشا، دليل تورط خليل باشا في تجارة القسطنطينية له

[1] Angold "The decline of Byzantium, pp. 222–225.
[2] Badoer, Il libro dei conti di Giacomo Badoer, pp.139- 382- 390- 391.

أهمية كبيرة لأنه دليل على التوجه السياسي الإيجابي لخليل باشا تجاه الدولة البيزنطية حيث تصوره المصادر على أنه زعيم فصيل إسلامي داخل البلاط العثماني نصح كل من السلطان مراد الثاني وخليفته محمد الثاني باستَمَّرار لعدم شن حرب على القسطنطينية، وتؤكد المصادر أيضاً ميل خليل باشا لتلقي الرشاوي والهدايا من السلطات البيزنطية، والذي يربط بين موقفه وبين التوجه السلمي تجاه البيزنطيين[1]، حيث أن وجود اسم خليل باشا بين رجال الأعمال في سجلات بادوير يلقي الضوء على المصالح المادية الكامنة وراء دعمه للسلام مع بيزنطة؛ وهي عملياته التجارية داخل القسطنطينية في هذا السياق يشار إلى أنه عشية انعقاد مجلس فيرارا – فلورنسا خلال نفس الحقبة التي سجل فيها بادوير أنشطة خليل باشا، نجح الوزير العثماني في ثني السلطان مراد الثاني عن شن هجوم على القسطنطينية، مما يؤكد الارتباط بين مصالح خليل باشا الاقتصادية وموقفه السياسي[2]،

تعطي الأمثلة في سجلات بادوير صورة متكاملة عن طبيعة العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين بعض التجار البيزنطيين والعثمانيين، والتي اسهمت في ازدهار التجارة البرية والبحرية نسبياً بين العاصمة البيزنطية، والأراضي العثمانية، في كل من البلقان وآسيا الصغرى حيث كان التجار العثمانيون سواء من أصل يوناني، أو أصل آخر، قادرين على المشاركة في هذه التجارة من خلال التوجه إلى القسطنطينية، كما تَمَّ قبول نظرائهم من التجار البيزنطيين في الوقت ذاته في مختلف المدن العثمانية، وهذه الصورة تؤكدها أدلة من مصادر أخرى تضيف مزيد من التفاصيل فبحسب أحد المصادر العثمانية التي أرخت لوقائع الحملة الصليبية في فارنا، بعد حملة مراد الثاني الأناضولية ضد القرمانيين عام (846هـ/1443م) فإن مجموعة من الجنود العثمانيين توجهوا إلى القسطنطينية بغرض بيع ماشيتهم التي غنموها من الحرب، وهؤلاء كانوا من التتار المسلمين الذين عاشوا في المقاطعات الأوروبية للإمبراطورية العثمانية، وفي طريق عودتهم من الأناضول، توقفوا عند القسطنطينية لكسب بعض المال، وبحسب المصدر فأن حادثة الجنود العثمانيين الذين توجهوا إلى أسواق القسطنطينية لبيع الغنائم التي حصلوا عليها من حروبهم في المناطق المحيطة

---

(1) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, pp. 293- 311–313- 377.
وصف دوكاس خليل باشا بين خصومه العثمانيين كـ"رفيق أو مساعد اليونانيين"

(2) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, p. 60.

بالقسطنطينية لم تكن حادثة فريدة، وإنما كان هناك حوادث مماثلة، هذه الحوادث كانت تساهم في احتكاك المجتَمَّع البيزنطي بالعثمانيين، والتعرف عليهم عن قرب، وفهم بعض عاداتهم وأفكارهم، وبالتالي تغير نظرة السكان داخل القسطنطينية تجاه العثمانيين بشكل إيجابي نتيجة الاحتكاك معهم من خلال التبادلات التجارية داخل أسواق العاصمة البيزنطية [1]، وتوضح سجلات بادوير بأن انتشار استخدام العملة العثمانية داخل القسطنطينية كان مؤشراً إضافياً للدور الهام الذي شغله العثمانيون في تجارة شرق البحر الأبيض المتوسط، بما في ذلك العاصمة البيزنطية نفسها، حيث ذكرت سجلات بادوير الاهمية التي كانت تتَمَّتع بها العملة العثمانية في السوق التجاري داخل القسطنطينية خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[2]، حيث كان التجار الغربيون الذين يتاجرون مع العثمانيين عادة ما يستبدلون أموالهم بالعملة العثمانية الأقجة[3] داخل القسطنطينية، حيث المصرفيون فرضوا رسوماً بنسبة 1 في المائة على مثل هذه المعاملات في أواخر ثلاثينيات القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وبالتالي ليس من المستغرب أن يتواجد بعض الأشخاص من بين الفارين من المدينة كان في حوزتهم عام (856هـ/1453م) الأقجة العثمانية [4]، في الختام أثبتت المناقشة السالفة ما لا يقبل الجدل بقوة الوجود العثماني في الحياة الاقتصادية للعاصمة البيزنطية، خاصة خلال الربع الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

ولابدَّ من الإشارة في هذه الحقبة إلى الآثار الناتجة عن أنشطة العثمانيين على البيزنطيين داخل القسطنطينية من حيث التصورات والمواقف تجاههم، حيث كان رأس المال داخل مدينة القسطنطينية مضطرباً نتيجة النمو المتزايد للوجود العثماني في وسطهم، إلاَّ أنَّ الاتصال المباشر بين العثمانيين والبيزنطيين أكسب البيزنطيون معرفة أكثر بالعثمانيين، ومجتَمَّعهم، وطرق حياتهم، فقد كانت صورة العثمانيين السلبية التقليدية مستوحاة من العلاقات العدائية في السياسة، وهذه

---

(1) Michałowicz, Memoirs of a Janissary, pp. 159–161, 232.

(2) Badoer, Il libro dei conti di Giacomo Badoer, pp. 6, 396- 499- 572- 579.

(3) الأقجة: كانت عملة فضية تشكل الوحدة النقدية الرئيسية للدولة العثمانية، أول من سكها السلطان العثماني أورخان الأول (1362-1359م)، في مدينة بورصا، وظلت الأقجة عماد النظام العثماني لقرون.
صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مطبوعات الملك فهد الوطنية، 2000م، ص51.

(4) Kate. Fleet, European and Islamic Trade in the Early Ottoman State. The Merchants of Genoa and Turkey (Cambridge, 1999). p. 17.

الصورة عن العثمانيين قد تغيرت إلى حد ما نتيجة زيادة الاتصال الشخصي والتواصل اليومي الذي يحدث بشكل رئيسي في مجال الحياة الاقتصادية، ومن المتصور أنه في ظل هذه الظروف بعض سكان القسطنطينية تغيرت لديهم الصورة النمطية تجاه العثمانيين على أنهم "بربريون"، وقاسون"، وملحدون"، "وخارجين على القانون"، "وفاسقون"، "وشهوانيون"، "وجاهلون"، وأصبح العثمانيون أكثر تقبلاً داخل المجتَمَّع البيزنطي، في هذا السياق فإن وجود تجار من أصل بيزنطي بين التجار العثمانيين الناشطين في القسطنطينية لابدَّ أنهم شغلوا دوراً في تنمية المواقف الإيجابية بين الطرفين (العثماني– البيزنطي) من خلال تعرف سكان القسطنطينية على الظروف التي كان يعيشها جيرانهم اليونانيين تحت الحكم العثماني، وبالتالي أدى الانحدار والضعف المتزايد لبيزنطة مقابل تنامي قوة الدولة العثمانية إلى معرفة أفضل بالعثمانيين، وربما أدت اللقاءات والتجارب الشخصية إلى مزيد من التفاعل والتواصل والنظرة الإيجابية لهم داخل المجتَمَّع البيزنطي، وخلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، كان أحد أهم الأحداث بعد معاهدة السلام العثمانية البيزنطية لعام (827هـ/1424م) انعقاد مجلس فيرارا – فلورنسا (841–842هـ/1438–1439م)، والذي بموجبه انتهت حقبة سلام مع العثمانيين، والتي كانت سارية المفعول منذ عام (827هـ/1424م)، حيث اشتدت الخلافات في الرأي داخل القسطنطينية حول الاتحاد الكنسي وأدت إلى ثورات خطيرة تركت سكان المدينة منقسمين خلال الأربعة عشر عاماً التالية التي سلفت غزوها من قبل العثمانيين[1].

كان حفاظ الطبقة الحاكمة على هويتها الدينية في غاية الأهمية، لأن تغييرها يؤثر على المصالح السياسية والاقتصادية التي كان أعضاء الطبقة الحاكمة يتَمَّتعون بها مع الغرب اللاتيني، إلا أن وجود أنشطة اللاتين في القسطنطينية غالباً ما تسببت في ازدياد فقر الطبقات الدنيا في المجتَمَّع البيزنطي حيث أن تلك الطبقات انقسمت إلى قسمين قسم منهم مؤيد وخاضع للكنيسة اللاتينية وأيّدَ الاتحاد خوفاً من الخضوع للسيطرة العثمانية على حساب التَمَّسك بدينه الأرثوذكسي، بينما فضل القسم الآخر المعارض للاتحاد الخضوع للعثمانيين وسياستهم التي تضمن لهم الحفاظ على عقيدتهم الأرثوذكسية، وقد كان تأثير كارثة فارنا سلبياً على البيزنطيين المحبطين الذين انضموا بشكل تدريجي بعد ذلك إلى صفوف المناهضين للاتحاد، نتيجة التأثير الكبير الذي مارسه

[1] Badoer, Il libro dei conti di Giacomo Badoer, pp. 120, 121, 352, 353, 498.

المناهضون للاتحاد في هذا الصدد، وكان لتأثير المناهضين للاتحاد انعكاسه حتى على مراسيم دفن الإمبراطور البيزنطي الذي أيدَ الاتحاد فعند موت الإمبراطور يوحنا الثامن عام (851هـ/1448م) ، تَمَّ دفنه دون التكريم الكنسي المعتاد، كما أن البطريرك الوحدوي غريغوريوس ماماس الذي تَمَّ تعيينه بعد مشروع الوحدة بين الكنيستين بطريركاً للقسطنطينية عام (848هـ/1445م)، كان غير محبوب لدرجة أن خليفة يوحنا الثامن قسطنطين الحادي عشر رفض أن يتوج من قبله، وبالتالي كان الحاكم البيزنطي الوحيد الذي لم يخضع لتتويج من قبل البطريرك [1]

ثالثاً: سياسة الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر باليولوج (852- 856هـ/-1449-1453م):

1-الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر(852-856هـ/1449-1453م):

تولى الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر (852-856هـ/1449-1453م) عرش بيزنطة في 16 كانون الثاني سنة (852هـ/1449م)، بعد وفاة أخيه يوحنا الثامن الذي لم يترك أولاداً للحكم من بعده، حيث أسهمت أم قسطنطين الإمبراطورة هيلين بشكل كبير في ترجيح كفته لتولي العرش البيزنطي بعد أخيه يوحنا الثامن، ومع أن قسطنطين كان من أفضل الحكام الذين تولوا عرش الإمبراطورية البيزنطية خلال الحقبة الأخيرة من حياة الإمبراطورية فإن بيزنطة كان محكوماً عليها بالفناء، ولم تكن شجاعة وسياسة الإمبراطور الحكيمة تجدي لإنقاذ إمبراطورية محكوم عليها بالزوال في عهده، وكان سقوطها بالنسبة للأوروبيين أمراً محتوماً تجلى في عدم قدرة الحملات الصليبية الأوروبية على إنقاذ الإمبراطورية البيزنطية من الغزو العثماني، وخاصة بعد هزيمتهم في معركة فارنا، حيث لم يعد هناك أمل أمام الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الحادي عشر سوى الاعتَمَّاد على الموارد المتاحة داخل القسطنطينية للتصدي للعثمانيين عند حصار عاصمته، وقد استغل بابا روما ظروف بيزنطة الحرجة، وطلب من الإمبراطور إعادة إعلان الوحدة بين الكنائس داخل عاصمته، وأرسل لهذا الهدف الكاردينال إيذيدور Isidore مندوباً بابوياً في تشرين الأول عام

[1] Nicol, The Immortal Emperor, pp. 36–40.

(855هـ/1452م) ليتلقى خضوع كنيسة القسطنطينية، وكان بصحبة هذا المندوب قوة تبلغ حوالي مائتي من الرماة[1]، وعلى الرغم من صغر هذا العدد لا شكَّ أنه أدخل السرور على سكان المدينة المحاصرة، وأوحى لهم بمدى صدق البابا في أمر مساعدتهم.

أدرك الحزب المعارض للوحدة نوايا البابا في إخضاع كنيستهم للكنيسة اللاتينية لذلك على الرغم من إعلان الإمبراطور قبوله الاتحاد، وأقام قداساً طبقاً للمذهب الغربي في كنيسة آيا صوفيا في الثاني من كانون الأول من العام نفسه إلا أن هذه الخطوة لم تؤتِ ثمارها، فقد عمت الاضطرابات أنحاء المدينة عقب إعلان الوحدة، وأتهم المعارضون الإمبراطور بالهرطقة، واشتدت الكراهية بين سكان المدينة واللاتين، وبدأت الشكوك تساور كل طرف في مدى مصداقية الطرف الآخر، كما ظهرت كراهية رجال الدين – المعارضين للوحدة – للإمبراطور، وعندما طالبهم بكنوز الكنائس ونفائسها للإنفاق على تجديد وإصلاح أسوار المدينة رفضوا ذلك بشدة[2].

حدثت كل هذه المشاحنات داخل المدينة في حين كان السلطان العثماني يخطط للاستيلاء عليها، حيث لا يمكن تجاهل حقيقة عداء البيزنطيين للاتين منذ أن إقدام اللاتين على احتلال القسطنطينية عام (600هـ/ 1204م) خلال الحملة الصليبية الرابعة، ذلك العداء الذي منع الطرفين من الوقوف صفاً واحداً لتصدي الخطر العثماني المحدق بمدينة القسطنطينية.

أمام هذا الوضع الجديد، وأمام إصرار السلطان العثماني محمد الثاني للسيطرة على القسطنطينية أرسل الإمبراطور قسطنطين إلى ملوك أوروبا السفراء لإرسال النجدة على وجه السرعة، ولكن النتيجة كانت مخيبة لأمله بسبب تقاعس أوروبا عن مساعدته، والواقع أن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين سلك كل السبل لإنقاذ القسطنطينية حتى أنه حاول رشوة المقربين من السلطان محمد الثاني لثنيه عن قرار مهاجمة المدينة ولكن السلطان كان أكثر إصراراً على ذلك، عند ذلك تأكد للإمبراطور والشعب البيزنطي بأن سقوط المدينة في يد العثمانيين وشيك الأمر

(1) Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, p. 648./ Ostrogorsky, History of Byzantine State, p. 505.
(2) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 264./ Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, p. 647.

الذي جعل من تبقى داخل القسطنطينية يشعر بالخوف المتزايد والتعلق أكثر بسماع مواعظ الرهبان والخرافات [1].

2- الصراع بين قسطنطين الحادي عشر وديمتريوس (851-856هـ/1448-1453م):

توفي شقيق قسطنطين ثيودور في حزيران (851هـ/1448م)، وفي 31 تشرين الأول من نفس العام، توفي الإمبراطور يوحنا الثامن، وكان الخلفاء المحتَمَّلون للعرش هم قسطنطين، وديمتريوس، وتوماس، ولم يكن يوحنا الثامن قد عين وريثاً رسمياً، على الرغم من أن الجميع كانوا يعلمون أنه كان يفضل قسطنطين، وفي النهاية سادت إرادة والدتهم هيلينا دراغاس التي فضلت أيضاً قسطنطين[2].

سارع إلى القسطنطينية كل من توماس الذي لم يكن لديه نية لتولي العرش، وديمتريوس الذي وصل إلى العاصمة قبل قسطنطين، وعلى الرغم من أن ديمتريوس كان مفضلاً من قبل الكثيرين بسبب مشاعره المناهضة للنقابات، إلا أن هيلينا احتفظت بحقها في التصرف كوصي حتى وصل ابنها الأكبر، قسطنطين مما أوقف محاولة ديمتريوس للاستيلاء على العرش ووافق توماس على تعيين قسطنطين وألغي ديمتريوس، الذي انضم بعد ذلك بوقت قصير إلى إعلان قسطنطين كإمبراطور جديد، وبعد ذلك بوقت قصير أبلغ سفرانتز السلطان العثماني مراد الثاني، الذي وافق أيضاً على التعيين[3].

من أجل إزالة ديمتريوس من العاصمة ومحيطها، جعله قسطنطين حاكم على المورا ، ليحكم مع توماس، وقد مُنح ديمتريوس العاصمة الاسمية ميسترا ، وحكم بشكل أساسي الأجزاء الجنوبية والشرقية منها، بينما حكم توماس كورنثا، والأجزاء الشمالية والغربية، متخذاً من باتراس أو ليونتاري عاصمة له، وخلال حقبة توليه منصب الحاكم، بذل ديميتريوس بعض الجهود لتوسيع رقعة أراضيه، والاستيلاء على قلعة كاستري التي تحتفظ بها البندقية، وخلال عام 1452م أثناء مراحل التحضير للحصار العثماني الأخير للقسطنطينية، أرسل قسطنطين الحادي

---

(1) Runciman, The Fall of Constantinople, pp.92-95.

(2) Nicol, . The Immortal Emperor, p. 35.

(3) Nicol, . The Immortal Emperor, p.36.

عشر رسالة عاجلة إلى المورا يطلب فيها من أحد إخوته إحضار قواته لمساعدته في الدفاع عن المدينة، ولمنع المساعدات القادمة من المورا، أرسل السلطان محمد الثاني أحد جنرالاته لتدمير شبه الجزيرة إلا أنه تَمَّ صد الهجوم العثماني من قبل جيش بقيادة ماثيو باليولوجوس آسن، وجاء قرار تقديم المساعدة للقسطنطينية متأخراً للغاية، التي سقطت في 29 مايو (856هـ/1453م)[1].

3- الأوضاع السياسية في الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر(852- 856هـ/-1449-1453م):

عمد الإمبراطور قسطنطين بعد توليه العرش، إلى جملة من الإصلاحات الداخلية، أهمها ترميم الأسوار الثلاث للقسطنطينية بهدف حماية المواطنين البيزنطيين من الهجوم العثماني المرتقب، فكلف أحد أقاربه وهو مانويل باليولوج إيجروسManuel Palaeolog Iagrus بمهمة إعادة ترميم الجدران التي تضررت خلال فشل السلطان العثماني مراد الثاني اقتحام أسوار المدينة عام (824هـ/1422م)، وعلى الرغم من عدم توفر الموارد المالية الكافية في المدينة، اكتَمَّل العمل بشكل تام مع نهاية عام (855هـ/1452م)، فقد كان السور الداخلي الأكبر يتكون من ثلاثة أقسام، وعلى ارتفاع 25 قدم، وبسمك أكثر من ثمانية أقدام، والجدار الخارجي يقف على 15 قدم، بالإضافة إلى ذلك تَمَّت إزالة الحطام من الخندق الخارجي، وإعادة ملئه بالماء، مما وفر للمدينة مزيداً من الحماية[2].

فعمل إيجروس على استقطاب المهندسين المهرة في المدينة لإعادة ترميم الأسوار إلى ما كان عليه الحال في القرون الوسطى، إلا إن جهود إيجروس اصطدمت بجملة من العقبات بالأخص شح بالموارد المالية لترميم التحصينات ودعمها ضد المدفعية العثمانية الثقيلة. وفي واقع الأمر أن معظم المدن في العصور الوسطى لم تكن تَمَّلك الموارد اللازمة لتحديث دفاعاتها، حيث أن مواد البناء، مثل الجرانيت كانت باهظة الثمن للغاية، بالإضافة إلى ذلك أن المدفعية العثمانية كانت قد دمرت أقسام كبيرة من الأسوار خلال الحصار الأول للقسطنطينية. إلى جانب ذلك عانت العاصمة البيزنطية من سلسلة جديدة من الاضطرابات الداخلية، وأعمال الشغب، والثورات من

---

(1) Nicol, The Immortal Emperor, p.111.

(2) Mihailovi, Konstantin. Memoirs of ajanissary, p.93

جانب المناهضين لاتحاد فلورنسا، ولاسيما بعد فرار غريغوري ماماس Gregorius Mammas [1] في شهر آب (854هـ/١٤٥١م) إلى روما نتيجة المعارضة الشديدة لإعلان الاتحاد، حيث ظلت القسطنطينية بدون بطريرك إلى ما بعد الفتح العثماني لها، وفي ظل اكتَمَّال تحضيرات حصار محمد الثاني كان رجل الدين سكولاريوس في طليعة المناهضين للاتحاد خلال السنوات الأخيرة من حياة الإمبراطورية البيزنطية، وقد أشار في إحدى خطبه إلى الانقسامات الداخلية للبيزنطيين مما جعل المدينة عاجزة عن التصدي للهجمات العثمانية، كذلك أعرب رجل الدين ثيودور أيضاً عن قلقه من انقسام سكان القسطنطينية ودخولهم في نزاعات دينية وثورات داخلية في الوقت الذي كان فيه العثمانيون يتقدمون ويطبقون الحصار على مدينة القسطنطينية من الخارج بعد أن سيطروا على كل المناطق المحيطة بها وقطعوا كل طرق الاتصال مع الخارج، وهكذا كانت الحالة الداخلية للقسطنطينية عندما اعتلى العرش العثماني السلطان محمد الثاني عام (854هـ/1451م) ووجه كل جهوده من أجل احتلال المدينة[2]، وفي 13 أيلول (855هـ/1452م)، أصدر ثيودور أغليانوس وهو مسؤول بطريركي في القسطنطينية تقرير يوضح فيه وصف واضح لحالة مناطق العاصمة البيزنطية وكذلك حالة المواطنين في الداخل، وفقاً لتقرير ثيودور هاجمت قوات محمد الثاني المناطق المحيطة بالعاصمة، مما أدى إلى تدمير الحقول والكروم، والاستيلاء على بعض الحصون الهامة، وكتب ثيودور بأن القسطنطينية لم تتلق أي مساعدة عسكرية أو مالية سواء من الداخل أو من الخارج، وفيما كان السكان قلقون من العدو المرتقب ويخشون الأسوأ، كانوا يعانون من الفقر والحاجة، وكان أملهم الوحيد هو الله ليخرجهم من هذه الحالة وتسود حياتهم طبيعته الرحيمة والحنونة، وحسب ما ورد في كتاب هوفمان Hofmann فأن شهادة أغليانوس مهمة لأنه كان شاهد عيان ينقل حالة الوضع العام السائد بين السكان في القسطنطينية عشية حصار محمد الثاني، الذي بدأ رسمياً بعد سبعة أشهر في 6 نيسان (856هـ/1453م)، فقد عبر أغليانوس عن أهم مشاكل العاصمة البيزنطية التي جعلتها معرضة

---

[1] غريغوري ماماس Mammas Gregorius: البطريرك غريغوريوس الثالث الملقب بـ ماماس 1443-1450م، كان البطريرك المسكوني داخل الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، وكان له دور بارز في المبادرات غير الناجحة نحو إعادة توحيد الكنيسة الأرثوذكسية، واللاتينية الأمر الذي دفعه إلى الاستقالة من منصبه كبطريرك.

Nicol, The last Centuries of Byzantium, p.37.

[2] Nicol, Immortal Emperor, pp. 54–73.

في هذا الوقت لهجمات العدو بأن المدينة أصبحت في عزلة، وعانت الغالبية العظمى من المواطنين الفقر وأتعبهم البؤس وأفقدهم كل أمل ولا سيما أنه لا توجد مساعدة تأتي من أي مكان؛ مما شكل تيار قوي من المشاعر المعادية لاتحاد مجلس فلورنسا [1].

تشير جميع المصادر المكتوبة بعد ذلك أيضاً إلى دور المشاكل الداخلية للمدينة في عدم فعالية الدفاع أمام قوات السلطان محمد الثاني، حيث كانت معنويات سكان القسطنطينية ضعيفة حتى قبل أن يبدأ الحصار بالفعل، ومن بين الأسباب عزلة المدينة نتيجة حصارها من جهة البحر، وندرة كبيرة في المال، والإمدادات، وقلة عدد المدافعين، وغياب المساعدة من أي اتجاه، فقد بدا الوضع يائساً في ذلك الوقت ليس فقط لمن في داخل القسطنطينية ولكن للمراقبين من الخارج أيضاً، وتقدم المصادر سلسلة من الشخصيات التي كتبت عن وضع سكان القسطنطينية عام (856هـ/1453م)[2]، من بينهم على وجه الخصوص Sphrantzes سفرانتز الذي أشار إلى عدد السكان القادرين على الدفاع عن المدينة وتعتبر كتاباته الأكثر دقة، والتي تكشف عن النقص المقلق في عدد السكان المدافعين الأمر الذي جعل أمن المدينة في خطر كبير، وأشار سفرانتز بأنه في وقت مبكر خلال حصار العثمانيين للقسطنطينية، أمر قسطنطين الحادي عشر بإجراء إحصاء لجميع السكان الذين كانوا قادرين على القتال وحمل السلاح، بما في ذلك العلمانيين ورجال الدين معاً، مع عدد الأسلحة التي كانت بحوزتهم، ووضعت قوائم فردية لسكان كل حي تَمَّ جمعه من قبل وكلاء الإمبراطورية، ومنهم سفرانتز، وكانت الأرقام التي خرج بها سفرانتز مثيرة للقلق لدرجة أن

---

[1] هذا الواقع كان على عكس الحجة التي ساقها كل من الوحدويين البيزنطيين والبابوية، على سبيل المثال في عام 1451م كتب البابا نيكولاس الخامس إلى قسطنطين الحادي عشر أن فشلات البيزنطيون أمام العثمانيين كانت بسبب خطيئة الانقسام التي استمرت بعد اتحاد فلورنسا وأن قراراته لم تدخل حيز التنفيذ في القسطنطينية.
Hofmann, G. Letter to the Pontifical Council of Florence looking, Vol. iii (Rome, 1946), p. 304.

[2] وفقًا لذلك، تتراوح التقديرات الحديثة لسكان المدينة في عام (856هـ/1453م) بشكل كبير من 15000 إلى 140.000، لكن الرقم الذي تم التوصل إليه بالإجماع العلمي هو 40.000–50.000، كما اقترح أولاً بواسطة:
Franc`es, E.,"Constantinople byzantine aux XIVe et XVe si`ecles. Population, commerce,m´etiers,"RESEE 7/2 (1969), p. 405–406.

الإمبراطور قرر عدم الكشف عنها لأية جهة: فقد احتوت المدينة من المدافعين والمستعدين للقتال حوالي 4.773 و 200 محارب أجنبي[1].

وعلى الرغم من انخفاض عدد سكان المدينة بشكل كبير، كانت المدينة تعاني من نقص في الإمدادات الغذائية طوال حقبة الحصار، وكان السلطان محمد الثاني مثل سلفه بايزيد الأول يأمل في تحقيق استسلام القسطنطينية من دون استخدام القوة العسكرية من خلال سياسة الحصار والتجويع[2].

واستعداداً منه للحصار المتوقع أولى قسطنطين الحادي عشر اهتماماً خاصاً لإمداد المدينة بالمؤن، وطالب بإمدادات إضافية ليتَمَّ إرسالها من المورا، وتشجيعاً منه لنقل المزيد من الإمدادات الغذائية والأسلحة من الخارج، أعفى الإمبراطور تجار جنوه من جميع الرسوم الجمركية على البضائع التي كان عليهم إدخالها إلى القسطنطينية أثناء الحصار، وكان الإعفاء فعالاً فتَمَّكن تجار جنوه من إدخال ما لا يقل عن ثلاثة سفن كبيرة من جنوه لتبحر إلى المدينة المحاصرة في نيسان (856هـ/1453م)[3].

هذا الإجراء الأخير يمثل تحولاً ملحوظاً في السياسة الاقتصادية لقسطنطين الحادي عشر، فقد كانت سياسته الاقتصادية تقوم على فرض ضرائب لملء خزينة الإمبراطورية المستنفدة في عام

---

(1) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, p. 96.

مصادر معاصرة أخرى تعطي أرقاما أعلى قليلا لكنها قابلة للمقارنة.

Bartusis, M. C. The Late Byzantine Army: Arms and Society, 1204–1453 (Philadelphia, 1992), p. 130.

(2) Darko, Eugenius, Laonici Chalcocandylae Decline and Fall of Byzantium to the Ottomanrum Demonstrationes, 2 vols. (Budapest, 1922–1927), pp. 148–149.

(3) باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص23 .

باربارو: الذي كان حاضراً في القسطنطينية خلال الحصار، كما ورد في مذكراته في الأيام الأولى من أيار 1453م، "تزايد النقص في المؤن، ولا سيما الخبز والنبيذ وغيرهما، وأبلغ باربارو عن وصول أربع سفن "يعتقد أنها قادمة من جنوه "، محملة بالمواد الغذائية والمؤن لمواجهة الحصار.

Marinescu, C. “Contribution `a l’histoire des relations ´economiques entre l’Empire byzantin, la Sicile et le royaume de Naples de 1419 `a 1453,” Studi bizantini e neoellenici 5 (1939), pp. 209–219.

(853هـ/1450م) ففرض ضرائب جديدة على بعض السلع المستوردة من قبل تجار البندقية إلى القسطنطينية، متجاهلاً تهديدهم لنقل تجارتهم من العاصمة البيزنطية إلى الدولة العثمانية[1].

ففي عام (856هـ/1453م) كان هناك حاجة إلى زيادة عائدات الخزانة الإمبراطورية، لكن استَمَّرار الحصار أدى إلى نشوء حاجة ملحة لزيادة الإمدادات الغذائية، وبالتالي تبدلت سياسة القسطنطينية تجاه التجار والبضائع الأجنبية، وعلى الرغم من ذلك لم تكن جهود الإمبراطور ناجحة إلى حد كبير، فقد تزايد النقص في المؤن، ولا سيما الخبز والنبيذ وغيرهما، ومما جعل الأمور أسوأ هو إخفاء بعض التجار جزء من المواد الغذائية المتوفرة ورفع أسعارها، وعلاوة على ذلك فضل بعض التجار الإيطاليين، بيع تجارتهم للعثمانيين بدلاً من سكان القسطنطينية الجائعون، وكان الوضع الاقتصادي قاسياً لدرجة أن الجنود المسؤولون عن حراسة أسوار المدينة كثيراً ما كانوا يتركون مواقعهم من أجل تأمين لقمة عيش أفراد أسرهم، ولتفادي هذا المأزق صدر أمر بتوزيع الخبز على عائلات الجنود[2].

ومن أجل التغلب على مشكلة فرار الجنود، لجأ قسطنطين الحادي عشر الذي لم يكن لديه ما يكفي من المال في الخزينة الإمبراطورية لدفع رواتب الجنود، إلى استخدام كنوز الكنيسة، وأمر بصهرها وتحويلها إلى نقود من أجل دفعها كرواتب للجند وعمال صيانة الأسوار، ومشكلة أخرى مماثلة ظهرت عند سكان المدينة خلال الحصار تَمَّثلت بالحاجة الملحة لنقل كمية كبيرة من المواد اللازمة لإعادة التحصين لأنه لا أحد يريد القيام بهذا العمل دون أن يتقاضى أجراً، ولم يكن هناك نقود كافية في الخزينة، حيث ظلت هذه المواد من دون استخدام في تحصين الأسوار، وخير مثال على ضعف المقدرة المادية هو مغادرة المهندس المجري وصانع المدافع أوربانUrban، الذي وظفه قسطنطين الحادي عشر من أجل صناعة المدافع لحماية القسطنطينية، فلم يستطع أن يدفع له راتبه فغادرَ القسطنطينية في صيف (855هـ/1452م)، فتوجه إلى السلطان العثماني محمد الثاني وعمل في خدمته، حيث استطاع محمد الثاني من استغلال مهارته في صناعة المدافع

---

(1) Nicol, D. M, Byzantium and Venice: A Study in Diplomatic and Cultural Relations (Cambridge,1988), pp. 390–391.

(2) باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص33-34.

لإنشاء مدفع ضخم تَمَّكن بوساطته محمد الثاني من تدمير أسوار القسطنطينية والذي شغل دوراً كبيراً في اسقاط المدينة[1].

ومن خلال ما تقدم يتضح بأن نقص الأموال العامة والمواد الغذائية بالإضافة إلى نقص عدد السكان داخل القسطنطينية، هذا العوامل مجتَمَّعة أدت إلى انهيار في عزيمة الجنود والسكان المدافعين عن المدينة، وحاول الإمبراطور في هذا الوقت دعم خزينة الإمبراطورية من خلال فرض ضرائب جديدة على السكان إلا أنه تراجع عن اتخاذ القرار بعد النصائح التي قدمت له من قبل رجال حكومته نتيجة عدم قدرة السكان على دفع المزيد من الضرائب[2].

وأشار ماكاريوس إلى أن العاصمة البيزنطية كانت تعاني من الفقر في سنواتها الأخيرة، وبالتالي انتشار العوز في جميع أنحاء المدينة في ذلك الوقت، وفي حين أن موضوع الفقر الواسع النطاق والمنهك يتكرر في أغلب الأحيان في روايات الحصار (856هـ/1453م)، إلا أنه تبين بأنه هناك فئة قليلة من الأثرياء الذين كانوا يملكون ثروات هائلة في حين كان أغلبية سكان القسطنطينية يعانون من فقر شديد، ولم يقدموا أي من ثرواتهم من أجل تحسين وضع السكان أو تقديم المساعدة اللازمة لإعادة تحصين أسوار المدينة [3].

وأفاد ليوناردو خيوس في 16 آب (856هـ/1453م)، من خلال رسالته الموجهة إلى البابا نيكولاس الخامس بأن طبقة الأرستقراطيين في القسطنطينية، كانوا قد أوضحوا إلى الامبراطور بعد مناشدته لهم بأن مواردهم قد استنفذت خلال حقبة الحصار، فيما تبين لاحقاً بعدم صحة أقوالهم حيث أكتشف ليوناردو بأن العثمانيين عثروا بعد دخولهم المدينة مبالغ كبيرة من المال والأشياء الثمينة مخزنة لدى بعض منازل الأثرياء، وفي حادثة تاريخية مشابهة على وجود الأموال لدى بعض الفئات الغنية داخل المدينة أشار باربارو إلى العثور على 30000 دوقية مع أحد الأرستقراطيين في الوقت الذي دخل فيه الجيش العثماني المدينة والذي كان يتَمَّتع بمكانة رفيعة داخل الحكومة البيزنطية، ومثال آخر ذكرت المصادر على أرستقراطي كان قد سلم بناته إلى محمد الثاني ومعهم طبقين مليئين بالعملات المعدنية القيمة، وغيرهم الأثرياء الذين قدموا مبالغ

---

(1) باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص 50-66.

(2) Laonici Chalcocandylae Decline and Fall of Byzantium to the Ottomanrum Demonstrationes, pp. 151–152.

(3) باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص 50 .

كبيرة للسلطان العثماني [1]، ونظراً للكره من قبل باربارو وليوناردو خيوس، دفع للشك في مصداقية أقوالهم حول هذا الموضوع، إلا أن تلك الأقوال تَمَّ تأكيدها من قبل مصادر معاصرة أخرى، ويؤكد المؤرخ العثماني تورسون بك، الذي يُفترض بأنه عاصر تلك الحقبة على صحة ما ذكر سالفاً بأنه تَمَّ العثور من قبل الجنود العثمانيون بعد دخولهم المدينة على الذهب والفضة والمجوهرات داخل منازل الأغنياء وفي القصر الإمبراطوري [2].

كما تشير العديد من المصادر المعاصرة أيضاً إلى حالة الرفاه لدى بعض الأثرياء على الرغم من ادعائهم بالفقر في العملات المعدنية والمجوهرات والكنوز المخبأة الأخرى، كما اكتشف في اسطنبول قبل بضع سنوات كنزاً يحتوي على العملات الفضية التي ينتَمَّي معظمها إلى عهد قسطنطين الحادي عشر، والذي يجب أن يكون قد خبئ خلال[3].

وعلى الرغم من صحة هذه الأدلة بوجود مجموعة ثرية من أصحاب المال داخل القسطنطينية الذين تظاهروا بالفقر عام (856هـ/1453م)، إلا أن بعضهم يمكن أن يكون قد خسروا جزء من ثروتهم، وبالمقابل فأن هناك من استطاع منهم المحافظة على ثروته؛ مما يدفع للتساؤل كيف استطاع هؤلاء الاحتفاظ بتلك الأموال في الوقت الذي كان فيه سكان وحكومة القسطنطينية بأمس الحاجة إلى تلك الأموال وفي الوقت الذي امتنع بعض الأغنياء عن تقديم المساعدة المالية للفقراء هناك من قام بتقديم المساعدات منهم الأرستقراطي الثري لوكاس نوتاراس الذي ساهم بثروته بدعم تحصينات أسوار القسطنطينية في (856هـ/1453م)، كما خاطر بحياته من خلال المشاركة في المعركة النهائية ضد العثمانيين، وفي الوقت ذاته كان هناك مجموعة من الأثرياء البيزنطيين الذين كانوا على علاقات جيدة مع الإيطاليين إلا أنهم فضلوا عدم مغادرة القسطنطينية بعد (856هـ/1453م) على الرغم من خضوعهم للعثمانيين، وهناك من الأثرياء من عاد منهم إلى القسطنطينية بعد سقوطها حيث مارست التجارة فيها [4].

---

[1] باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص 66.

[2] Tursun Bey The History of Mehmed, p. 37.

[3] Bendall, S. "A coin of Constantine XI," The Numismatic Circular (1974), p.134–142.

[4] Inalcık, H. An Economic and Social History of the Ottoman Empire, 1300–1914, ed. Quataert (Cambridge, 1994), pp. 209–216.

رابعاً: الإمبراطورات البيزنطيات ودورهنَّ في السياسة الداخلية البيزنطية:

إن الإمبراطورات أو نساء العرش البيزنطي قد لعبن دوراً هاماً ومؤثراً طيلة تاريخ الإمبراطورية البيزنطية الطويل، بل إن بعضهن قد تحكمن في مصير الإمبراطورية البيزنطية وفي مقدراتها، ذلك أن هؤلاء النسوة قد حكمن الإمبراطورية تحت مسميات عديدة، كوصية على إمبراطور قاصر، أو كوصية ثم إمبراطورة منفردة، أو كزوجة للإمبراطور.

لقد تَمَّتعت الإمبراطورات البيزنطيات بمكانة ونفوذ لدى أزواجهم الأباطرة، ولدى الحاشية الإمبراطورية، مما سمح لهن لعب دور في شؤون الدولة، وممارسة السلطة السياسية سواءً بوجود الإمبراطور أو في أثناء غيابه، فقد أدارت الإمبراطورة هيلينا كنتاكزينوس إدارة الإمبراطورية في غياب ولدها الإمبراطور مانويل الثاني لعدة شهور في آسيا الصغرى عام (794هـ/1391م)، وكذلك بين عامي (796-797هـ/1393-1394م).[1]

كانت تسند إليها الشؤون اليومية للبلاط الإمبراطوري، كما كانت تشارك ابنها في الإدارة الإمبراطورية عن طريق تقديم نصائحها له في الأمور السياسية والعسكرية أو عند عقد المعاهدات مع السفراء الأجانب، والتفاوض معهم، كما حصل مع سفراء البندقية عندما تفاوضت معهم عام (799هـ/1396م) حول تسليم بعض المواقع للفرسان الاسبتارية Hospitallers[2]، لقد كانت هيلينا تَمَّتلك وعي سياسي وقدرات كبيرة، وكان لها تأثير على ابنها في القرارات ذات الأهمية السياسية والخاصة بمستقبل الإمبراطورية، وكان مانويل الثاني رغم قوته وسلطته الإمبراطورية منصاعاً لأمه احتراماً وتقديراً لها، وكانت هيلينا تعتبر مصدراً للحكمة وراعية السلطة الإمبراطورية، وحامية الأسرة الإمبراطورية والدولة ككل، وكانت تدعو ابنها دائماً للتحلي بالشفافية والمصارحة بين الحاكم والمحكوم.[3]

([1]) Barker, Manuel II Palaeologus, P.87.

[2] منظمة دينية عسكرية نشأت في بيت المقدس، وكان أعضاؤها من الرهبان الذين اشتهروا بالتقوى والصلاح، ومن ثم تطورت هذه الجماعة وأصبحت مهمتها تدريب الفرسان الأشداء الذين ينذرون أنفسهم للدفاع عن المسيحية، وخضعت بشكل مباشر للبابا. قاسم، عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية (الأيديولوجية-الدوافع-النتائج)، القاهرة، 1993م، ص 157.

[3] Barker, Manuel II, p.146.

كما شغلت الإمبراطورة الصربية هيلينا دراجاش Helena Dragas[1] زوجة الإمبراطور مانويل الثاني دوراً سياسياً هاماً، حيث استطاعت الاحتفاظ بالعرش لأبنها قسطنطين الحادي عشر باليولوج، ورتبت إعلانه كإمبراطور أثناء غيابه عن القسطنطينية، وعلى الرغم من منافسة أخويه على العرش البيزنطي بعد وفاة أخيهما يوحنا الثامن دون أن يترك وريثاً شرعياً للعرش، ولكن أمه هيلينا التي كانت تَمَّيل لابنها قسطنطين لتوليته على العرش في القسطنطينية، فجمعت أخوته من مناطق حكمهم، وأخذت منهم الموافقة على تولية أخيهم قسطنطين على العرش الإمبراطوري بعد أن أقسموا بأنهم لن يعارضوا أوامرها، ووعدوا بمساعدة أخيهم في حكمه، فأرسلت إلى ابنها قسطنطين الذي وصل إلى القسطنطينية وتَمَّ تتويجه في سنة (852هـ/1449م) إمبراطوراً على العرش البيزنطي.[2]

أن الانقسامات السياسية لسكان القسطنطينية بشكل عام هي نتيجة التقسيمات الاجتَمَّاعية، والتي تظهر الانقسام في تأييد أو رفض الهيمنة العثمانية أو اللاتينية، فقد تألفت الطبقة الأرستقراطية في العاصمة في الغالب من شخصيات رفيعة المستوى في دوائر المحاكم والحكومة، وكثير منهم يعود الفضل في ازدهارهم المستَمَّر خلال هذه الحقبة إلى الروابط الاقتصادية التي أسسوها مع إيطاليا والإيطاليين، ودعموا سياسة مناهضة للعثمانيين على أساس فرضية المساعدة من الغرب اللاتيني ومنذ ذلك الحين دائماً كان الشرط المسبق لهذه المساعدة هو اتحاد الكنيسة البيزنطية مع كنيسة روما، وتقديم إيمانها الأرثوذكسي من أجل خلاص العاصمة والإمبراطورية، وقد شغلت الارستقراطية البيزنطية دوراً كبيراً لتأييد فكرة الاتحاد، وتوجت بقبول الاتحاد في مجلس فلورنسا في عام (842هـ/1439م)، ومن ناحية أخرى عارضت غالبية الطبقات الدنيا اللاتين لأسباب دينية واجتَمَّاعية واقتصادية إلاَّ أنَّ موقفهم من العثمانيين غير واضح خلال حقبة الحصار

---

[1] هي ابنة الأمير الصربي قسطنطين دراجاش Konstantin Dragas ، وكان والدها نبيل وحاكم صربي مشهور حكم منطقة واسعة من مقدونيا الشرقية، وكانت علاقته جيدة بالحكومة البيزنطية وتزوج أميرة بيزنطية، وأنجب ابنته هيلينا التي تزوجها الإمبراطور مانويل الثاني عام 1392م.

Kazhdan, A, The Oxford Dictionary of Byzantium, . ed., 3 vols. (New York and Oxford, 1991), PP. 505-506.

[2] عطية، السيد محمد متولي، الدولة البيزنطية في عالم القرن الخامس عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المنصورة، 1998م، ص47-52.

ثاروا وتظاهروا لصالح الاستسلام آملين بذلك في إحلال السلام خلال حصار محمد الثاني عام (856هـ/1453م)، وجزء من عامة الناس في العاصمة البيزنطية عبروا عن تفضيل الهيمنة العثمانية على سيطرة اللاتين.

الفصل الثاني:

السياسة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية 806-856هـ/ 1403-1453م:

أولاً: علاقة بيزنطة مع الصرب والمجر خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي:

1-العلاقات البيزنطية الصربية.

2-العلاقات البيزنطية المجرية.

ثانياً: العلاقات البيزنطية مع مدن الدول الإيطالية خلال القرن التاسع الهجري-الخامس عشر الميلادي.

ثالثاً: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والبابوية 806-856هـ/ 1403-1453م:

1-العلاقات بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية.

2-الصراعات داخل الكنيسة وموقف بيزنطة منها بين عامي 796-817هـ/ 1394-1415م.

3-العلاقات البيزنطية البابوية والمجمع المسكوني في بازل 834-840هـ/1431-1437م.

4-انعقاد مجمع فيرارا-فلورنسا الكنسي 842-843هـ/1438-1439م.

5-موقف رجال الدين داخل القسطنطينية على نتائج المؤتمر.

أولاً: علاقة بيزنطة مع الصرب والمجر خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي:

لم تستطع القوى البيزنطية، والصربية، والمجرية مواجهة القوات العثمانية، وذلك نتيجة الخلافات فيما بينهم من ناحية، ونتيجة تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الإمبراطورية البيزنطية، وفي الإمارات البلقانية من ناحية أخرى، مما مكن العثمانيين من النجاح في توسعاتهم من خلال الاستفادة من هذا العجز الجماعي عن الحركة بل ومن خلال المناورة بالتحالف مع طرف ضد طرف آخر، ومن ناحية فإن طلب إمبراطور بيزنطة مساعدة أورخان ضد إمبراطور الصرب الذي تحالف مع البندقية والإمارات الصربية للهجوم على القسطنطينية هو الذي أعطى الفرصة لأورخان لعبور الضفة الغربية من الدردنيل للمرة الأولى استعداداً للتقدم إلى أوروبا، كذلك وبعد السيطرة على أدرنة عام (761هـ/ 1359م)، وفي الوقت الذي كان يستعد فيه مراد الأول للتوسع على حساب الصرب والبلغار كان يزداد تهديد الصرب للبلغار، ومن ثم سعى البلغار للتحالف مع العثمانيين[1]، ومن ناحية أخرى كانت الأراضي البيزنطية والبلقانية أسيرة الانقسام ليست السياسية فقط ولكن الاجتماعية والدينية، فلقد تنازع أفراد الأسرة الحاكمة البيزنطية على العرش واستعان بعضهم ضد البعض الآخر بالعثمانيين أنفسهم[2]، وعلى الصعيد الاجتماعي والمذهبي كان عدد سكان الإمبراطورية في تناقص مع تردي أوضاع إدارتها القانونية والمدنية، وانهيار معنويات العرق اليوناني[3]، ويرتبط هذا الانهيار بعواقب معاناة السكان البيزنطيين من آثار الحملة الصليبية الرابعة، وما نتج عنها قوة نفوذ سلطة الحكم اللاتيني اذ تمكن ملاك الأرض اللاتين بسبب غياب سلطة محلية قوية والحروب الأهلية من إحكام قبضتهم على الأراضي، والسيطرة على الفلاحين المعتقدين للأرثوذوكسية، وكان الشعور بالخوف والاضطهاد من اللاتين الكاثوليك هو الذي جعل

---

(1) Inalcik, H. The Ottoman Empire, the classical age 1300-1600, Phoenix Press, 2000, p.276.

(2) بيهم، محمد جميل، فلسفة التاريخ العثماني، دار صادر للطباعة، عام 1925م، ص230-233.

(3) مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص60-61.

سكان الإمبراطورية البيزنطية يفضلون العثمانيين حيث تغيرت نظرتهم للغزو العثماني على أساس أنه إذا كان العثمانيين سيحلون مكان سادتهم اللاتين الكاثوليك فهذا أفضل لسماحتهم الدينية[1]

1-العلاقات البيزنطية الصربية:

أدى التوسع العثماني في البلقان إلى قلق سيجسموند ملك المجر، وكان قد أخفق في منع توسع العثمانيين في عهد السلطان محمد الأول، لذا سعى إلى تحريض الأمراء والحكام المسيحيين المجاورين على عدوهم المشترك، وأدى الخطر العثماني المتزايد أيضاً إلى إبرام معاهدة سلام بين ملك المجر سيجسموند وملك الصرب إستيفان لازار في عام (830 هـ / 1426 م) بهدف إنشاء تحالف مشترك ضد العثمانيين، كما تم الاتفاق على خلافة جورج برنكوفيتش George Brenkovic كحاكم للصرب بعد لازار[2].

على الرغم من موافقة المجر والدولة البيزنطية التي أرسل إمبراطورها يوحنا الثامن جورج فيلانتروبينوس George Philanthropinos لتسليم شارات المنصب الجديد لجورج برانكوفيتش(833هـ/1429م)[3]، -وهو تقليد بيزنطي كان متبع مع حكام صربيا للتعبير عن السيادة البيزنطية الروحية والاسمية عليها-، بعد وفاة لازار (831-861هـ/1427-1456م) إلا أن مراد الثاني بعد وفاة لازار احتل منطقة جلوباك Globac وكورسيفا Kursevac عام (832هـ/1428م)، وأجرى مصاهرة دبلوماسية مع الأمير الصربي حيث تزوج من ابنته مارا Mara، عام (839هـ/1435م) وبذلك ارتبطت الأسرة الحاكمة في صربيا بالبيت العثماني، وبذلك طالب السلطان مراد بأملاكه في صربيا مدعياً أحقيته فيها من خلال أنها تخص زوجته مارا، وأمام التهديد العثماني اتبع جورج أسلوب التودد للسلطان مراد من خلال تقديم جزية سنوية والتعهد بمشاركته في حملات السلطان العثماني عند الحاجة[4]، مقابل أن يسمح السلطان مراد لحاكم

(1) Inalcik, The Ottoman Empire, p. 286.
(2) Miller, W," The Balkans States", The Turkish Conquest 1355- 1483،"in, Cambridge Medieval History, 1927, p.562.
(3) Miller, The Balkans States, p.562.
(4) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, pp. 62, 175.

صربيا ببناء عاصمة جديدة وهي سمندرا Samandra، والتي تم بناؤها عام (834هـ/1430م)، وبذلك نجح السلطان مراد الأول في إنهاء التحالف الصربي المجري[1].

كان جورج حاكم الصرب يتبع في الوقت نفسه أسلوب المهادنة في علاقته مع كل من المجر والعثمانيين، من خلال تزويجه ابنته الثانية من أحد أمراء المجر الأمر الذي جعل السلطان العثماني مراد يشك في ولاء وصدق برانكوفيتش، وتخوف مراد من تحالف الصرب مع المجر لذلك طالب برانكوفيتش بتسليمه مدينة سمندرا إلا أن برانكوفيتش قام بتسليمها لملك المجر ألبرت الثاني Albert II (841-844هـ/1437-1440م)[2].

تقدم السلطان العثماني مراد الثاني في ربيع عام (843هـ/ 1439م) للسيطرة على مدينة سمندرا Samandra في صربيا ثم توجه بعد ذلك لحصار مدينة بلغراد عام (844هـ/ 1440م) ولكنه فشل في اقتحامها[3].

استمر تقدم القوات العثمانية في البلقان فبعد فتحها مدينة سمندرا، تم الاستيلاء على مدينة نوفوبرادو Novo Brado عام (844هـ/ 1440م) ذات الأهمية الاستراتيجية التي اشتهرت بمناجمها المتعددة، وأهميتها الاقتصادية الكبرى[4]، غير أن يوحنا هونيادي John Hunyadi نجح عبر استخدام قوات المرتزقة في مقاومة العثمانيين الذين قاموا بغزو ترانسلفانيا[5]، وهزيمة قائدهم مزيد بك Mezid عام (845هـ/ 1441 م)، ولهذا عزز العثمانيون قواتهم في الروملي[6] لتعويض

---

[1] سمندرا Samandra: تم بناءها عام 1430م عند التقاء نهر الطونة (الدانوب) والمورفا، امتازت بمناعتها و قوة أسوراها، وتعد آخر عاصمة للصرب في العصور الوسطى.

Miller, The Balkans, p. 290.

[2] Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, pp. 176- 177.

[3] Creasy, History, p.63- 64. / Nicol, Centuries, p. 378. / Runciman, The Fall of Constantinople, p. 45.

عبد العاطي، عبد الغني، معركة فارنا الصليبية، مجلة كلية التربية، دمياط، العدد السابع عشر، جـ2، عام 1992م، ص 206.

(4) مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، جـ1، ص 101.

[5] ترانسلفانيا: إحدى أقاليم النمسا الواقعة على الحدود المجرية. طقوش، تاريخ العثمانيين، ص91.

[6] الروملي: اسم أطلقه الترك على أراضي الدولة العثمانية الواقعة في أوروبا التي تشمل دول : اليونان، مقدونيا، ألبانيا، كوسوفو، صربيا، الجبل الأسود، بلغاريا، الجبل الأسود، و البوسنة.

Frucht, Richard . Eastern Europe: An Introduction to the People, Lands, and Culture. .ABC-CLIO.(2004), p. 807.

الهزيمة في العام التالي (846هـ/1442م)، غير أنهم فشلوا تماماً، وكان من نتيجة ذلك أن انتشرت أخبار انتصارات هونيادي في جميع أنحاء أوروبا، وزادت الروح الصليبية في الغرب[1]، وبدأ أملاً جديداً في أوروبا حول إمكانية طرد الأتراك، وبدأ الجميع يسعى لتشكيل حملة صليبية جديدة، وقد أسند البابا إلى هونيادي وملك المجر مهمة إعداد هذه الحملة[2].

2-العلاقة البيزنطية المجرية:

لم يحدث أي اتصال بين بيزنطة والمجر خلال العقدين الأولين من القرن الخامس عشر نظراً لتعدد مشاكل المجر إلى جانب خوف ملكها سيجسموند عقب هزيمة الصليبيين في معركة نيقوبوليس، والتي كان لها أثر كبير في نفسه حيث تجنب الصدام مع العثمانيين طوال حياته، وبرز ذلك بشكل واضح عند محاولة الإمبراطور البيزنطي طلب مساعدته أثناء حصار القسطنطينية من قبل السلطان بايزيد، وهذا ما دفع الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني التوجه إلى الغرب الأوربي أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، وقد استمر ملك المجر على موقفه حتى عام (841هـ/ 1437م) متبعاً موقف الحياد وعدم حمل السلاح ضد الجانب العثماني[3].

وقد أسهم موقف المجر في تخفيف الضغط العسكري على العثمانيين، وسهولة تقدمهم وسيطرتهم على العديد من المناطق داخل البلقان مثل صوفيا Sofia[4] ودبروجا Dabruga [5] ومدينة فيليبوليس Filippplis[6] التي تقع إلى الغرب من أدرنة، وكانت المجر تتجنب الصدام مع العثمانيين نظراً للمشاكل العديدة التي كانت تعاني منها فقد دخلت في صراع مع البندقية التي

---

(1) Babinger .F, Mehamed, the Conqueror and his Time, Translated from German by Ralph Manheim, London, 1978, pp. 21-22.

(2) عبد العاطي، فارنا، ص 207.

(3) Nicol, Centuries, p.306.
/ Nicol, Centuries, p. 379/ Vambery, Hungary, p. 203.

(4) صوفيا Sofia: تقع في ولاية نيش في بلغاريا قرب نهر اسكر Asker River. موستراس، المعجم الجغرافي، ص334.

(5) دبروجا Dabruga: إقليم تاريخي مهم يقع جنوب شرق رومانيا. جوكتشه، حسين، السلاطين الأوائل عصر تأسيس الدولة العثمانية، تر: سمير زهران، ط1، دار النيل للطباعة والنشر، عام 2016م.، ص82.

(6) فيليبوليس Filippplis: أي مدينة فيليب، نسبة إلى مؤسسها فيليب والد الاسكندر الأكبر، وهي عاصمة الروملي الروملي الشرقية. فريد، الدولة العلية، ص45.

كانت قد سعت لتأكيد ادعائها في كرواتيا والبوسنة ودلماشيا إلى جانب استغلال الأمراء الإقطاعيين انشغال سيجسموند بحروبه وسط أوروبا حيث زاد نفوذهم وتعارضت مصالحهم، وعانت البلاد من الفوضى في الوقت الذي تجدد فيه الصراع مع البندقية أكثر من مرة كما حدث في الحقبة بين عامي (813-814هـ/ 1411-1412م) وبين عامي (820-821هـ/1418-1419م)، إلى جانب انشغاله بالانقسام الديني في غرب أوروبا، وانشغاله بالمنصب الإمبراطوري حيث تم تتويجه إمبراطوراً رومانياً عام (812هـ/ 1410م)، وملكاً على بوهيميا عام (822هـ/ 1420م)[1].

وكان من أسباب عدم الاتصال بين بيزنطة والمجر خلال العقدين الأولين من القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي إحساس بيزنطة بالأمان أثناء اشتعال الحرب الأهلية العثمانية، وكذلك الود الذي ساد العلاقة مع العثمانيين طوال حقبة السلطان محمد الأول[2].

دأب الملك سيجسموند على اتباع سياسة منظمة في البلقان تهدف إلى إقامة حزام أمني من الدول المجاورة للمجر يضم كل من الصرب والبوسنة ووالاشيا إلا أن هذا المخطط لم ينجح في تنفيذه لتضاربه مع أطماع قوى المنطقة لا سيما الوجود العثماني كل ذلك كان سبباً لم لعدم نجاح مخططه[3].

عندما تزايد الضغط العثماني على بيزنطة عقب تولي السلطان مراد الثاني (823-854هـ/ 1421-1451م) سعى الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني للاتصال بالملك المجري طلباً للمساعدة، حيث أرسل له ابنه يوحنا الثامن عام (827هـ/ 1423م) والذي أوضح له الآثار المترتبة على الحصار المتكرر للقسطنطينية ومدى المعاناة التي وصلت إليها[4].

ليس من شك أنَّ القلق سيطر على الملك المجري من تزايد الخطر العثماني في البلقان إلا أنَّ انشغال سيجسموند بالمشاكل الدينية[5] حيث كانت الكنيسة الغربية في حالة اضطراب داخلي حيث تزعم ويكلف Wycliffe حركة الإصلاح الديني داخل الكنيسة، وقد تبنى يوحنا هس Hus

---

(1) Shaw, History of the Ottoman Empire, p.1- 36.
(2) Vaughan, Dorothy, Europe and The Turk, A Battern of Alliances 1350- 1700, 1954., p.48
(3) Vaughan, Europe and The Turk, A Battern, p.48- 49.
(4) Haldon , A History of Byzantium, p.146/ Ostrogorsky, History of Byzantine State, p.562
(5) عبد العاطي، فارنا، ص202.

رئيس جامعة براغ Prague تعاليم ويكلف وانتشرت تعاليم هس في بوهيميا وعُرف اتباعه بالهسيين Hussites وكانت إحدى المسائل الأساسية التي دعا مجمع كونستانس (816-820هـ/ 1414-1418م) لمناقشتها تحت رعاية الملك المجري، وقد حالت المشاكل الدينية بالإضافة إلى تزايد ضغط البندقية على ميلانو حليفة سيجسموند دون تفكيره في تقديم المساعدة للإمبراطورية البيزنطية[1].

على الرغم من حالة الود التي سادت العلاقة بين المجر والعثمانيين توجه سيجسموند إلى الغرب الأوروبي في الوقت ذاته الذي توجه فيه الإمبراطور البيزنطي لحضور مجمع فلورنسا عام (843هـ/1439م) في إيطاليا، وقد سيطر القلق على السلطان مراد الثاني الذي خشي تشكيل حملة صليبية ضده إلا أن الإمبراطور البيزنطي أبلغه بأن الهدف من ذلك هو مناقشة المسائل الدينية[2].

بعد وفاة ملك المجر عام (841هـ/ 1437م) احتل السلطان مراد الأول بعض المناطق داخل المجر وأخضع كل من حاكم والاشيا فلاد دراكول Vlad Dracul، وجورجي برانكوفتش Georgy Brankovic أمير صربيا عام (842هـ/ 1438م)، وبوفاة سيجسموند الذي لم تكن له ذرية تولى ألبرت الثاني Albert II، من بيت آل هابسبورغ مملكة المجر ولكن لسنه واحدة، وخلفه فريدريك الثالث (843-887هـ/1439-1493م)، وقد عانت المجر خلال حكم ألبرت هابسبورغ Albert of Habsburg من صراع مع أتباع يوحنا هس، في الوقت الذي كانت الجيوش العثمانية على حدود بلاده، وبعد وفاته دخلت المجر في حرب أهلية بين عامي (844-846هـ/ 1440-1452م) بعد رفض بعض الأمراء وضع مقاليد الأمور بيد ابنه الذي كان ما يزال طفلاً، وقدموا التاج للملك البولندي فاديسلاس الثالث Vadislas III الذي حكم المجر منفرداً تحت اسم لادسلاس الأول إلا أنه أمام محاولات عديدة من ملوك هابسبورغ سابقين يطالبون بالعرش الإمبراطوري لأنفسهم، تم تحقيق هذا الهدف عندما قام البابا نيكولاس الخامس Nicholas V[3]. بتتويج فريدريك

---

(1) عاشور، أوربا، جـ1، ص513-516.

(2) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p.215/ Vambery, Hungary, p.190.

عبد العاطي، فارنا، ص205.

(3) نيقولا الخامس Nicholas V: ولد توماسو بارينتوسيلي ، وكان رئيس الكنيسة الكاثوليكية وحاكم الولايات البابوية من 6 آذار 1447 حتى وفاته عام 1455م، جعله البابا إيجين كردينالاً في عام 1446 بعد رحلات ناجحة

الثالث إمبراطوراً الذي كان يعدّه البابا من ابرز الحلفاء السياسيين له – إمبراطور روماني مقدس وذلك في احتفال كبير ومهيب في 8 صفر، 19 آذار (856هـ/1452م) [1].

ثانياً: العلاقات البيزنطية مع مدن الدول الإيطالية خلال القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي:

وفرت الحملات الصليبية للمدن التجارية الإيطالية فرصة للتوسع حيث اعتمدت الحملات الصليبية بشكل متزايد على الأساطيل الإيطالية في النقل البحري، وقد استغلت الجمهوريات الإيطالية ذلك في انتزاع تنازلات عن مستعمرات والحصول على مبالغ مالية، وكانت تلك المدن منخرطة في تجارة مع المشرق، ولكن التجارة ازدهرت مع تصاعد الحملات الصليبية حيث تدفق الآلاف من الجمهوريات البحرية الإيطالية إلى شرقي البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود، وأسسوا قواعد وموانئ ومنشآت تجارية عرفت باسم "مستعمرات". واعتمدت دول المدن التجارية الإيطالية في علاقتها مع بيزنطة على سياسة المصلحة التجارية الشخصية، وكانت تلك المصالح تؤدي إلى حروب وصراعات فيما بين تلك الدول التجارية على بسط نفوذها، ففي نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي سلم أندرونيكوس الرابع باليولوج جزيرة تينيدوس Tenedos البيزنطية إلى جنوه والتي تعد ميناءً هاماً على الطريق البحري نحو البوسفور والبحر الأسود كمقابل للتنازلات التي قدمها والده يوحنا الخامس للبندقية، وقد أدى هذا العمل إلى استئناف العمليات العدائية بين الجمهوريتين البحريتين والتي شهدت توسعاً من شرقي المتوسط إلى غربه، وكان هذا الصراع أحد الصراعات بين المدينتين، وقد اكتسبت الجزيرة أهميتها من خلال موقعها في مدخل الدردنيل أي في الطريق المؤدي من البحر الأيجي إلى البحر الأسود، ومن ثم اكتسبت أهمية كبيرة في مجال التجارة، حيث أصبحت قاعدة عسكرية لأي عمل ضد العثمانيين أو ملجأ للسفن الهاربة من مطاردتهم، وقد أدى ذلك إلى تزايد حدة الصراع بين جنوه والبندقية حولها، وقد لوح بها

إلى إيطاليا وألمانيا، وعندما توفي إيجين في العام التالي، تم انتخاب بارينتوسيلي مكانه، وأخذ اسمه نيكولاس الخامس.

Filelfo, F. Odes. Edited and translated by Diana Robin Harvard University Press.2009, p. 370.

[1] Housley. N, The Later Crusades (1274- 1580), Oxford, 1992, P.85./ Sinor. D, History of Hungary, New York, 1959, PP.109- 111.

الإمبراطور البيزنطي يوحنا الخامس للبندقية أثناء صراعه مع ابنه أندرونيكوس الرابع، ولم تكن جنوه ترضَ بامتلاك البندقية لها عندئذ سعت لإطلاق سراح أندرونيكوس وأمدته بقوات لاغتصاب العرش من والده حليف البندقية وهنا كان عليه أن يدفع لقاء مساعدات جنوه له وكان الثمن هو هذه الجزيرة وقطعة أرض في مواجهة البيرا[1].

استمرت هذه الحرب حوالي ست سنوات بين جنوه، والبندقية، وانتهت بتدخل الكونت أميدو أمير سافوي Amedo of Savoy حيث تم عقد صلح " تورين " Torin في الثامن من أغسطس عام (783هـ/1382م) الذي نص على حرمان المدينتين من الجزيرة وتحطيم كل من المباني والحصون الموجودة بها حتى لم يعد بالجزيرة ما يدفع المدن الإيطالية للتطلع إليها وأجبر سكانها على الرحيل إلى كريت، ونجرو بونت، وفي إطار حرص جنوه على الفوز بهذه الجزيرة لجأت إلى السلطان العثماني مراد الأول طلباً للمساعدة التي كانت تتمثل في ضمان وصول القمح إلى بيرا وخيوس وبقية الجزر التابعة لجنوه طيلة حقبة الحرب [2].

لم تكن العلاقة بين بيزنطة وهذه المدن طيبة بشكل دائم، حيث كان سفراء المدن التجارية مرة بعد أخرى يُذكرون الأباطرة البيزنطيين إما بتعويض لم يتم دفعه أو دين لم يتم سداده إلى جانب الكثير من فرص النزاع بين الخزانة الإمبراطورية التي تُطالب بحقها في الضرائب، وبين التجار الذين يطالبون بالإعفاء منها[3].

أمام سلبية المدن الإيطالية – جنوه والبندقية – تجاه محنة بيزنطة، وعدم التقدير السليم لظروفها، حاول الإمبراطور البيزنطي مانويل التعامل معهم بالطريقة نفسها ولاسيما بعد أن شعر بشيء من الأمان أثناء الحرب الأهلية العثمانية (805-815هـ/1403-1413م) لذلك أرسل في نهاية عام (809هـ/1407م) إلى البندقية يطالب باستعادة بعض أملاكه، إلا أن البندقية رفضت ذلك على الرغم من انشغالها بحروبها في إيطاليا، فقد كانت البندقية قد وصلت في ذلك الوقت إلى أوج ازدهارها وقوتها ووجهت جل اهتمامها لتوسيع أملاكها ترويجاً لتجارتها في المنطقة، وحرصت

---

[1] Ostrogorsky, History of Byzantine State, Pp. 483-484.

هايد، تاريخ التجارة، جـ2، ص 183-189.

[2] Vaughan, Europe and The Turk, A Battern, p. 58.

[3] هايد، تاريخ التجارة، جـ2، ص183-189.

على امتلاك دالماشيا Dalmatia على الساحل الشرقي للأدرياتيك لضمان السيطرة على جانبيه وضماناً للأخشاب اللازمة للأسطول التجاري لذلك استمر العداء بين عامي (808-822هـ/1406-1420م) بينها وبين المجر الطامعة في هذه المنطقة وقد تعددت مشاكل البندقية في ذلك الوقت، فما أن هدأت الحرب مع جنوه حتى نشبت الحرب مع ميلانو بالإضافة إلى تزايد خطر القراصنة العثمانيين، وكذلك ظهور بعض الأمراء المسلحين في شمال الأدرياتيكي مما هدد أملاكها، إلى جانب التهديد العثماني، وقد أظهرت طمعها في والاشيا والبوسنة مما زاد من حدة العداء مع المجر، ويبدو أن هذا هو المسوغ في اتباع البندقية السياسة ذات الوجهين، عندما وافقت على الانضمام إلى الصليبيين في معركة نيقوبوليس سراً، وفي الوقت نفسه حافظت على حسن علاقتها مع السلطان العثماني [1].

حاول الإمبراطور البيزنطي الاستمرار في التفاوض مع البندقية، ولكن دون جدوى، فأدار وجهه إلى الإمبراطور المجري سيجسموند أشد أعداء البندقية والذي حثه في ربيع عام (814هـ/1412م) على اتباع سياسة العداء معها، وبذلك تكون قد ضاعت الفرصة على الإمبراطور البيزنطي، والبندقية، والمجر لتوحيد الجهود لمحاربة العثمانيين في الحقبة التي عانوا فيها من الانقسام بين عامي (805-815هـ/ 1403-1413م)، بعد ذلك اشتعلت الحرب عام (818هـ/1416م) بين العثمانيين والبنادقة، وعلى الرغم من تدخل بيزنطة لإحلال السلام بينهما فلا يستبعد أن تكون هذه الحرب قد اشتعلت بتحريض من الإمبراطور البيزنطي الذي أراد أن يضرب خصومه أحدهما بالآخر وفقاً لتقاليد السياسة البيزنطية، وقد استمر هذا العداء بين العثمانيين، والبندقية وازداد بعد أن تم بيع مدينة سالونيك البيزنطية للبنادقة حيث استمر هذا العداء نتيجة تولي البندقية الدفاع عن مدينة سالونيك عام (826هـ/1423م) والتي كان العثمانيون يعملون جاهدين للسيطرة عليها [2].

أما فيما يتعلق بالعلاقة بين بيزنطة وجنوه فقد كانت أكثر وداً من علاقتها مع البندقية، ولا سيما بعد أن خضعت جنوه للتاج الفرنسي عام (798هـ/1396م)، وتبعها مستعمراتها في الشرق

---

(1) Vaughan, Europe and The Turk, A Battern, Pp. 35, 43-44, 61-62.

(2)/ Creasy, History, p. 57 /Hammer, Histoire de L'Empire Ottoman, p. 170..

ديل، البندقية، ص 136.

الممثلة في بيرا ولسبوس وخيوس، حيث أرسل الملك الفرنسي المارشال بوسيكيو لمساعدة الإمبراطور مانويل الثاني في الدفاع عن عاصمته وبعد تعيين بوسيكيو دوقاً على جنوه في عام (803هـ/1401م) قدم بعض المساعدات للإمبراطور أثناء عودته من الغرب حيث زوده ببعض السفن لحراسته، وكذلك للمساعدة في الدفاع عن القسطنطينية[1].

وعلى الجانب الآخر حرص الجنويون على صفاء علاقاتهم مع العثمانيين كلما أمكن ذلك، فإذا كانت الحرب قد نشبت بينهم وبين البندقية مراراً في عام (805هـ/1403م) وكذلك عام (808هـ/1406م و812هـ/1410م)[2]، فقد حرصوا على الوقوف إلى جانب السلطان محمد الأول ومساعدته في إخماد ثورة أخيه مصطفى، وكان لهم دوراً فعالاً في إخماد الثورة التي اشتعلت ضد السلطان مراد الثاني في آسيا الصغرى[3]، وكذلك نقل قواته من الجانب الآسيوي إلى الأوروبي عبر المضائق قبل معركة فارنا عام (847هـ/1444م)، ونتيجة موقف جنوه في الحرص على استمرار الود مع العثمانيين وجدوا كل ترحيب داخل أملاك السلطان حتى عام (852هـ/1449م).

حين تولى الحكم الإمبراطور قسطنطين باليولوج الحادي عشر، وعلى الرغم من الصراع القائم بين قوى المنطقة، إلا أن حركة التجارة مع القسطنطينية واصلت مسيرتها المعتادة وإن كانت بشكل بطيء للغاية، وقد حرصت هذه المدن على تجديد معاهداتها التجارية مع القسطنطينية كلما دعت الحاجة[4].

فيما يتعلق بالعلاقة بين بيزنطة ومدينة راجوزا Ragusa الإيطالية التجارية الواقعة في جنوب شرق صقلية، قد لجأت إليها بيزنطة رغبة منها في إنعاش تجارتها بالاعتماد على سواعد أخرى غير جنوه والبندقية، ولكن إذا كان الدافع وراء سياسة بيزنطة هو المصلحة الشخصية، فقد

---

[1] Nicol, The End of The Byzantine Empire, p. 70. / هايد، تاريخ التجارة، جـ 3، ص124-132.

[2] هايد، تاريخ التجارة، جـ 3، ص124-132.

[3] Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 164-194. / Vambrey, Hungary, p. 206.

[4] هايد، تاريخ التجارة، جـ3، ص 142- 145- 146.

كان هذا الدافع نفسه هو المسوغ وراء مهادنة راجوزا للعثمانيين منذ عام (756هـ/1356م) حين اعترفت بسيادتهم[1].

كانت مدينة راجوزا تحت سيادة البندقية في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي وقد تخلصت من هذه السيطرة عام (759هـ/1358م)، واعترفت بالسيادة المجرية، وترك لها الملك المجري لويس العظيم مجال كبير من الحرية، وبعد وفاته أصبحت سيادة اسمية فقط، وعلى الرغم من ذلك فقد أعلنت تبعيتها للعثمانيين عام(766هـ/1365م)، وقد تجدد ذلك عام (789هـ/1388م)، ويبدو أن المسوغ في ذلك هو محاولة منها لإيجاد حليف قوي في المنطقة يساعدها على حرية التنقل وترويج تجارتها، وقد نجحت في ذلك حيث حصلت على مركز لها في أدرنة وفيليبوس وترنوفا[2].

وقد استمر هذا الوضع إلى أن جاء السلطان مراد الثاني عام (803-854هـ/1421-1451م)، وعقد معها معاهدة تجارية في عام (833هـ/1430م) أكد لها امتيازاتها التجارية مع الاستمرار في دفع جزية سنوية قدرها خمسمائة أوقية من الذهب، ويبدو أن المسوغ في التقاء سياسة كل من السلطان وراجوزا عام (833هـ/1430م) هو العداء المشترك فقد كان السلطان مراد الثاني في صراع مع البندقية حول سالونيك، وعلى الرغم من أن السلطان العثماني بعد ذلك بمدة، وعقب الانتهاء من الصراع مع البندقية طالب راجوزا بزيادة الجزية التي تدفعها للعثمانيين إلى ألف أوقية ذهبية سنوياً، إلا أن راجوزا لم يكن في مقدورها الاعتراض على ذلك، وخاصة في ظل حاجتها الملحة لأسواق وموانئ العثمانيين، وكذلك افتقارها إلى الحصون البحرية التي قد تلجأ إليها هرباً من مطاردتهم لها[3].

وقد حاولت بيزنطة الحد من التقارب بين راجوزا، والسلطان العثماني، وقد ظهر ذلك عندما أرسل قسطنطين باليولوج حاكم شبه جزيرة الموره مبعوثه للتفاوض معها بشأن عقد معاهدة تجارية في السابع عشر الميلادي من شباط عام (834هـ/1431م)، ويبدو أن قسطنطين قد وفق في ذلك

---

(1) يلماز، الدولة العثمانية، مج1، ص 99.

(2) Pitcher, Donald Edgar: An Historical geography of The Ottoman Empire from earliest Times to The End of The Sixteenth Century, Leiden, 1972, p. 70.

(3) Vaughan, Europe and The Turk, A Battern, p. 19.

إلى حد بسبب إحساس راجوزا بتزايد خطر العثمانيين بعد سقوط مدينة سمندرا في أيدي العثمانيين عام (842هـ/1439م) مما دفعها لدعم فكرة تشكيل حملة لمواجهة العثمانيين وطردهم من أوربا[1].

ومع وصول الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر حاكم الموره وتربعه على عرش بيزنطة، عملت راجوزا على تدعيم علاقتها معه، لذلك أرسلت مبعوثها فولزو بوبولي Volzo Boboli لزيارة القسطنطينية، وشبه جزيرة الموره، وقد استطاع أن يُحصل لدولته امتيازات تجارية واسعة عام (854هـ/1451م)، واستمر العمل بهذا الاتفاق في بيزنطة حتى سقوط القسطنطينية عام (856هـ/1453م)، وفي الموره حتى سقوطها عام (864هـ/1460م)[2].

ولا شك أن حكام بيزنطة كانوا يرغبون بهذه السياسة في جذب هؤلاء التجار حتى يظهروا في شكل جاليات كبيرة العدد، تساعد في إزالة الخراب الذي حل بمدنهم نتيجة هجرة الكثير من سكانها أمام غارات العثمانيين، وكذلك تقليل الاعتماد على جنوه والبندقية، ويبدو أن تزايد أواصر الصداقة بينهما يرجع أساساً إلى الإحساس بوحدة المصير، ولكن على الرغم من هذا الود القائم بينهما لم يكن بمقدور بيزنطة الاعتماد على جهود مدينة راجوزا بشكل فردي في مواجهة الخطر العثماني المتزايد وتغيير الوضع القائم.

ثالثاً: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والبابوية من (806-856هـ/1403-1453م):

1- العلاقات بين الكنيستين الأرثوذكسية واللاتينية:

تعدّ العلاقة بين الكنيستين الأرثوذكسية واللاتينية إحدى الصفحات الهامة والحالكة التي طبعت التاريخ الأوروبي الوسيط، وتعود أهمية هذه الصفحة المثيرة إلى ما أفرزته من تأثير بالغ على وحدة العالم المسيحي، وكان المسوغ الرئيسي للنزاعات التي أدت إلى الانشقاق الكبير عام (445هـ/ 1054م) والذي جسد هذه القطيعة هو الخلاف حول قرار البابا ليو التاسع Liu IX ،

(1) Nicol, .D, The Byzantine Family of Kantakozenos (Cantacuzenus) 1100- 1460, Harvard University, 1968, p. 177.

(2) هايد، تاريخ التجارة، جـ 3، ص 153-154.

والذي طالب بأن يكون له سلطة على البطاركة اليونان الأربع في الشرق (بطريرك القدس، بطريرك انطاكيا، بطريرك الاسكندرية، وبطريرك القسطنطينية).

وفي إطار هذه الأجواء الدينية المشحونة بات الأمل لتحقيق التقارب والوفاق بين القطبين روما والقسطنطينية قائماً في ظل وعود الإمبراطورية البيزنطية لبلوغ هذه الغاية، على أنّ هذا الأمل، لم يلبث أن لاحت طلائعه في أفق أوروبا في غضون القرن الخامس عشر الميلادي، عندما أصبح الخطر العثماني يلقي بظلاله على الأراضي المسيحية بشرق أوروبا ارتأت الكنيستان الأرثوذكسية واللاتينية، وجوب لم الشمل وتعزيز الصفوف وعندئذ، ومن أجل هذا الغرض المنشود، برزت النيّة لدى الطرفين لعقد لقاء ديني مسكوني بإيطاليا عرف بمجمع فيراري فلورنسا[1].

2-الصراعات داخل الكنيسة البابوية وموقف بيزنطة منها بين عامي 796-817هـ / 1394-1415م:

بعد قضاء سبعين عاماً في "آفينون" عادت البابوية إلى روما، حيث أنه خلال عام 704هـ/ 1305م عندما تم اختيار كليمنت الخامس Clement V لمنصب البابا عام 704-713هـ/ 1305-1314م الفرنسي الأصل، بدلاً من رحيله إلى روما فضل البقاء في أفينون، وأرسل في استدعاء الكرادلة من روما حيث تم تتويجه في ليون، وأصبح يتصدر قائمة تضم ستة من الباباوات الفرنسيين على التوالي الذين اتخذوا من أفينون مقراً لهم، والمسوغ في ذلك كان حالة الفوضى والاضطراب التي كانت تسود شوارع روما حيث كان اختيار البابا يصاحبه قتال شديد، وقد عرفت هذه الحقبة بحقبة الأسر البابوي[2]، وقد انتهت هذه الحقبة بمغادرة البابا غريغوري الحادي عشر Gregory XI 774-778هـ/ 1373- 1377م مقره من مدينة "آفينون" Avignon الفرنسية لزيارة روما حيث توفي بها عام 778هـ/1377م، عندئذ بدأ الكرادلة الإيطاليون اختيار خليفة للراحل، وأثناء المشاورات وقعت أعمال شغب وفوضى في روما، مطالبة بانتخاب أحد الإيطاليين

---

(1) كربال، زكية، مجمع فيراري فلورنسا ومسألة الوحدة بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية 1438-1439م، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر2، قضايا تاريخية، عدد8، عام 2017م.

(2) Painter.S, A History of The Middle Ages 284- 1500, New York, 1954, p.405.

لمنصب البابا، وقد تم انتخاب "أوربان السادس "Urban VI" في نيسان عام 778-790هـ/ 1377-1389م الذي أفصح عن نيته ابقاء المقر البابوي في روما[1].

لم ينل البابا أوربان السادس Urban VI بعد أسبوع من جلوسه على الكرسي الرسولي، سوى نقمة الكرادلة الفرنسيين والإيطاليين على حد سواء، حيث رفض الكرادلة الفرنسيون اختيار "أوربان" للمنصب البابوي، وسارعوا باختيار شخص آخر فرنسياً وقد حمل لقب "كلمنت السابع" Clement VII عام (779-796هـ/ 1378-1394م) الذي أقام في "آفينون"، وأعلنوا أن انتخاب "أوربان" كان انتخاباً غير شرعياً، إلا أن أوربان تحصن داخل مقره ورفض الإذعان لمطلب معارضيه، وعندئذ بدأت حقبة الانشقاق داخل الكنيسة الغربية حيث وجود اثنين من الباباوات أحدهما في روما والآخر في آفينون[2].

انقسمت أوروبا سياسياً بدورها إلى حزبين يؤيد كل منهما أحد الباباوات، إذ لم يقتصر هذا الانقسام على الكنيسة فقط، بل تخطى ذلك من خلال وقوف كل من فرنسا وإسبانيا ونابولي وصقلية إلى جانب بابوية "آفينون" في حين وقفت كل من انكلترا ومعظم ألمانيا والمجر وبولندا وأمراء شمال إيطاليا إلى جانب بابوية روما[3].

كان الانقسام الديني بين دول أوروبا الغربية نتيجة الخلافات السياسية في أوروبا، والذي انعكس بدوره وبشكل واضح في تأييد أحد الباباوات المتنافسين ضد الآخر، فمن الملاحظ أن وقوف إنكلترا وتأييدها لبابا روما لم يكن نابعاً من أحقيته بالكرسي البابوي بقدر ما يعود ذلك إلى العداوة والحروب بين انكلترا وفرنسا، كما أن وقوف مدينة "نابولي" إلى جانب البابا في آفينون يقدم صورة واضحة للوضع السياسي المنقسم الذي كان سائداً في إيطاليا، وتوضح كل هذه العوامل مجتمعة الأوضاع التي كانت داخل المجتمعات الأوروبية في الوقت التي كانت الإمبراطورية البيزنطية بأمس الحاجة لتوحيد جهودها ووقوفها إلى جانبها ومساعدتها ضد الخطر العثماني المتزايد.

---

(1) عاشور، أوربا، جـ1، ص 499./ كانتور، نورمان، التاريخ الوسيط، تر: قاسم عبده قاسم، ط2، جـ2، دار المعارف، عام 1986م، ص 644-.

Barrbclough.G, The Madival Papacy, London, 1966, p. 164- 165.

(2) Gill, S. J. Concilium Florentinum, OCP, 43. 1977, p.16-17. / Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, p. 672.

(3) أومان، الإمبراطورية، ص 260/عاشور، أوربا، جـ1، ص502.

Barrbclough, The Madival Papacy, p.165.

حاول الكرادلة إعادة وحدة الكنيسة اللاتينية، وذلك من خلال الاعتماد على ما كانوا يتمتعون به من الامتيازات، وعقدوا مجمعاً لهذا الغرض في بيزا Pisa عام 811هـ/ 1409م[1]، وقد أدان الحاضرون كلا البابويين وتقرر من خلال هذا المجمع عزل كل من بابا روما وبابا آفينون، واختيار بابا جديد تحت اسم الاسكندر الخامس Alexander V (812-813هـ/1409-1410م)، إلا أن رفض البابويين قرارات المجمع وعدم تنازلهما عن حقهما أدى إلى وجود ثلاثة من الباباوات على رأس الكنيسة الرومية[2].

لم يستسلم الكرادلة لهذا الفشل وعقدوا مجمعاً آخر في مدينة كونستانس Constance فيما بين عامي (816-820هـ/ 1414-1418م)[3]، وقرر هذا المجمع عزل الباباوات الثلاثة وانتخاب آخر وهو "مارتن الخامس" Martin V (817-834هـ/ 1415-1431م) وبذلك تم إنهاء حالة الفوضى والانشقاق الذي أصاب جسم الكنيسة اللاتينية لعدة قرون[4].

وفي القسطنطينية كان الإمبراطور مانويل الثاني يتابع الأحداث في روما باهتمام وقلق شديدين، وكان يخشى من عدم تحقيق رغبته في إعداد حملة صليبية تنهي تهديدات العثمانيين للقسطنطينية، وكان الإمبراطور يعتقد أن مجمع كونستانس سوف يحقق مشروع الحملة، وعمل على إرسال وفد لحضور مجلس كنسي انعقد في روما، وطرح الوفد البيزنطي سؤال حول فرص توحيد الكنيسة، إلا أن تلك المباحثات لم تتوصل إلى نتائج ملموسة بشأن توحيد الكنيسة[5].

---

(1) مجمع بيزا Pisa: مجمع كنسي عقد عام 1409 م في مدينة بيزا الإيطالية في محاولة لإنهاء الانشقاق الغربي الذي وقع في الكنيسة الكاثوليكية، كان قد أدى إلى ازدواجية في البابوية، فكان في روما بابا وهو البابا بندكت الثالث عشر، و في آفينيون بفرنسا بابا آخر غريغوري الثاني عشر، كانت نية المجمع إنهاء هذه الازدواجية فخلعت هذين البابوين، وانتخبت باباً جديداً، ولكن كِلا البابوين رفضَ الانصياع لأمر المجمع فأصبح في الكنيسة الكاثولوكية ثلاث باباوات.

الشناوي، عبد العزيز، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، دار المعارف، عام 1969م، ص183-184.

(2) Gill, Concilium Florentinum, p. 17.

(3) مجمع كونستانس Constance: مجمع مسكوني انعقد بين عامي 1414- 1418م، ووضع حداً للانشقاق الكبير في الغرب.

معلوف، الياس، الآباء اليسوعيين من الإيمان إلى المعرفة، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط1، 2013م، ص38.

(4) Vambery, Hungary, p. 190.

(5) اسطيفان، صراعات الكنيسة، ص275.

أظهرت البابوية على الرغم من الظروف الصعبة التي كانت تعاني منها قلقاً شديداً على مصير الإمبراطورية البيزنطية، وقد تعاظم هذا القلق بشكل خاص بعد ما تعرض له الصليبيون عام (798هـ/ 1396م) من هزيمة في معركة "نيقوبوليس"، وبذلك شعر البابا بخطورة الموقف وبتزايد الخطر العثماني مما دفع البابا بونيفاس التاسع Boniface IV (791-796هـ/1389-1404م) عام (800هـ/ 1398م) بعد أن وصلته سفارة من الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني يطلب فيها الدعوة لتشكيل حملة صليبية لإنقاذ القسطنطينية[1]، وكان قد كرر البابا دعوته لتشكيل حملة في العام التالي (801هـ/1399م) من دون التوصل إلى نتيجة[2].

الأمر الذي دفع الإمبراطور البيزنطي للتوجه إلى الغرب الأوروبي طلباً للمساعدة، وأثناء مرور الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني في إيطاليا متجهاً إلى غرب أوروبا من غير المؤكد إذا كان الإمبراطور قد زار روما وعقد لقاء مع البابا أم لا، فلا يوجد ما يؤكد ذلك[3].

كان البابا بونيفاس قد جدد الدعوة لتشكيل حملة صليبية جديدة ضد العثمانيين في أيار عام (802هـ/1400م)[4]، ومن الواضح أنه في ظل تحفظ الإمبراطور "مانويل الثاني" فيما يتعلق بموضوع الوحدة مع الكنيسة الغربية[5]، ويبدو أن البابا كان يسعى لتشكيل حملة صليبية جديدة بهدف تقوية موقفه في الصراع مع الكرادلة في أفينون، وكانت قد شاركت بيزنطة في مجمع "كونستانس" لعرض قضيتها أملاً في الحصول على المساعدة بناءً على دعوة الملك "سيجسموند" لها حيث وجدت في ذلك فرصة، وكان قد شهد الوفد البيزنطي المشارك انتخاب البابا مارتن الخامس Martin V (820-834هـ/ 1417-1431م)، وانتهز البابا فرصة وجود الوفد البيزنطي، والحديث حول أهمية وحدة الكنيسة، وقد أظهر الوفد البيزنطي رداً إيجابياً تجاه موضوع الوحدة[6].

---

(1) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 50.

(2) Gill.S.j, "Greeks and Latins in A Common Council, The Council of Florence (1438-1439)", OCP, 25, 3-4 (1959), p. 283.

(3) Nicol. D, A Byzantine Emperor in England (Manuel II's Visit to London in 1400-1401) in, Nicol, Byzantium: its Ecclesiastical History and Relations with The Western World, London, 1972, p. 211 / Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, p. 633.

(4) رستم، الروم، جـ2، ص259.

(5) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, p. 177-178. / Ostrogorsky, History of Byzantine State, p. 561.

(6) Gill. S. J., "The Council of Florence", Cambridge, 1959, p. 23.
عبد العاطي، فارنا، ص199.

كانت الموافقة التي أبداها الوفد البيزنطي في غاية الأهمية فقد أعطت البابا انطباعاً بأنهم على استعداد لقبول الوحدة وفق المذهب اللاتيني.[1]

كان قد أرسل البابا سفارة أخرى، وقد لقيت ترحيباً من قبل البيزنطيين، إلا أنهم كانوا يشترطون من أجل الموافقة أن يتم عقد المجمع المسكوني في مدينة القسطنطينية، كما اشترط البيزنطيون أن تتحمل البابوية كافة نفقات انعقاد المجمع، وتتعهد في الوقت نفسه إرسال قوات عسكرية للدفاع عن مدينة القسطنطينية أثناء انعقاد المجمع[2].

في الوقت الذي كان الإمبراطور يفكر في إنقاذ عاصمته من العثمانيين عن طريق قبول الوحدة الكنسية مقابل المساعدة الغربية، كانت الكنيسة البيزنطية وعامة الشعب يرفضون فكرة الوحدة، وكان بطريرك القسطنطينية يرفض الخضوع لكنيسة روما مقابل وعود غير مؤكدة بتقديم المساعدة العسكرية إلى الجانب البيزنطي[3].

ولكي يظهر البابا صدق وعوده أمام البيزنطيين فيما يخص تقديم المساعدة، فقد طلب من مدينة البندقية تقديم المساعدة اللازمة للإمبراطور البيزنطي، وطلب من فرسان جزيرة رودس من أجل تخفيف الضغط العثماني على القسطنطينية استخدام قواعدهم لمهاجمة العثمانيين، ووجه أوامره إلى جميع التجار الأوربيين من أجل قطع علاقاتهم التجارية مع العثمانيين، كما أصدر البابا قرار الحرمان ضد كل من يتعامل مع الأتراك العثمانيين[4]، وعلى الرغم من مرور خمسة أعوام على عقد مجمع "كونستانس" وانعقاد مجمع آخر في بافيا pavia في الثالث والعشرين من نيسان عام (826هـ/ 1423م) [5].

لم تكن لدى الكرادلة في مجمع "سيينا" أي رغبة في فتح باب النقاش مع البيزنطيين، وكانوا يرون أن إصلاح أوضاع الكنيسة الداخلية أهم من موضوع الوحدة، كما أن البابا عندما وجه الدعوة إلى الإمبراطور البيزنطي عام 828هـ/ 1425م من أجل حضور المجمع لبدء مناقشات الوحدة بين الكنيستين أظهر الإمبراطور البيزنطي بعض الخوف من إعلان خضوعه للكنيسة البابوية وما ينتج

---

(1) Gill, Common Council, p.265.

(2) Gill, Council of Florence, pp.35-36/ Brehier, L. Attempts at Reunion of The Greek and Latin Churches, CMH(1), IV, (1927), p.619.

(3) عبد العاطي، فارنا، ص201.

(4) Gill, Council of Florence, p. 37. / Barraclough ,Geoffrey: The Madival Papacy, London, 1966, p. 181.

(5) Gill, Council of Florence, p. 17.

عنه من ردة فعل داخل بيزنطة على قرار الوحدة، وذلك مقابل مساعدة عسكرية محدودة لا تصل إلى المستوى المطلوب[1].

واصلت البابوية جهودها لإقناع بيزنطة بالمشاركة في عقد مجمع لمناقشة الخلافات العقائدية بين الشرق والغرب، وخلال هذه الحقبة ساءت صحة مانويل الثاني ووقع طريح الفراش عاجزاً عن إدارة شؤون البلاد فعين ابنه يوحنا الثامن خلفاً له على العرش، وقد استقبل يوحنا الثامن وفداً بابوياً قدم إلى القسطنطينية يحمل مشروعاً من تسع نقاط تدور حول إعادة توحيد الكنيسة الشرقية والغربية، وعلى الرغم من أن إيقاع المفاوضات كان بطيئاً إلا أن الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن أعلن الموافقة في شباط عام 833هـ/ 1430م على المشاركة في هذا المجمع[2].

3-العلاقات البيزنطية البابوية والمجمع المسكوني في بازل 834-840هـ/ 1431-1437م:

بعد أن أضحت مملكة المجر وجمهورية البندقية الإيطالية هدفاً للتقدم العثماني دقَ ناقوس الخطر في أوروبا اللاتينية، بعد أن كانت في وقت سالف الإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية تواجه لوحدها التقدم العثماني، دفعت المستجدات السياسية الجديدة الكنيستين اللاتينية والأرثوذكسية إلى السعي لإيجاد حل للانشقاق الكنيسي بما يخدم مصلحة الطرفين، وقد استغل الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن هذه الفرصة لصالحه، اذ ادرك أن توجيه نداء للغرب بهدف الحصول على مساعدة عسكرية مقابل تقديم تنازلات دينية، أمر مقضي، بسبب أن الخطر العثماني لم يعد مهدداً بيزنطة وحدها بل، الغرب الأوروبي أيضاً.

ومع سيطرة قوات السلطان العثماني مراد الثاني نهاية شهر آذار عام (833هـ/ 1430م) على شبه جزيرة سالونيك البيزنطية واقتحامها، وتحويل بعض كنائسها إلى جوامع، دعا البابا مارتن الخامس (1417م/820هـ) إلى عقد مجمع كنسي يضم ممثلين عن كنائس غرب أوروبا انعقد في مدينة بازل Basel السويسرية عام (834هـ/ 1431م)، وقد علق الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن الكثير من الأمل على انعقاده، إلا أن المجمع لم يتوصل إلى قرارات حاسمة [3].

---

[1] Brehier, Reunion, p. 620.

[2] عبد العاطي، فارنا، ص202.

Gill, Council of Florence, p.42.

[3] اسطيفان، صراعات الكنيسة، ص276-277.

كان قد وصل الوفد البيزنطي إلى روما في صيف عام 834هـ/1431م بتوجيه من الإمبراطور يوحنا الثامن بهدف معالجة مسألة الانشقاق الكنسي التي يسعى من خلالها لتجسيد المساعدة العسكرية الغربية لمقابلة البابا مارتن الخامس، غير أن الوفد فوجئ عندما علم بوفاة البابا في شباط من السنة نفسها عام (834هـ/ 1431م)، وخلفه إيجين الرابع Aegean IV (834-850هـ/ 1431-1447م) الذي بدأ على الفور ترتيب الأوضاع بهدف تعزيز سلطته المطلقة على الكنيسة، وقد سعى إلى استمالة الوفد البيزنطي إلى جانبه في صراعه مع الكرادلة المجتمعين في "بازل" في الوقت الذي سعى الكرادلة لاستمالته إلى جانبهم أيضاً[1].

كان الكرادلة يسعون لانعقاد مجمع بازل بشكل دائم والهدف منه إصلاح الأوضاع الداخلية للكنيسة، وقد سعى البابا إيجين لإلغائه مما دفع الكرادلة داخل مجمع بازل إلى اصدار قرار بأن سلطة المجمع أعلى من سلطة البابا ولا يستطيع حله مما جعل العلاقة بين البابا والكرادلة ضمن مجمع بازل تصل إلى حد الصدام[2].

كان قد أرسل المجمع عام (836هـ/ 1433م) سفارة إلى الإمبراطور البيزنطي من أجل حضور جلسات المجمع لمناقشة القضايا التي تخص وحدة الكنيسة، وفي الحقيقة كانت القسطنطينية قد اتبعت أسلوب التفاوض مع البابوية في روما من جهة، والكرادلة في مجمع بازل من جهة أخرى، وكان قد أكد الكرادلة في مجمع بازل للإمبراطور البيزنطي أن سلطة المجمع أعلى من سلطة البابا، وأنه انعقد تحت رعاية الملك المجري "سيجسموند" الذي بوسعه تقديم المساعدة

مجمع بازل Basel: انعقد المجمع الثالث في بازل بسويسرا سنة 1431م على أمل دراسة مسألة الإصلاح جدياً، إلا أن إيجين الرابع البابا الجديد اعترض على ذلك، ثم إنه كان مهتماً بالأكثر بمجمع فيرارا الذي كان قد اجتمع لرأب الصدع بين الغرب الكاثوليكي والشرق الأرثوذكسي، وقد جاهد مجمع بازل من دون وجود البابا، والواقع أنه استمر في عمله حتى سنة 1449م، وأصدر مراسيم عديدة للإصلاح، إلا أنَّ عدم مساندة إيجين والباباوات الذين جاؤوا بعده، فقد كل أمل في تثبيت سلطة شرعية داخل الفاتيكان، ثم أن باباوات النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي أكدوا أن حركة المجامع الكنسية لا تستمر.

لوريمر، يوحنا، تاريخ الكنيسة، ج4، الناشر المكتبة العالمية، د. ت، ص34-35.

(1) Brehier, Reunion, p. 620. / Painter, A History, p. 415.

عبد العاطي، فارنا، ص202.

(2) Barrbclough, Papacy, p. 181-182/Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, p. 672.

لبيزنطة، وكان قد أعلن سيجسموند تأييده للمجمع منذ منتصف حزيران عام (834هـ/ 1431م)، واستمر في ذلك حتى وفاته في كانون الأول عام (840هـ/ 1437م) [1].

وصلت السفارة البيزنطية إلى المجمع المنعقد في مدينة بازل في الثاني عشر من حزيران عام (837هـ/1434م)، ولكن السفارة نادت بضرورة مشاركة البابا في المجمع[2]، ولا شك أن الدافع وراء موافقة الإمبراطور البيزنطي على المشاركة في هذا المجمع يرجع إلى ما جاء في جدول أعمال المجمع من أهداف في مقاومة الهرطقة، وإصلاح أحوال الكنيسة الغربية، والتفاوض مع كنائس الشرق بهدف التوصل إلى إنهاء الخلافات، وتشكيل حملة عسكرية للتصدي للخطر العثماني وإنقاذ القسطنطينية[3]، إلا أن إصرار الوفد البيزنطي على انعقاد المجمع بمشاركة البابا جعل البابا يتواصل مع بيزنطة بعيداً عن مجمع بازل، وأبدى استعداده لعقد هذا المجمع في القسطنطينية[4]، ولا شك أن البابا أدرك رفض بيزنطة لانعقاده في بازل وهذا ما دفعه إلى طرح فكرة عقد هذا المجمع المنتظر في القسطنطينية، إلا أن الكرادلة داخل مجمع بازل رفضوا ذلك ودعوا البابا للعدول عن رأيه بحجة أن ذلك قد يجعله مجمعاً غير مسكونياً، وفي الحادي عشر من كانون الثاني عام (839هـ/ 1436م) وصلت سفارة من بيزنطة إلى مجمع بازل لمواصلة التفاوض، إلا أن الوفد البيزنطي وجد أن المجمع كان ينظر إلى مسألة انشقاق الشرق من أعمال الهرطقة، وكان قد قرر المجمع أنه سوف يناقش قضية وحدة الكنيسة بعد الانتهاء من مناقشة القضايا الدينية الخاصة بالكنيسة الغربية ولم يلمس اهتمام واضح بشأن المساعدة العسكرية المرجوة لتصدي للخطر العثماني، هذا ما أثار غضب الوفد البيزنطي، فقد وجد الوفد البيزنطي أن جميع القضايا المقترحة للنقاش داخل المجمع لا تهم البيزنطيين، وقد انعكس شعور الاستياء على الوفد وعلى البيزنطيين داخل مدينة القسطنطينية بعد عودتهم إليها[5].

---

(1) Brehier, Reunion, p.620.

رسل، برتراند، الفلسفة الغربية، الفلسفة الكاثوليكية، تر: زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، جـ2، عام 1968م، ص 280.

(2) Barraclough, Papacy, p. 184.

(3) Creighton. M. A History of The Papacy, New York, 1897, p.200-201.

(4) Gill, Council of Florence, p. 32-34.

(5) Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, p. 672-273.

رستم، الروم، جـ2، ص121.

استغل البابا في روما تأزم العلاقة بين بيزنطة وكرادلة مجمع بازل، وقام بإرسال سفارة إلى القسطنطينية عام (839هـ/ 1436م)، هدفها إقناع الوفد البيزنطي بالاستمرار على رفض انعقاد المؤتمر في مدينة بازل، ومعللاً ذلك بصعوبة عبور جبال الألب، ومؤكداً على ضرورة انعقاد المجمع في إحدى المدن الإيطالية لأهميتها المتوسطة بين الشرق والغرب، وضرورة عدم انعقاده في مدينة القسطنطينية[1].

مع بداية شهر شباط عام (840هـ/ 1437م)، ونتيجة حدوث خلافات داخل مجمع بازل لعدم رغبتهم في عقد المجمع داخل إحدى المدن الإيطالية، بما يتفق مع رغبة الإمبراطور البيزنطي والبطريرك قرر الوفد البيزنطي مغادرة مجمع بازل والتوجه للقاء البابا في روما، وتم الاجماع على أن ينعقد المجمع ضمن إحدى المدن الإيطالية وهي مدينة فلورنسا، وأعلن الوفد البيزنطي تأييده للمشاركة فيه بحضور بابا روما[2].

هناك العديدة من العوامل التي جعلت الإمبراطور البيزنطي يصرف النظر عن مسألة التمسك في عقد المجمع الكنسي في مدينة القسطنطينية، وكان من أهم هذه العوامل أن القسطنطينية كانت محاصرة من قبل العثمانيين ومعرضة للتهديد الدائم، بالإضافة إلى رغبة الإمبراطور البيزنطي في لقاء ملوك وأمراء غرب أوروبا لإقناعهم بتقديم المساعدة العسكرية، إلى جانب أن الإمبراطور البيزنطي لم يكن لديه القدرة المادية لاستقبال الوفد الديني الغربي وتحمل نفقات استضافته[3]، ونتيجة ذلك نجح البابا في مسعاه في إقناع الوفد البيزنطي، وكلف مدينة البندقية بنقل الوفد إلى إيطاليا، مع الأساقفة الذين رفضوا انعقاد المجمع في بازل، واجتمعوا مع البابا في إيطاليا[4].

عمل البابا على إرسال الدعوة إلى رجال الدين، وملوك أوروبا وأمرائها من أجل المشاركة في مناقشات المجمع المسكوني، والذي تم الاجماع على انعقاده في مدينة "فيرارا" الإيطالية Ferarra، و لم تكن موافقة الإمبراطور البيزنطي على حضور المجمع الديني في فيرارا الذي يدعو لتوحيد الكنيستين والخضوع لكنيسة روما لتمر من دون مواجهة معارضة داخلية، التي كان على رأسها

---

(1) Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, p. 673. / Spandounes, The Ottoman Emperoes, p. 29. رستم، الروم، جـ 2، ص281.

(2) Creighton, Papacy, p. 297-298.

(3) Brehier, Reunion, p. 620. / Gill, Common Council, p. 269.

(4) Creighton, Papacy, p. 303.

بعض أفراد الطبقة المثقفة، والتي تنظر إلى مساعدة اللاتين للقسطنطينية ليس سوى استبدال العدو العثماني بالعدو اللاتيني والذين سوف يعملون على احتلال المدينة كما فعلوا من قبل[1].

في الوقت ذاته كان أغلبية سكان القسطنطينية تحت تأثير رجال الدين والرهبان الصغار، الذين أوضحوا لهم بأن الخضوع لروما والتحول إلى المذهب اللاتيني يعد تخلي عن الإيمان ويستوجب عقوبة إلهية[2]، وكان البابا قد وعد الإمبراطور البيزنطي بإرسال أسطول كبير للدفاع عن المدينة أثناء انعقاد المجمع المسكوني مما أثار تفاؤل وارتياح كبير داخل المدينة، حيث تم إرسال ثلاثمائة من رماة السهام للمشاركة في الدفاع عن القسطنطينية[3].

4-انعقاد مجمع فيرارا – فلورنسا الكنسي عام 842- 843هـ/ 1438-1439م:

غادر الوفد البيزنطي وعلى رأسه الإمبراطور يوحنا الثامن برفقة أخيه حاكم الموره ديمتريوس باليولوجوس Demetrius Palaeolog[4] مدينة القسطنطينية وذلك في 27 تشرين الثاني عام (841هـ/ 1437م) تلبية لدعوة البابا إيجين الرابع إلى حضور مناقشات المجمع، والذي كان مقرراً له أن يعقد في مدينة فيرارا لتحقيق الاتحاد الكنسي بين الكنائس الغربية والشرقية، وذلك أملاً في الحصول على المساعدات العسكرية من الغرب الأوروبي، وقد بلغ وفد بيزنطة إلى "فيرارا" Ferarra حوالي سبعمائة فرد[5]، لمناقشة مشروع الوحدة مع الغرب، وقد رافق الإمبراطور بطريرك القسطنطينية جوزيف الثاني Joseph II (818-843هـ/ 1416-1439م) [6]، وكانت تلك المرة

---

[1] عبد العاطي، فارنا، ص196./ Runciman, The Fall of Constantinople, p. 8-9.

[2] Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, p. 672.
رستم، الروم، جـ2، ص282.

[3] Brehier, Reunion, p. 621.

[4] ديمتريوس باليولوج، Demetrius Palaeologus: شقيق الإمبراطور يوحنا الثامن كان حاكم للمورا، كما حكم نيسيبار وليمنوس، وأصبح حاكم المورا عام 1449م مع شقيقه توماس باليولوجوس حتى سلم ميستراس Mystras للعثمانيين في عام 1460م، وتم إعطائه أراضي في تراقيا ليحكمها من السلطان محمد الثاني، الذي حكمه حتى طرده في 1467م بعد حقبة وجيزة سمح له بالتقاعد لـ أدريانوبل مع زوجته. أصبح راهبا، وتوفي في 1470م.
Nicol, The Last Centuries of Byzantium. P.325.

[5] يشير طافور أن الوفد البيزنطي كان يتألف من ألف شخص تقريباً، والذي كان قد التقى الإمبراطور البيزنطي يوحنا، والوفد المرافق له أثناء تواجده في ايطاليا. طافور، رحلة طافور، ص 184.
Spandounes, The Ottoman Emperors, p.29.

[6] Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, p. 191-192.
جوزيف الثاني Joseph II ولد في بلغاريا عام 1360م عمل مطراناً في أفسوس، وتم اختياره بطريركاً للقسطنطينية عام 1416م، وكان من المؤيدين للوحدة مع الكنيسة.
Hefele, Ch. Histoire des Counciles, Paris, VII, 1916, p.1014.

الأولى التي يرافق فيها البطريرك الإمبراطور البيزنطي إلى إيطاليا، وكبار رجال الدين الأرثوذكس، ومن هؤلاء بيساريون Bessarion [1] أسقف نيقية، ومارك افسس Mark of Ephesus [2]، ويعد مارك شخصية دينية فذة، ومن المتمسكين بشدة بالعقيدة الأرثوذكسية، وكذلك ايزيدور Isidore [3]،أسقف مدينة كييف في روسيا إلى جانب نواب كل من كنيسة الإسكندرية وأنطاكية وبيت المقدس وروسيا[4].

كان الإمبراطور البيزنطي قد ترك أخيه قسطنطين على عرش القسطنطينية حتى عودته، وفي الحقيقة كان الإمبراطور البيزنطي ينظر إلى الوحدة من جانب الأمل في الحصول على المساعدة العسكرية المطلوبة للتصدي للعثمانيين ولم يكن لديه أي مشكلة من الخضوع للكنيسة الغربية، في الوقت الذي كان رجال الدين البيزنطيون يريدون مناقشة الخلافات المذهبية القائمة بين الكنيستين بشكل معمق، وكانوا شديدي الحرص على معتقداتهم الأرثوذكسية، أما رجال الدين اللاتين كانوا في غاية السعادة وكانوا يجدون في قدوم الوفد البيزنطي بداية للخلاص من ضلالهم وعودتهم إلى المعتقدات الصحيحة للكنيسة وقد رحبوا بالوفد البيزنطي[5].

انطلق الوفد البيزنطي من القسطنطينية عام (840هـ/1437م) ، ثم وصل مدينة البندقية، وتوجه بعد ذلك إلى مدينة فيرارا التي وصل إليها في الرابع من آذار من العام نفسه، وقد رفض بطريرك القسطنطينية العادة اللاتينية المتبعة عندئذ في الانحناء وتقبيل يد البابا، وكان قد هدد بترك

---

[1] بيساريون Bessarion: ولد بيساريون في طرابزون، تم تحديد سنة ولادته 1389، 1395 أو1403، في عام 1436م أصبح رئيس الدير في القسطنطينية، وعام1437م رافق الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن باليولوجوس إلى إيطاليا من أجل تحقيق لم الشمل بين الكنائس الشرقية (الأرثوذكسية)، والغربية (اللاتينية).

Plethon ,George Gemistos. the Last of the Hellenes, by CM Woodhouse, Clarendon Press, Oxford, 1986, p.32-33.

[2] مارك افسس، Mark of Ephesus، رئيس أساقفة أفسس، ولد عام 1392م في القسطنطينية، اشتهر برفضه لمجلس فيرارا فلورنسا (1438–1439)، وأصبح زعيم المعارضة الأرثوذكسية لاتحاد فلورنسا.

Plested, Marcus. Orthodox Readings of Aquinas, Oxford University Press, 2012, p. 124.

[3] ايزيدور Isidore: رجل دين، وأحد المدافعين الشرقيين الرئيسيين عن الاتحاد في مجلس فلورنسا، كان يعرف اللاتينية جيداً، ولد حوالي عام 1385م، في عام 1437م عينه الإمبراطور يوحنا الثامن مطراناً لكييف، شارك في مجمع فلورنسا، ودافع بشدة عن الاتحاد جنباً إلى جنب مع بيساريون.

Gibbon, Edward . The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, Vole III , London, 1869, p. 687.

[4] Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, 673.

[5] Gill, Common Council, 269.

المجمع المسكوني والعودة إلى القسطنطينية في حال إصرار البابا على ذلك، وقد تدخل الإمبراطور البيزنطي لتخفيف حدة التوتر، وعمل على إقناع البابا بالتراجع عن قراره، وأمام تمسك البطريرك بقراره تم إعفاؤه من تنفيذ هذه العادة، حيث تم تعدي هذا التقليد عند اللقاء فقد تقدم البطريرك وقبل وجه البابا فقط بينما تقدم بقية أفراد الوفد وقبلوا يد البابا ووجهه[1].

تم حل الخلاف من خلال الاتفاق على أن يكون الاستقبال يجسد المساواة بين الطرفين، وأن لا يكون بشكل علني وأمام الجماهير المحتشدة، كما أنه تم الاتفاق على أن لا يضع بطريرك القسطنطينية قبعته فوق رأسه أو يحمل في يده الصولجان، ومن خلال هذا اللقاء يتضح مدى تمسك كل طرف بمبادئ وعادات كنيسته، والدفاع عنها من قبل رجال الدين الشرقيين والغربيين، وقد ظهرت مشكلة رئاسة المجمع، وتوزيع المقاعد وترتيبها، كادت أن تؤدي إلى إنهاء جلسات المجمع قبل أن يبدأ، فكان الخلاف من ستكون له الرئاسة الإمبراطور أما البابا؟ وهل سيكون هناك مساواة بين البابا وبطريرك القسطنطينية؟ كان المخطط المراد تنفيذه هو أن يتوسط البابا الطاولة في الوقت الذي يجلس فيه كل من الوفدين الشرقي والغربي على جانبيها، إلا أنَّ الوفد البيزنطي رفض رئاسة البابا للمجمع ولكنيسة القسطنطينية وأصر على رفضه[2].

وبعد عدة مشاورات تم الاتفاق بين الطرفين على أن يجلس كل وفد مقابل الوفد الآخر داخل الكنيسة فقد ذكر شاهد عيان أن كل فريق اتخذ جانباً من يوحناب المنضدة فكان على اليمين كرسي الإمبراطور الروماني ثم كراسي ملوك وأمراء أوروبا الغربية وعلى اليسار كان كرسي الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن ثم رجال الدين في حين توسط البابا المجمع وقد بدا مرتفعاً فوق بقية المقاعد[3].

وبذلك يكون كرسي البابا أمام الوفد الغربي وكرسي الإمبراطور البيزنطي أمام الوفد البيزنطي بحيث يواجه كرسي الإمبراطور الروماني الشاغر، وفي الحقيقة لم يوافق البابا على مقترح بطريرك القسطنطينية في أن يكون ممثل للوفد البيزنطي أي الجلوس أمامه بدلاً من الإمبراطور، كان الإمبراطور البيزنطي في غاية القلق نتيجة عدم مشاركة ملوك أوروبا وأمرائها في المجمع واعترض على ذلك وأصر على تواجدهم، ورفض بدأ جلسات المجمع قبل وصول الأمراء من غرب أوروبا،

---

(1) Spandounes, The Ottoman Emperors, p. 28.
(2) Gill, Common Council, p. 270.
(3) طافور، رحلة طافور، ص184.

إلا أن البابا وعده بأنهم في طريقهم لحضور جلسات المجمع إلا أن وصولهم قد يستغرق عدة أشهر[1].

وبعد أن استطاع البابا التخلص من كافة المشاكل التي واجهته لعقد المجمع، أراد أن يعلن خبر انتصاره للعالم المسيحي على الكرادلة في بازل من خلال مشاركة الوفد البيزنطي، وبعد أن تمت مراسم الاحتفال تم افتتاح المجمع في التاسع من نيسان عام 841هـ/ 1438م تحت إشراف البابا[2].

على الرغم من أنَّ الإمبراطور البيزنطي كان يرغب في مناقشة المسائل المتعلقة بالأمور العسكرية والصراع مع العثمانيين أولاً، ولاسيما أنها كانت الدافع الرئيسي من المشاركة في هذا المجمع، إلا أن البابا كان يريد مناقشة الخلافات المذهبية، وبشكل خاص أن المساعدة الغربية للقسطنطينية كانت مرهونة بحل هذه الخلافات التي تم تحديدها في انبثاق الروح القدس وطقس التناول والمطهر وسيادة البابا[3].

عانى الوفد البيزنطي في "فيرارا" من شح الموارد المالية حيث منح كل عضو من أعضاء الوفد البيزنطي مبلغ مالي شهرياً، فقد لجأ البابا في ذلك الوقت من أجل دفع نفقات وجود الوفد البيزنطي في فيرارا إلى الاستدانة، فقد كانت تقدم هذه النفقات في شكل مؤن حتى طالب الوفد البيزنطي بضرورة توزيعها على شكل نقود، وكانت تصل إلى أربعة فلورنسات لكل أسقف وثلاثة للخادم وغيره بينما كان الإمبراطور يمنح ثلاثين فلورانس، وخمسة وعشرين للبطريرك وعشرين فلورانس لأخ الإمبراطور، وقد تأخرت هذه المبالغ كثيراً وقد كان المبلغ الذي دفع في أول آذار هو 691 فلورانس وهو مبلغ لا يمكن أن يوزع على أكثر من مائتي من الوفد البيزنطي فقط [4]

وعلى الرغم من إدراك البابا المسبق صعوبة أن يلبي ملوك وأمراء أوروبا الغربية دعوته بحضور المجمع؛ لكثرة الخلافات السياسية والدينية جدد البابا دعوته لهم للحضور، ونتيجة عدم حضور أي من ملوك وأمراء أوروبا للمجمع أصاب الوفد البيزنطي استياء، وشعروا بأن البابا قد غرر بهم ورغب الكثير منهم في مغادرة فيرارا والعودة إلى القسطنطينية، إلا أنَّ البابا منع حدوث

---

(1) Creighton, Papacy, P. 334-335.
(2) Brehier, Reunion, p. 621.
(3) Hefele, Counciles, VII, p. 967. رستم، الروم، جـ2، ص283.
(4) Creighton, Papacy, p. 334.

ذلك، فقد أصدر أوامره بمنع أعضاء الوفد من المغادرة، وتعهدت البندقية بالقبض على كل هارب وإعادته في حال لم يكن لديه إذن مرور من البابا، كما أراد البابا استغلال الظروف التي يمر بها الوفد البيزنطي لإقناع الوفد ببدء المناقشات، وذلك بعد توقفها مدة لحين استكمال حضور كافة الوفود المشاركة، وقد تمكن البيزنطيون من إلقاء كلمة الافتتاح، وحرية اختيار إحدى القضايا العقائدية للمناقشة [1].

5- موقف رجال الدين داخل القسطنطينية على نتائج المؤتمر:

انتهت أعمال واجتماعات المجمع المسكوني الذي ضمن من خلاله رجال الدين اللاتين اعتراف الوفد البيزنطي بالوحدة، وإقرار الأرثوذكسية الغربية بعد أكثر من عام من النقاش، وقد كان من الواضح أن من العوامل التي دفعت الوفد البيزنطي لمنح اللاتين تنازلات دينية كان مجموعة من العوامل السياسية متمثلة بالخطر العثماني المتزايد، ونفاذ مدخرات الوفد البيزنطي، والتي بدورها دفعت الوفد البيزنطي للإسراع في العودة إلى القسطنطينية[2]، حيث رحل الإمبراطور البيزنطي برفقة سفينتين وثلاثمائة من الرماة مع كمية من المال، ولم يصدق البابا في وعده للإمبراطور بإرسال أسطول حربي للدفاع عن القسطنطينية ومواجهة الخطر العثماني حيث ماطل في تنفيذ الوعد حتى تتوضح ردة فعل رجال الدين والوسط الشعبي داخل مدينة القسطنطينية على قرار الوحدة[3].

وعلى أي حال ما أن عاد الوفد إلى القسطنطينية حتى بدأ أعضاءه ينكرون التوقيع على قرار الوحدة معلنين خجلهم وندمهم ومشكلين حزب معارض على رأسه أسقف أفسس مارك الذي رفض منذ البداية التوقيع على قرار الوحدة و أعلن نفسه زعيم الأرثوذوكسية النقيّة بدعم من شقيق الإمبراطور البيزنطي ديمتريوس[4].

---

(1) Nicol, The Byzantine Family of Kantakozenos, p. 192.
(2) Gill, Council of Florence, p. 284.
(3) Geanakoplos, D. J. Byzantium, Church, Society and Civilization Seen through Contemporary Eyes, London, 1984, p. 221.
(4) Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, p. 673.

وبمجرد عودة الوفد البيزنطي إلى القسطنطينية، انتشر خبر التوقيع على قرار الوحدة ما أدى إلى استياء في جميع أنحاء مدينة القسطنطينية[1]، و أنكر رجال الدين المشاركين توقيعهم على قرار الوحدة، وأعلنوا أنهم تعرضوا للضغوط والتهديد ما دفعهم إلى قبول قرارات المجلس، ونتيجة لهذا المجمع انقسم المجتمع البيزنطي بين مؤيد ومعارض للوحدة، واتهم الجانبان بعضهما البعض بالإهانة والإلحاد، حدث هذا في المواقف التي تتطلب جهداً موحداً لمواجهة التهديد العثماني، ولم يقدم البابا المساعدة المطلوبة من أجل منع انقسام الجبهة الداخلية، ولم تُترجم جهود ووعود البابا إلا في مساعدات محدودة أو حملة عسكرية حكم عليها بالفشل في فارنا عام 848هـ/ 1444م، وبدلاً من التصدي للوجود العثماني في البلقان، ساعدت في تقويته [2]، حيث جعل المعارضون في قيادتهم مارك أسقف أفسس، كما وقف إلى جانبهم ديمتريوس أخ الإمبراطور البيزنطي مستغلاً دعم العثمانيين له للسيطرة على العرش البيزنطي، إلا أنه أخفق في مخططه [3]، وقد أدى تصاعد قوة الحزب المعارض للوحدة لدرجة أنه في عام (854هـ/ 1450م) عقد مجمع داخل "كنيسة الحكمة المقدسة" في آيا صوفيا شارك فيه ممثلون لكنيسة الإسكندرية، والقدس، وأنطاكية أعاد مناقشة المواضيع التي تمت مناقشتها داخل مجمع فيرارا، للحكم على قرارات مجلس فلورنسا ونتائجها، وأعلن المجمع رفض وحدة فلورنسا، وكان قد انعقد في وقت سالف مجمع في القدس عام (847هـ/ 1443م)، تم فيه الاتفاق على رفض وحدة فلورنسا، وقد شاركت فيه كنيسة الإسكندرية، وانطاكية، بالإضافة إلى كنيسة بيت المقدس[4].

في خضم هذه الظروف الصعبة، أرسل البابا نيكولا الخامس Nicola V (850-858هـ/1447-1455م) إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الحادي عشر، يطلب منه إعادة إعلان الوحدة من خلال إقامة احتفال كبير في كنيسة آيا صوفيا[5]، وقد دفع هذا الإمبراطور إلى

---

(1) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 215-216.
عبد العاطي، فارنا، ص .205.

(2) Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, p. 674.
رستم، الروم، جـ2، ص .284./ عبد العاطي، فارنا، ص .205.

(3) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, p. 194.
عبد العاطي، فارنا، ص .205.

(4) Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, pp. 674-675. / Creighton, Papacy, p. 351.

(5) Nicol, The End of The Byzantine Empire, p. 85-86.

إتباع جميع وسائل القمع والتهديد ضد معارضي الوحدة، مما وزاد من غضب الناس في المدينة، مطالبين قتل أنصار الاتحاد، وبلغ من شدة كراهيته للحزب المعارض إلى حد رعايته عمامة السلطان العثماني أثينا–صوفيا على رعايته قبعة بابا الفاتيكان، وكان هذا الانقسام من العوامل التي ساهمت في زيادة الضعف الذي كان يعاني منه المجتمع البيزنطي بالفعل نتيجة الحصار العثماني[1].

[1] Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 264. / Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, p. 647.

الفصل الثالث:

التوسع العثماني في الأراضي البيزنطية وسقوط القسطنطينية بين عامي 806-856هـ/1403-1453م:

أولاً: منعكسات معركة أنقرة وعقد معاهدة غاليبولي مع البيزنطيين عام 806هـ-1403م:

1-معاهدة غاليبولي.

2-موقف بيزنطة من الحرب الأهلية العثمانية 806-815هـ/1403-1415م

ثانياً: العلاقات البيزنطية العثمانية بين عامي 815-833هـ/1413-1430م.

1- حصار القسطنطينية عام 824هـ/1422م.

2- الهجوم العثماني على المورة وعقد الصلح مع البيزنطيين عام 824هـ/1424م.

3- الصراع للسيطرة على سالونيك والموقف البيزنطي منه عام 833هـ/1430م.

ثالثاً: العلاقات البيزنطية العثمانية بين عامي (847-852هـ/1444-1448م):

1-معركة فارنا الصليبية(847هـ-1444م)

2-معركة كسوفا الثانية عام 852هـ/ 1448م.

رابعاً: الموقف البيزنطي الأوروبي تجاه التوسع العثمانيين (852-856/1449-1453)

1-المواقف السياسية داخل الحكومة العثمانية اتجاه البيزنطيين.

2-رد الفعل العثماني على اجراءات الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الحادي عشر.

3-حصار القسطنطينية وردود الفعل الأوروبية.

4-الهجوم الأخير على القسطنطينية وسقوطها عام 856هـ/1453م

5-موقف الدول الأوروبية من سقوط القسطنطينية.

6-منعكسات سقوط القسطنطينية داخلياً وخارجيا

كان لمعركة أنقرة نتائج بالغة الأهمية لصالح الإمبراطورية البيزنطية فقد أوقفت التهديد العثماني لأراضيها[1]، ومكنتها أن تكون لها اليد العليا في علاقتها مع العثمانيين، كما أجلت هزيمة العثمانيين في أنقرة سقوط القسطنطينية ما يقارب من خمسين عاماً بعد أن كادت تسقط بيد العثمانيين، في المقابل كادت معركة أنقرة أن تقضي على الدولة العثمانية فبعد موت بايزيد الأول دخل أبنائه في صراع على الحكم، ودبت الخلافات فيما بينهم مما أدى إلى ضعفهم وتفككهم ونشوب الحرب فيما بينهم[2].

فقد دخلت الدولة العثمانية في فوضى بعد معركة أنقرة عام (805هـ/1402م)، كما أقدم تيمورلنك على منح جميع المقاطعات التي كان قد استولى عليها العثمانيون في الأناضول استقلالها، واستعادت ممالك البلقان بلغاريا_ صربيا، ووالاشيا استقلالها[3]، وكان قد استقبل الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني أخبار كارثة أنقرة بفرحة عارمة[4] فقرر العودة من الغرب إلى عاصمته، وقد ظهر بشكل واضح أن تيمورلنك هو منقذ الإمبراطورية، وعلى الفور قرر مانويل الثاني العمل على طرد من تبقى من العثمانيين داخل القسطنطينية فور عودته[5].

أولاً: منعكسات معركة أنقرة وعقد معاهدة غاليبولي مع البيزنطيين عام 806هـ/ 1403م:

كان من أهم نتائج معركة أنقرة على الصعيد العثماني الداخلي النزاع الذي استمر عشر سنوات (806-815هـ/ 1403-1413م) بين أبناء بايزيد الأول سليمان، محمد، عيسى، موسى ، حول ما تبقى للدولة العثمانية من ممتلكات في آسيا، وأوروبا، في حين استطاع تيمورلنك تحريض الأمراء الأتراك ضد السلطنة العثمانية في آسيا الصغرى، وتقوية موقف الإمبراطورية البيزنطية،

---

(1) توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص 235.

(2) عاشور، أوربا، ج1، ص642.

(3) شوجر، بيتر، أوروبا العثمانية 1354-1804م في أصول الصراع العرقي في الصرب والبوسنة، تر عاصم الدسوقي، القاهرة، عام 1998م، ص38.

(4) باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص29.

Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 78.

(5) أنيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، عام1981م، ص 49.

والمدن التجارية الإيطالية (جنوه- البندقية) بعد تحالفهم مع الأمير المهزوم سليمان بن بايزيد الأول، ذلك التحالف الذي انتهى بعقد معاهدة عام (805هـ/1403م) المعروفة بمعاهدة غاليبولي، وعلى الرغم من إعلان البندقية تحفظها تجاه تقديم المساعدة للأمير سليمان وعدم رغبتها في عبوره نحو الجانب الأوروبي، والذي كان قد تمكن من الفرار مع كبار أمراء الولايات الغربية وكافة خزائن والده في مدينة بورصة[1]، إلا أن جنوه عملت على إقناع البندقية بالسماح له بالعبور[2]، كما سعت لتقديم المساعدة له الأمر الذي دفع البندقية إلى إعلان موافقتها على مساعدة سليمان بشرط حصولها على بعض المكاسب في ألبانيا[3]، ونتيجة كل ذلك سعى سليمان إلى عقد اتفاقية تشمل جميع الأطراف، القسطنطينية، وجنوه، ورودس، والبندقية من خلال مجموعة من التنازلات من أجل كسب رضا الجميع[4].

وكان المسوغ وراء مساعدة تلك الدول هو خشيتهم من تعاظم قوة تيمورلنك الذي قد يتوجه نحو أوروبا[5]، فكان لابدَّ من تشكيل حلف للتصدي له في حال فكر في ذلك، وهذا يتناقض مع موقف تلك الدول قبل معركة أنقرة والمسوغ وراء ذلك هو الخوف على مصالحهم وتجارتهم، وقد تمت تلك الاتفاقية في سرية تامة خشية من إثارة غضب تيمورلنك، حيث أن السفارة نفسها التي عقدت الاتفاق مع سليمان توجهت نحو تيمورلنك بعد معركة أنقرة لتقدم له التهنئة بنصره على العثمانيين[6].

كان كل من سليمان والبندقية يرغبان في أن يتم عقد الاتفاق بحضور الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني الذي كان ما يزال في الغرب الأوروبي، فكانت البندقية تخشى من عقد الاتفاق بحضور يوحنا السابع الذي حلَّ مكان الإمبراطور مانويل الثاني ريثما يعود من رحلته حيث كان

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، جـ12، ص 269.

(2) Shaw, History of the Ottoman Empire, pp. 1- 36.

(3) Vaughan, Europe and The Turk, A Battern, p. 42.

(4) Browning, Robert. The Byzantine Empire, New York, 1980,, p. 177.

اينالجيك، خليل: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد الأرناؤوط، بني غازي، عام 2002م،، ص 30.

(5) Dennis, George. The Byzantine Turkish Treaty of 1403, Pont. Institutum Orientalium Orientalium Studiorum, 1967, p. 72.

(6) Vaughan, Europe and The Turk, A Battern, p. 41.

يوحنا السابع حليف جنوه[1]، لذلك سارعت البندقية لإخبار الإمبراطور مانويل الثاني بهزيمة العثمانيين وتطلب منه الإسراع بالعودة لتوقيع الاتفاق، إلا أنَّ الاتفاق تم قبل عودة الإمبراطور مانويل الثاني برعاية يوحنا السابع عام (805هـ/ 1403م)[2].

1- معاهدة غاليبولي عام 806هـ/ 1403:

أسندت البندقية إلى مبعوثها بيترو زينو Petro Zeno مهمة إعداد بنود معاهدة صداقة مع سليمان، ولم تكتف البندقية بهذه المعاهدة، حيث كانت تحاول تجنب الصدام مع العثمانيين والبعد عن الصراع الدائر بينهم وبين قوى المنطقة، الأمر الذي دفعها إلى إعادة تجديد الاتفاقية مع سليمان عام (808هـ/ 1406م)، وبموجبها ضمنت حرية التجول والتجارة داخل الدولة العثمانية، كما التزم من جانبه سليمان بعدم رفع الرسوم الجمركية على التجار البنادقة[3]، وكانت قد أرسلت البندقية إلى جانب بيترو زينو ماركو غريماني Marco Grimani[4]، وذلك حرصاً منها على رعاية مصالحها التجارية[5]، في حين عينت جنوه جان دي شاتوموراند Jean de Chateaumorand كمبعوث لها[6]، وقد شكلت الدول الأوروبية مع البيزنطيين تحالف وحددت من خلاله مطالبها تجاه الجانب العثماني والتي قدم بموجبها سليمان الكثير من الامتيازات والتنازلات [7]، ومن أهم بنودها:

أ. تنازل الأمير سليمان للإمبراطور البيزنطي، عن سالونيك، مع جميع الأراضي المرتبطة بها، وكذلك كل المناطق الواقعة على بحر مرمرة ، ولم يعد البيزنطيون ملزمين بدفع الجزية، وكانوا أحراراً في إقامة الحصون كما يرضون[8].

---

(1) Dennis, The Byzantine Turkish, p. 73.

(2) هايد، تاريخ التجارة، جـ 3، ص 126.

Browning: The Byzantine Empire, p. 177.

(3) ديل، البندقية، ص 134.

(4) Miller, W. The Latins in the Levant, a History of Frankish Greece (1204–1566). New New York: E.P. Dutton and Company, 1908, p. 361.

(5) ديل، البندقية، ص 134.

(6) Dennis, The Byzantine Turkish.p.73.

(7) Ostrogorsky, History of Byzantine State, p 37./ ابن تغر بردي، النجوم، جـ12، ص269.

(8) Pitcher, Historical, p. 64.
Dennis, The Byzantine Turkish, pp. 78-81

ب. تنازل سليمان عن جميع القلاع التي كان يمتلكها لصالح الإمبراطور البيزنطي في الأناضول، على الساحل الشمالي الشرقي لبحر مرمرة.

ج. تعهد سليمان في حال أقدم تيمورلنك على مهاجمة القسطنطينية بالدفاع عنها براً وبحراً.

د. سُمح لجميع مواطني القسطنطينية بالعودة إلى منازلهم دون فرض أي قيود.

هـ. تم إسقاط جميع قضايا التقاضي من وقت والد سليمان وجده، باستثناء حالات الديون بين الأفراد[1].

و. تعهد سليمان بعدم مغادرة الدردنيل دون إذن من الإمبراطور البيزنطي والدول الموقعة على المعاهدة[2].

ز. أقسم سليمان أن يكون تابعاً للإمبراطور البيزنطي مقابل اعتراف الإمبراطور به حاكماً على الجانب الأوروبي وعاصمته أدرنة [3].

تم التصديق على المعاهدة من جديد بمجرد عودة الإمبراطور مانويل الثاني من الغرب في وقت لاحق من ذلك العام، ونتج عن المعاهدة إغفال رئيسي واحد وهو بقاء غاليبولي في أيدي العثمانيين، وليس من شك أن هذه المعاهدة حرمت الجانب العثماني من الجزية التي كانت مصدر أساسي للدخل والتي كانت تؤخذ من المناطق التي عادت للإمبراطور البيزنطي وأمراء البلقان، وأدت إلى تقلص في المناطق التي كانت تحت حكم العثمانيين[4].

على الرغم من توقيع سليمان وموافقته على مضمون المعاهدة إلا أنها كانت لا تحظى بشعبية كبيرة من العثمانيين بسبب تنازلاتها، وقد تجلى ذلك بشكل واضح من خلال مهاجمة العثمانيين أملاك البندقية من حين لآخر، إلاَ أنَّ انخراط سليمان بالحرب الأهلية مع أخوته العثمانيين، أجبره على التمسك بها حتى الإطاحة به عام 813هـ/ 1411م[5].

---

(1) Dennis, The Byzantine–Turkish, pp. 72-88.
(2) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p.73.
(3) Nicol, The End of The Byzantine Empire, P. 73.
(4) Dennis, The Byzantine Turkish, pp. 76-77-85
(5) Miller. The Latins in the Levant, a History of Frankish Greece. P. 378.

2-موقف بيزنطة من الحرب الأهلية العثمانية (806-815هـ/ 1403-1413م):

استطاع الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني اللعب على أوتار التنافس والصراع بين الأخوة العثمانيين، فاستخدم سياسة التحالفات من أجل إذكاء نار الصراع بين الإخوة من جهة، ومن أجل هدف آخر أكثر أهمية هو الحفاظ على مدينة القسطنطينية من السقوط في أيدي العثمانيين إذا ما استتبت الأمور الداخلية لديهم[1].

كان من أسباب الحرب الأهلية بين أبناء بايزيد الأول هو تأييد تيمورلنك لكل من عيسى ومحمد الذين كانا يحكمان في الجانب الآسيوي وتقديمه العون لهما بعد معرفته قيام سليمان بعقد معاهدة مع بيزنطة والدول الأوروبية[2]، كما قام تيمورلنك بإطلاق سراح موسى بعد وفاة بايزيدالأول، وأرسله مع جثمان والده إلى بورصة[3].

كانت بداية الحرب الأهلية بين كل من محمد وأخيه عيسى والذين كانا يحكمان على الجانب الآسيوي، فقد استطاع محمد بعد عدة اشتباكات من الانتصار على أخيه عيسى وحكم الأناضول بشكل منفرد، وقد تزايد نفوذه وقوته إلى درجة سك العملة باسمه[4]، هذا ما دفع سليمان إلى طلب مساعدة الإمبراطور البيزنطي ضد أخيه محمد حيث تمكن من تحقيق الانتصار عليه وتمكن من الدخول إلى بورصة عاصمة محمد ومن ثم دخل أنقرة[5].

على الرغم من النجاح الذي حققه سليمان على أخيه محمد إلا أن الأخير تمكن من استعادة أراضيه من خلال تحريض أخيه موسى ضد سليمان ودعمه بكل ما يحتاجه من قوات، إضافة إلى تحالف محمد مع بقية الأمراء العثمانيين الذين كانوا متذمرين من سياسة سليمان، و تحالفه مع

---

(1) Necipoglu, Byzantium between the Ottomans and the Latins, pp. 33-34.
(2) Shaw, History of the Ottoman Empire, p. 31-37.
(3) Creasy, History, p. 52.
(4) Hammer, Histoire de L'Empire Ottoman. P. 131-132.
(5) خوجه، حسن، آل عثمان، حسن خوجه بن علي بن سليمان الحنفي، بشائر أهل الإيمان بفتوح آل عثمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 13486، ص 49.
Shaw, History of the Ottoman Empire, P. 31-38.

أمراء البلقان، ووقوف البندقية إلى جانبه نتيجة إعلان سليمان تبعيته وخضوعه للمجر التي كانت عدوة البندقية[1].

على الرغم من مساندة الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني ووقوفه إلى جانب سليمان في صراعه مع أخيه موسى الذي كان مدعوماً من جانب محمد إلا أن موسى تمكن من القضاء على أخيه سليمان والانفراد في حكم جميع الأراضي التي كانت تحت حكم سليمان على الجانب الأوروبي من دون مشاركة أخيه محمد[2].

ترتب على مساعدة الإمبراطورية البيزنطية ووقوفها إلى جانب سليمان ضد أخيه موسى رد فعل من قبل موسى بعد انتصاره على أخيه، حيث أراد الانتقام من البيزنطيين وحملهم مسؤولية قدوم تيمورلنك وما ترتب عنه من الهزيمة في معركة أنقرة وأسر بايزيد الأول وموته[3]، نتيجة ذلك أقدم موسى على حصار مدينة سالونيك وتمكن من السيطرة عليها، ومن ثم عمل على استعادة كافة المناطق التي كان قد تنازل عنها سليمان للبيزنطيين بموجب معاهدة غاليبولي، كما أقدم على حصار القسطنطينية[4].

أراد محمد الانتقام من أخيه موسى بعد تفرده بحكم الجانب الأوروبي من الدولة العثمانية وانكاره لمساعدته له، وقد اتفقت مصالح محمد مع الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني لوضع حد لأطماع موسى التوسعية، حيث تعهد الإمبراطور البيزنطي بتقديم كافة المساعدات العسكرية وتوفير السفن اللازمة لنقل قوات محمد الأول عبر البحر[5].

على الرغم من الهزيمة التي مني بها محمد عام 814هـ/ 1412م أمام أخيه موسى وغيرها من الهزائم السالفة في محاولته القضاء على موسى[6]، إلا أن محمد أعاد تنظيم صفوف قواته التي التي تمكنت من إلحاق الهزيمة بقوات موسى، ومن خلال هذا النصر يكون محمد قد وحد جميع

---

(1) Vaughan, Europe and The Turk, A Battern. P. 42.
(2) Creasy, History. p. 52.

اينالجيك، الدولة العثمانية، ص 31-32.

(3) Pears, The Ottoman Turks, p. 686.
(4) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman. p. 92. / Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire. P. 87.
(5) Haldon , A History of Byzantium, p. 146./ Pitcher, Historical. p. 59.
(6)Creasy, History. p. 53./ Hammer, Histoire de L'Empire Ottoman, p. 148./ Vaughan, Europe and The Turk, A Battern, p. 42.

أملاك الدولة العثمانية تحت سلطته، ووضع حداً للحرب الأهلية العثمانية، وأكد السلطان محمد الأول من جديد على أحكام معاهدة غاليبولي، وموقعه كـ "الابن المطيع" للإمبراطور مانويل الثاني، وأيدها حتى وفاته في عام 823هـ/1421م[1].

ثانياً: العلاقات البيزنطية العثمانية بين عامي 815-833هـ/ 1413-1430م:

كانت السياسة التي اتبعتها الإمبراطورية البيزنطية تجاه أبناء بايزيد الأول تدعو للاستغراب والتساؤل، ففي الوقت الذي كان من المفترض التحالف مع الدول المجاورة للقضاء على ما تبقى من الدولة العثمانية، اتجهت نحو دعم أحد الأطراف ضد الآخر، إلا أنَّ حقيقة الأمر أنَّ الإمبراطورية البيزنطية كانت قد وصلت إلى درجة كبيرة من الضعف والهوان منعتها من استغلال هذه الفرصة والقضاء بشكل نهائي على الدولة العثمانية[2]، فقد كانت الإمبراطورية البيزنطية تعاني تدهور في جميع النواحي وخاصة في المجال الاقتصادي بشكل واضح، فجميع الأراضي التي كانت تحيط بالعاصمة خارج أسوارها كانت تعاني من هجرة سكانها وفقر الأراضي وعدم الاهتمام بها مما تسبب في تصحر تلك الأراضي وخروجها من الاستثمار، وحتى ما تبقى من الأراضي والبيوت كانت في حالة من الدمار والخراب وكان السكان عاجزون عن إصلاحها نتيجة الفقر والحاجة[3]، مما دفع جميع الأباطرة البيزنطيين بعد معركة أنقرة إلى إتباع سياسة المهادنة تجاه الدولة العثمانية الأمر الذي أطال في عمر الإمبراطورية البيزنطية ما يقارب من نصف قرن من الزمن.

على الجانب العثماني كان الأمير محمد قد حقق انتصاراً على أخيه موسى واستطاع إنهاء الحرب الأهلية التي استمرت عشر سنوات حيث استعاد وحدة الدولة العثمانية وقوتها وتوج نفسه

---

[1] Miller, Balkans. P. 563.

اينالجيك، الدولة العثمانية، ص 31- 32 / كمال، علي، آل عثمان، علي كمال بن السيد محمد أمين أفندي، كمال الإنسان في معرفة آل عثمان، مخطوطة بدار الكتب المصرية، تحت رقم 18898، تاريخ طلعت 2049. ص 71.

[2] شينيه، كلود، تاريخ بيزنطة، ص 124.

[3] Ostrogorsky, History of Byzantine State, P. 378.

سلطاناً متخذاً من لقب شلبي (تقي) لقباً له[1]، ومتخذاً من أدرنة عاصمة له، وقد اتبع السلطان محمد الأول (815-823هـ/ 1413-1421م) سياسة معتدلة ومرنة تجاه جميع القوى في المنطقة متجنباً الصدام مع أي منهم، على الرغم من إعادة وحدة وقوة طرفي دولته على الجانب الأوروبي والآسيوي[2]، إلا أنه كان يخشى من تكاتف الدول الأوروبية مع البيزنطيين في قوة واحدة تؤدي للقضاء عليه، وتقديراً منه لموقف الإمبراطور البيزنطي تجاهه ووقوفه إلى جانبه في صراعه مع أخيه موسى عمل على إعادة جميع الأراضي على البحر الأسود وبحر مرمرة بما فيها تساليا التي كان أخيه موسى قد انتزعها من البيزنطيين[3].

سارعت دول البلقان والدول الأوروبية إلى إقامة علاقات طيبة مع السلطان محمد الأول من خلال إرسال سفرائها والتعهد بإقامة علاقات تجارية واحترام متبادل مع الدولة العثمانية[4].

أراد السلطان العثماني محمد الأول استغلال حالة الهدوء والسلام مع البيزنطيين والأوروبيين من أجل القضاء على المشاكل في الجانب الآسيوي من دولته، مثل ثورة الجنيد Djouned هو الأمير جُنيد بن إبراهيم الآيديني آخر أُمراء بنو آيدين الذي أعلن تمرده على السلطان محمد الأول، وتمكن السلطان محمد الأول من الحصول على مساعدة الجنويين، وفرسان جزيرة رودس، وخيوس Chios ولسبوس Lesbos، مما مكن السلطان العثماني من القضاء على تلك الثورة، والعمل لاستعادة كافة الأراضي التي كان قد فقدها العثمانيون بعد معركة أنقرة في منطقة آسيا الصغرى[5].

على الجانب البيزنطي استغل الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني حالة الاستقرار حيث قضى بعض الوقت في سالونيك، ثم توجه إلى شبه جزيرة المورا عام (817هـ،/ 1415م) لتقوية وتحصين دفاعاتها وأسوارها[6]، وأعاد بناء الهكسمليون Hexmilion، وحصنه بالأبراج منشأً فيه

---

(1) Haldon , A History of Byzantium, P. 146.
(2) Vaughan, Europe and The Turk, A Battern, P. 42.
(3) Haldon , A History of Byzantium, P. 146.

باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص 30.

(4)سرهنك، المير ألاي اسماعيل، تاريخ الدولة العثمانية، دار الفكر الحديث، بيروت، عام 1988، ص 29.

Pears, The Ottoman Turks, P. 687.

(5) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman. P. 106.
(6) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire. P. 108.

حوالي مائة وخمسين برجاً لتأكيد سلطة الدولة البيزنطية على هذا الجزء الحيوي منها[1] كما التقى بعد عودته من المورا مع السلطان محمد الأول في مدينة غاليبولي عام (818هـ/ 1416م) الذي كان عائداً من آسيا الصغرى، وقد كانت حالة من الود والوفاق تجمع بين الطرفين أثناء هذا اللقاء[2].

انتهت في عام 818هـ/ 1416م حالة الهدوء التي كان يتمتع بها السلطان محمد الأول نتيجة الحرب التي وقعت بينه وبين البندقية، والتي كان سببها قيام الأمراء الصغار في الجزر التابعة للبندقية بممارسة القرصنة، والاعتداء على سفن العثمانيين، على السواحل التابعة للسلطان العثماني[3] وعلى الرغم من وقوف كل من جنوه، وصقلية، وكريت إلى جانبه إلا أن الهزيمة حلت بالأسطول العثماني الذي كان يفتقر إلى الخبرة[4].

أراد الإمبراطور البيزنطي التدخل لحل الأزمة وإعادة الأمان والاستقرار للمنطقة من خلال حث البندقية لإيقاف عمليات القرصنة وعدم مهاجمة سواحل الدولة العثمانية، وقد نجح الإمبراطور البيزنطي في مسعاه، حيث عاد السلام من جديد بين العثمانيين والبنادقة[5].

من المعروف أن الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني كان على علاقة طيبة مع السلطان محمد الأول، لذلك بعد فرار أخيه مصطفى إلى سالونيك قام حاكمها بتسليمه إلى الإمبراطور البيزنطي رافضاً تسليمه للعثمانيين، وتعهد الإمبراطور البيزنطي بإيداعه في السجن ضمن جزيرة لمنوس[6]، مقابل تعهد السلطان العثماني عام (822هـ/ 1420م) بدفع ما يترتب للإنفاق عليه ضمن سجنه[7].

---

(1) Vaughan, Europe and The Turk, A Battern, P. 43.

(2) Pears, The Ottoman Turks, P. 686.

(3) Menzies, S. History of The Ottoman Empire In Europe, London, 1877, P. 67./ Creasy, History. P. 54.

ديل، البندقية، ص 136.

(4) Creasy, History. P. 54./ Inalcik, The Ottoman Empire. P. 18

ديل، البندقية، ص 136.

(5) Creasy, History. P. 57.

هايد، تاريخ التجارة، جـ 3، ص 135.

(6) Creasy, History. P. 58.

علي كمال، آل عثمان، ص 49.

(7) Vaughan, Europe and The Turk, A Battern, P. 43.

1- حصار القسطنطينية عام (824هـ/ 1422م):

توفي السلطان محمد الأول عام(823هـ/ 1421م)، وخلفه ابنه مراد الثاني (823-854هـ/1421م-1451م) الذي تم تتويجه في أدرنة عام (823هـ/ 1421م)[1]، وكان الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني قد أرسل إلى السلطان العثماني مراد الثاني سفارة هدفها الظاهر هو التعزية في وفاة السلطان محمد الأول، ولتهنئته بتوليه العرش، وإعلان استعداده تجديد معاهدة الصلح القائمة بين الطرفين إلا أن الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني وبتحريض من ابنه يوحنا الثامن الذي كان قد تم تتويجه إمبراطوراً مشاركاً عام (823هـ/ 1421م)، استهان بقوة السلطان مراد الثاني[2]، وطالبه بإرسال اثنين من أخوته لوضعهم رهائن لديه كضمانة لعدم قيام العثمانيين بشن الحرب ضد البيزنطيين، وفي الوقت نفسه هدد الإمبراطور البيزنطي السلطان مراد الثاني بإطلاق سراح الأمير مصطفى في حال عدم الرضوخ لمطالبه[3]، إلا أن السلطان مراد الثاني رفض مقابلة السفراء البيزنطيين، وأبلغ الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني بأنه سوف يتقدم لحصار القسطنطينية[4]، الأمر الذي دفع الإمبراطور البيزنطي إلى عقد اتفاق مع الأمير مصطفى يتعهد فيه بتقديم الدعم له للوصول إلى العرش العثماني مقابل تعهد مصطفى بالتنازل عن بعض المناطق على البحر الأسود ومدينة غاليبولي، ولكن الأمير مصطفى مع القوات البيزنطية الداعمة له هزم أمام قوات السلطان مراد الثاني وفرَّ هارباً نحو القسطنطينية مما دفع بالسلطان مراد لحصارها[5].

أراد السلطان مراد الثاني معاقبة الإمبراطور البيزنطي على وقوفه إلى جانب الثائر مصطفى ودعمه له، وأنَّ الإمبراطور البيزنطي يستغل الفرص المتاحة لزعزعة كيان الدولة العثمانية وتقسيم أراضيها، فأراد مراد الثاني أن ينتقم من نظيره مانويل، وأدرك هذا الأخير سوء عمله، وشعر بالخطر يهدده، فحاول أن يخفف من غضب السلطان، فبعث إليه يهنئه بانتصاره على مصطفى

---

(1) Runciman, The Fall of Constantinople, P. 44.

المقريزي، السلوك، جـ 2/4، ص 599. / سرهنك، اسماعيل، تاريخ الدولة العثمانية، ص 31.

يلماز، الدولة العثمانية، مج1، ص 119.

(2) Brehier, Vie et Mort. P. 482.

(3) برجاوي، الإمبراطورية العثمانية، تاريخها السياسي والعسكري، ص 62.

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, P. 640.

(4) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 161;

(5) يلماز، الدولة العثمانية، مج1، ص 121./ رستم، الروم، جـ 2، ص 263./ القرماني، أخبار الدول، ص303.

شلبي، ويعتذر عما بدر منه، لكن مراد الثاني لم يكترث باعتذاره، فلم يكد الوفد البيزنطي يغادر البلاط السلطاني حتى زحف السلطان مراد الثاني، في شهر حزيران عام (824هـ/1422م)[1]، على رأس عدد كبير من القوات إلى القسطنطينية وحاصرها حتى شهر تشرين الأول من العام نفسه[2]، وقد تجهز الجيش العثماني بأدوات الحصار والمدافع الكبيرة[3].

يذكر المؤرخ البيزنطي المعاصر ميخائيل دوكاس أن السلطان العثماني مراد الثاني توجه إلى أدرنة حيث قضى فصل الشتاء، ومع قدوم فصل الربيع بدأ الاستعداد لشن حملة عسكرية لحصار مدينة القسطنطينية[4]، ويذكر المؤرخ جورج سفرانتزيس George Sphrantzes أن السلطان مراد الثاني أرسل عام (824هـ/1422م) جيشاً بقيادة ميخائيل بك Michal pai الذي فرض حصاراً على القسطنطينية عام (824هـ/ 1422م)[5].

وقد أشار المؤرخ البيزنطي يوحنا كانانوس John Cananus المعاصر لحصار العثمانيين القسطنطينية إلى وصول عشرة آلاف مقاتل عثماني إلى أسوار مدينة القسطنطينية عام (824هـ/1422م)، وقد تمكن العثمانيون من الاستيلاء على كافة الأراضي خارج أسوار القسطنطينية وأحرقوا المحاصيل والبيوت، محاصرين بذلك السكان داخل المدينة، وقد أمر السلطان مراد ببناء أبراج خشبية أعلى من أسوار القسطنطينية من أجل اقتحام المدينة، كما ويشير المؤرخ البيزنطي كانانوس Cananus إلى اعتماد العثمانيين على حفر الأنفاق من أجل محاولة الدخول من تحت الأسوار، إلا أن البيزنطيين اكتشفوا تلك الأنفاق وعملوا على إشعال النيران في نهاية تلك الأنفاق، واستخدم العثمانيون كافة الوسائل والآلات اللازمة للحصار وضيقوا على المدينة بحيث منعوا دخول أي من الإمدادات والمساعدات العسكرية التي كانت تصل إليها من الدول المجاورة،

---

(1) باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص31.

(2) Creasy, History, p. 60.

(3) Geanakoplos, Byzantium Church, Society and Civilization, p. 387.

(4) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 160.

(5) Cananus, Constantinople, P. 458-459. / Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, p.27.

Creasy, History. P. 60.

باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص 31.

ونتيجة الحصار عانى سكان المدينة الجوع والفقر وضعفت ثقتهم بقدراتهم العسكرية وأخذوا ينتظرون حدوث معجزة لتنقذهم من محنتهم[1].

كما أشار كانانوس Cananus إلى إصرار المقاتلين العثمانيين على اقتحام أسوار القسطنطينية لدرجة أن بعضهم أخذ يبحث عن القنوات المائية التي تمد خزانات المدينة بالمياه، محاولين التسلل من خلالها، كما أشار أيضاً إلى أن السلطان مراد الثاني أراد رفع معنويات وحماسة المهاجمين من خلال إبلاغ الجنود بحقهم الاحتفاظ بجميع سكان المدينة، بالإضافة إلى جميع الأموال و السلع، والبضائع كغنائم حرب للقوات التي سوف تقتحم القسطنطينية[2].

على الرغم من ضخامة الجيش العثماني وتعدد أدوات الحصار وطول المدة، وكل وسائل التشجيع والإغراء إلا أن العثمانيين أخفقوا في اختراق أسوار المدينة أمام استبسال الأهالي داخل مدينة القسطنطينية في الدفاع عنها [3]، وقد ذكر كانانوس اعتقاد المجتمع البيزنطي في المعجزات التي تحدث بواسطة السيدة مريم العذراء، والقديسين فقد ذكر أكثر من مرة في روايته إلى أن مدينة القسطنطينية قد تصدت لحصار السلطان العثماني مراد الثاني بفضل كرامات ورعاية السيدة العذراء حامية القسطنطينية منذ زمن بعيد، والتي ترددت الشائعات عن ظهورها على الأسوار، وقد انتشرت هذه الشائعات بين العثمانيين المحاصرين للقسطنطينية، كان الهدف منها تسويغ فشلهم دخول المدينة[4].

كان من أسباب رفع السلطان مراد الثاني الحصار عن القسطنطينية مناعة أسوارها، وبسالة المدافعين البيزنطيين، فضلاً عن نقص أعداد الجنود العثمانيين، بالإضافة إلى سبب عسكري في غاية الأهمية، وهو أن السلطان مراد الثاني لم يحاصر القسطنطينية بشكل كامل، بسبب عدم

---

(1) Cananus, Constantinople. PP. 459-460- 476./ Geanakoplos, Byzantium Church, Society and Civilization, p. 387.

المقريزي، السلوك، جـ 2/4، ص 625.

(2) Cananus, Constantinople, p. 463. / Geanakoplos, Byzantium Church, Society and Civilization, p. 387.

(3) Creasy, History. P. 61./ Cananus, Constantinople. P. 459.

(4) Cananus, Constantinople. P. 459-476

فرضه الحصار عليها من ناحية البحر، مما ساهم في تخفيف وطأة الحصار عليها بشكل كبير[1].

وكان من أسباب فشل حصار القسطنطينية نجاح الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني في الضغط على السلطان مراد الثاني، عبر تواصله بإلياس باشا مربي مصطفى الصغير شقيق السلطان مراد الثاني، وطلب منه إشعال تمرد ضد مراد الثاني بأن يدخل إلى مدينة بورصة، وقدم له مبلغاً كبيراً لاستئجار قوات مواليه له وبالفعل تم ذلك وأعلنوه سلطاناً عليهم، ومن هناك تقدم مصطفى بقواته نحو مدينة نيقيه، الأمر الذي أجبر السلطان مراد على رفع الحصار عن مدينة القسطنطينية، والتوجه إلى الأناضول لإخماد هذا التمرد[2].

2-الهجوم العثماني على المورا وعقد الصلح مع البيزنطيين عام (827هـ/ 1424م):

بعد فشل السلطان العثماني في دخول القسطنطينية أراد التعويض عن هذا الفشل ورفع معنويات جيشه من خلال التوجه نحو شبه جزيرة المورا البيزنطية حيث انسابت جيوشه داخلها ودمر الأراضي كما حطم سور الهكسمليون الذي كان قد بناه الإمبراطور البيزنطي عند مضيق كورنثة، كما حاصرت بعض القوات العثمانية مدينة سالونيك[3].

أمام هذا الوضع الجديد لم يجد يوحنا الثامن الإمبراطور المشارك الذي حكم القسطنطينية منذ العام (823هـ/1421م)، خياراً آخر سوى اللجوء للغرب الأوروبي وتكثيف الاتصالات مع البابوية من أجل مواجهة الخطر العثماني، وإزاء تباطؤ البابوية والغرب الأوروبي في تقوية موقف الإمبراطور مانويل الثاني تجاه العثمانيين، توجه يوحنا الثامن ابن الإمبراطور مانويل الثاني إلى البندقية، وميلان، والمجر في تشرين الثاني عام (826هـ/ 1423م)، حيث قرر يوحنا استكشاف إمكانية المساعدات الغربية[4]، وتجدر الإشارة إلى أن مسألة اتحاد الكنيسة، كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع مسألة المساعدات الغربية لبيزنطة، حيث كان كل إمبراطور يتوجه إلى الغرب من أجل

---

(1) ضبيع، محمد صلاح محمد، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عصر آل باليولوغس 1261-1453م، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، سوهاج، جامعة جنوب الوادي، عام 1998م، ص 240.

(2) يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1، ص 120.

(3) Pears, The Ottoman Turks, P. 690./ Ostrogorsky, History of Byzantine State, P. 497.

(4) Nicol, D.M. A biographical dictionary of The Byzantine Empire, London, 1991, p. 58

طلب المساعدة العسكرية والمالية لمواجهة العثمانيين يواجه بها، مثل أسلافه يوحنا الثامن أيضاً حاول الحصول على مساعدة من الغرب من خلال الإغراء بقضية الاتحاد[1]، وقبول اتحاد الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية في مجلس فلورنسا في عام (842هـ/ 1439م).

استعاد العثمانيون بفضل النجاحات السياسية، والعسكرية للسلطان مراد الثاني موقعهم السالف وقوتهم، فقد استطاع السلطان مراد تغيير ميزان القوى لصالح العثمانيين، من خلال تهديده للقسطنطينية (824 هـ / 1422 م)، وسالونيك (826هـ/ 1423م)، الأمر الذي أجبر البيزنطيين على التخلي عن العديد من الأراضي الخاضعة لهم، كما أنهم أصبحوا تابعين من جديد للدولة العثمانية[2].

3-الصراع للسيطرة على سالونيك والموقف البيزنطي منه عام (833هـ/ 1430م):

توفي الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني عام (828هـ/ 1425م)، وتولى الحكم بعده ابنه يوحنا الثامن (828-852هـ/ 1425-1449م)، وكان لِلإمبراطور يوحنا أربعة إخوة: منهم تيودور أمير المورة، وأندرونيكوس أمير سالونيك، وقسطنطين ودمتريوس، وقد أرغم النجاح العثماني في المورة الإمبراطور البيزنطي على التنازل عن جميع القلاع الباقية تحت السيطرة البيزنطية على سواحل الروملي، الأمر الذي دفع السلطان مراد الثاني إلى التوجه نحو حصار مدينة سالونيك عام(827 هـ/1423م)، ذات الأهمية الكبيرة بعد القسطنطينية، مستغلاً ضعف وفقر الإمبراطورية في جميع النواحي الاقتصادية والعسكرية فتنازل عنها للبندقية[3]، التي كانت في ذلك الوقت على عداوة مع السلطان مراد الثاني[4]، وذلك جعل السكان يدركون أن لا قبل لهم بالوقوف في وجه القوات العثمانية، فسلموا مدينتهم للبنادقة كي يدافعوا عنها[5].

---

(1) Nicol, biographical dictionary of the Byzantine Empire, p. 59.

(2) Brehier, Vie et Mort, 482. / Gill, S. J. The Second Encounter with The West, A. D. 1204- 1453, in Philip Whiting, Byzantium, Oxford, 1971, p. 128.

(3) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire. PP.121- 122.

(4) فريدون بك،(ت:991هـ/1583م)، أحمد بن عبد الله فريدون باشا التوقيعي، مجموعة منشآت السلاطين، مكتبة السليمانية، استانبول، مج1، رقم: 3269.، ص119.

(5) رستم، الروم، جـ2، ص 279.

عندما علم السلطان العثماني مراد الثاني ببيع القسطنطينية سالونيك للبندقية غضب ورفض الأمر، وطالب بالحصول عليها[1]، وقد أدى ذلك إلى توتر العلاقات بين العثمانيين والبندقية، وحاولت البندقية كسب ود العثمانيين عن طريق إرسال سفيرها إلا أن السلطان قبض عليه ووضعه في السجن[2].

إن السلطان العثماني لم يعترف بضم البنادقة لسالونيك إلا نتيجة حربه مع المجر، وبمجرد عقد الصلح معهم لمدة ثلاث سنوات توجه نحو سالونيك، وخلال ذلك بدأت قوات السلطان مراد الثاني بحصار المدينة عام (833هـ/ 1430م).[3]

بدأ هجومه في 29 آذار عام (833هـ/ 1430م)، ونجح في دخول أسوارها وفرَّ البنادقة من المدينة، وأخذ السلطان الكثير من سكانها أسرى عند دخوله المدينة وحول كنيسة العذراء داخلها إلى مسجد[4].

أدى سقوط المدينة بيد العثمانيين إلى إثارة غضب الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن وقد عمل على إعادة ترميم أسوار العاصمة وبعث سفارة إلى البابا من أجل التفاوض في أمر الخضوع لكنيسة روما مقابل الحصول على الدعم في التصدي للخطر العثماني[5].

---

(1) أومان، الإمبراطورية، ص 259.

(2) هايد، تاريخ التجارة، ج3، ص 139.

(3) Anagnostes, Thessalonicensi. Pp. 490-510.

(4) اينالجيك، الدولة العثمانية، ص 35-36.
Kinross, L. The Ottoman Centuries, The Rise and Fall of The Turkish Empire, London, 1977, p. 85.

(5) Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, P. 643./ Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire. P. 192.

ثالثاً: العلاقات البيزنطية العثمانية بين عامي (847-852هـ/1444-1448م):

1- معركة فارنا (847هـ/1444م):

ظهرت الخطوة الأساسية لإعداد الحملة من خلال مجمع فلورنسا عام (843هـ/ 1439م) عندما تقدم أحد أتباع الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن بخطة لطرد العثمانيين من أوروبا والتوجه بعد ذلك نحو الأماكن المقدسة في الشرق[1].

وفي سبيل إنجاح هذه الحملة أبدى البابا يوحنا الرابع (1431-1447م/ 834-850هـ) تأييده في تشكيلها، كما فرض ضريبة العشر[2] على الكنائس، وأصدر صكوك غفران على كل من يريد المشاركة فيها وقام بتعيين الكردينال سيزاريني Cardinal Cesarini من أجل الإعداد لها ووضع كل الترتيبات اللازمة وتم ذلك مع نهاية عام (846هـ/ 1442م).[3]

تحرك الجيش الصليبي عام (843هـ/ 1443م)، وكان من المتفق عليه أن تواصل القوات البرية سيرها وصولاً إلى القسطنطينية، في الوقت نفسه يعمل الأسطول الصليبي على فصل الشطر الآسيوي للدولة العثمانية عن الشطر الأوروبي وبذلك فصلها إلى قسمين وإضعاف قوتها[4]، وكان الإمبراطور البيزنطي قد أرسل إلى البابا يدعوه للإسراع في إرسال الأسطول البحري تخوفاً من قيام السلطان العثماني بعد نجاحه في القضاء على مشاكله في منطقة الأناضول بالعبور إلى الجانب الأوروبي، وكان على رأس الجيش الصليبي القائد هونيادي وملك المجر، وكان يتألف من حوالي

---

(1) Vaughan, Europe and The Turk, A Battern, p. 53.

(2) ضريبة العشر: هي من الموارد المالية لسد احتياجات المؤسسة الدينية، وكان موضوع نزاع دائم بين النبلاء وفرسان التنظيمات الدينية، وذلك لأن الاقطاعيين بضمنهم الملك الصليبي كانوا ملزمين بدفع ضريبة العشر في الأراضي المقدسة على عكس ما هو معتمد في أوروبا، وكانت هذه الأموال تؤدى إلى الكاتدرائيات وليس إلى الكنائس.

الزيدي، مصعب حمادي نجم، الصليبيون في بلاد الشام، ط1، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، عام 2014م، ص91.

(3) Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. 2, p. 643.

(4) Housley, The Later Crusades, p.85-86.

عبد العاطي، فارنا، ص208

خمسة وعشرين ألف مقاتل، معظمه كان من القوات المجرية، كما شاركت فيه قوات من بولندا، والبوسنة، ووالاشيا، وكان على رأس القوات الصربية القائد جورجي برانكوفتش[1].

تمكن الجيش الصليبي عام (843هـ/ 1443م) من السيطرة على مدينة نيش Nich[2] واستمر في تحركه مسيطراً على المدن العثمانية التي كانت في مسير تقدمه، وتابع تقدمه حتى وصل إلى بلغاريا، وإلى مدينة صوفيا Sofia[3]، وعلى الرغم من الانتصارات المتتابعة للجيش الصليبي، ومن انشغال السلطان العثماني بمشاكله وحروبه في منطقة آسيا الصغرى إلا أن القائد هونيادي وملك المجر أوقفا تقدمهما باتجاه البحر الأسود، وقد تراجع هونيادي حتى وصل في نهاية أيلول عام (844هـ/ 1444م) إلى مدينة بودا عاصمة المجر [4].

أمام هذه الانتصارات الواسعة التي حققها القائد هونيادي جعل دول الغرب الأوربي، والبابا يشعرون بحماسة كبيرة وأمل في القضاء على الوجود العثماني مما دفع للسعي لتشكيل حملة أكبر عدداُ وأشمل دولاً[5].

أما فيما يتعلق بالموقف البيزنطي من هذه الحملة الصليبية فقد كان مؤيداً ومرحباً أكثر من بقية الحملات الصليبية السالفة[6]، ففي الوقت الذي كانت فيه القوات الصليبية تتقدم بقيادة هونيادي، وانشغال السلطان العثماني مراد الثاني في مشاكله في منطقة آسيا الصغرى، تمكن قسطنطين حاكم شبه جزيرة الموره البيزنطي من إصلاح سور الهكسمليون، والسيطرة على منطقة البليبونيز[7]، وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن إقدام قسطنطين على تقدمه في شبه جزيرة الموره والتوسع في منطقة البليبونيز كان المسوغ الذي دفع السلطان العثماني مراد الثاني للتوصل إلى حل

---

(1) عبد العاطي، فارنا، ص209.

(2) نيش Nich: مدينة في جنوب بلاد الصرب، تقع على الطريق الواصل بين القسطنطينية وسالونيك. فريد، الدولة العلية، ص57.

(3) Ostrogorsky, History of Byzantine State, p. 489.

(4) Creasy, History, p. 64- 65.

عبد العاطي، فارنا، ص209.

(5) Haldon, A History of Byzantium, p. 146.

(6) Ostrogorsky, History of Byzantine State, p. 502.

(7) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, p. 196.

مع المجر من خلال معاهدة سجدين Sujudin Treaty للتفرغ لطموح قسطنطين في منطقة البليبونيز[1].

على الرغم من عدم تحقيق الحملة الصليبية أهدافها المرجوة منها إلا أنها جعلت السلطان العثماني يغير في طريقة حكمه واتباع سياسة أكثر مرونة من خلال الخطر الذي سببته له، ودفعته لتوقيع معاهدة صلح مدتها عشر سنوات، ووصل سفراء السلطان العثماني إلى مدينة بودا من أجل المفاوضات حول شروط الهدنة ومنها إعادة دولة الصرب إلى جورجي برانكوفتش على أن يتعهد بدفع الجزية السنوية للسلطان العثماني، إلا أن ملك المجر رفض ذلك، وعلى الرغم من محاولة السلطان العثماني من خلال وساطة حاكم الصرب إلا أن محاولته أخفقت نتيجة رفض مجلس النواب في بودا هذا المقترح ونتج عنه أن أقسم ملك المجر ومجلسه على القيام بحرب صليبية جديدة ضد العثمانيين[2].

وعلى الرغم من أداء ملك المجر القسم على محاربة العثمانيين من خلال حملة صليبية جديدة، إلا أنه بعد أسبوع فقط قام بإرسال مبعوث له إلى مدينة أدرنة من أجل التفاوض مع السلطان العثماني بشأن معاهدة سجدين Sujudin Treaty 847هـ/1444م، ويبدو أن الملك لادسلاس كان يهدف من خلال استمرار مفاوضاته مع السلطان العثماني من أجل كسب المزيد من الوقت للإعداد للحملة الصليبية الجديدة[3]، ومن خلال المفاوضات تم الاتفاق مع السلطان العثماني العثماني على أن تعاد صربيا إلى حاكمها، كما تم الاتفاق على اعتراف حاكم والاشيا بسيادة المجر، ويتعهد بعدم عبور الدانوب بهدف القيام بأعمال حربية ضد العثمانيين، والتعهد أيضاً بتقديم جزية سنوية للسلطان العثماني مع حاكم صربيا، في المقابل تعهد السلطان العثماني مراد الثاني بعدم عبور قواته الدانوب بقصد الحرب مع المجر، وقد أقسم السلطان العثماني على الالتزام بتنفيذ المعاهدة التي تم كتابتها باللغتين المجرية والعثمانية، وقد شهدت السفارة العثمانية في مدينة بودا أداء قسم ملك المجر على هذه المعاهدة[4].

---

(1) Ostrogorsky, History of Byzantine State, p. 502.

(2) Gill, Council of Florence, p. 331.

يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1، ص124-125.

(3) عبد العاطي، فارنا، ص212.

(4) يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1، ص 124.

استطاعت قوى المنطقة من خلال هذه المعاهدة الحصول على الكثير من المصالح، ففي الوقت الذي نعمت فيه المجر من خلالها بعشر سنوات هدوء، أمنت حدودها من خلال انسحاب العثمانيين من صربيا.

اتبع الملك المجري سياسة ذات وجهين ففي الوقت الذي كان فيه يستعد للقيام بالحملة الصليبية الجديدة، كان ينتظر عودة سفرائه من مدينة أدرنة التي كانت توقع على معاهدة السلام مع العثمانيين، وخلال عام (847هـ/ 1444م) في نهاية شهر حزيران بدأ الأسطول الصليبي بالتحرك بقيادة البندقية، وذلك قبل التوقيع على المعاهدة، إلا أن ملك المجر بعد توقيعه على الهدنة مع الجانب العثماني بعدة أيام أقسم مع جميع أمرائه وعلى رأسهم هونيادي على شن الحرب ضد السلطان العثماني مع بداية شهر أيلول من العام نفسه[1].

كان قد تسبب سفر المندوب البابوي من المجر إلى روما لاستكمال التحضير للحملة في تقلب رأي ملك المجر الذي كان قد أرسل رسوله إلى ملك البوسنة، وعند تأخر وصول المندوب وعدم وصول أي أخبار فيما يخص الاستعداد للحملة، دفع ذلك الملك لادسلاس إلى مفاوضة السلطان العثماني وتوقيع معاهدة سجدين Sujudin Treaty، إلا أنه مع عودة المندوب البابوي سيزاريني Cesarini الذي أعلن عن استكمال الاستعدادات للحملة، لم يبقَ هناك أي مسوغ للملك المجري للاستمرار في المعاهدة مع السلطان العثماني[2].

وقد واصل كل من البابا والإمبراطور البيزنطي الضغط على لادسلاس Ladslas من أجل إقناعه بالعدول عن قراره بخصوص القسم للسلطان العثماني، مسوغين ذلك بأن السلطان العثماني ما كان سيقدم على هذه الهدنة في حال لم يكن يشعر بضعف، وأن هذه الفرصة مواتية للقضاء على العثمانيين[3].

بدأ الجيش الصليبي تحركه نحو أدرنة ومن ثم باتجاه البحر الأسود، وارتكب الصليبيون أثناء مسيرهم الكثير من أعمال السلب والنهب، ولم تسلم من أفعالهم حتى الكنائس الأرثوذكسية التي صادفتهم، وكان الملك المجري يريد الوصول إلى القسطنطينية من أجل تقديم المساعدة للإمبراطور

---

(1) Gill, Council of Florence, p. 331- 332.

(2) عبد العاطي، فارنا، ص215.

(3) Stanley, Lane- Poole, Turkey, London, 1908, p. 90.

البيزنطي، ولذلك تابع الملك المجري تقدمه حتى وصل إلى مدينة فارنا الواقعة على البحر الأسود[1].

وعلى الرغم من وصول الأسطول الصليبي إلى بحر مرمرة لإشرافه على مراقبة المضايق، ومنع العثمانيين من العبور من آسيا الصغرى نحو الجانب الأوروبي[2]، إلا أن الأسطول الصليبي أخفق في مهمته نتيجة سيطرة العثمانيين مسبقاً على الجانبين الآسيوي والأوروبي، وبدأت المدفعية العثمانية بإطلاق النيران باتجاه الأسطول الصليبي الذي لم يتمكن من التصدي لهم ومنعهم[3]، فخلال تلك الحقبة كان السلطان العثماني مراد الثاني قد تمكن من القضاء على مشاكله والثورات التي كانت قامت ضده في آسيا الصغرى[4]، وقد تمكن من الحصول على مساعدة جنوه التي عملت على نقل القوات العثمانية من الجانب الآسيوي إلى الأوربي، والبالغ عددها أربعون ألف جندي وذلك مقابل حصولها على مبلغ من المال[5]، وبتلك المساعدة تكون جنوه قدمت للسلطان العثماني مساعدة كبيرة، وأحبطت المخطط الصليبي ومهدت الطريق للسلطان العثماني للوصول إلى مدينة فارنا، كما أن الإمبراطور البيزنطي نتيجة خوفه من إثارة غضب السلطان العثماني، وما قد ينتج عنه في حال هزيمة الصليبيين من خسارة ما تبقى من ممتلكاته دفعه إلى عدم الالتزام بوعوده في حراسة المضائق والمساهمة على رأس قواته مع القوات الصليبية.[6]

في العاشر من تشرين الثاني عام (848هـ/ 1444م) تقابل الجيش العثماني مع الجيش الصليبي، وقد تمكن من إلحاق الهزيمة بالقوات الصليبية وقتل وأسر العديد منهم[7]، وأمام هذا النصر الكبير للقوات العثمانية بقيادة السلطان مراد الثاني بادر الإمبراطور البيزنطي بإرسال سفرائه إلى السلطان العثماني ليقدم له التهنئة بالنصر، فلم يكن الإمبراطور البيزنطي يجرأ على إظهار أي

---

(1) يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1، ص25.

(2) Housley, Crusades, p. 87.

(3) عبد العاطي، فارنا، ص221.

(4) Creasy, History, p. 67.

يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1، ص 125.

(5) Vambery, Hungary, p. 266.

عبد العاطي، فارنا، ص 221.

(6) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 532.

أومان: الإمبراطورية، ص 261.

(7) Creasy, History, p. 70.

تعاطف مع هزيمة الجيوش الصليبية ومقتل الملك المجري[1]، وفي الحقيقة كانت هذه الهزيمة للصليبيين بمثابة آخر رمق وأمل للإمبراطورية البيزنطية لإنقاذها من التقدم العثماني، فقد دفعت بيزنطة الكثير لقاء هزيمة الصليبيين، فهي تخلت سالفاً عن عقيدتها وخضوعها للبابوية من خلال مجمع فلورنسا عام (843هـ/ 1439م)، حيث كانت معركة فارنا الصليبية ثمرة جهود بيزنطية مستمرة ما يقارب نصف قرن من الزمن من المناشدات والنداءات للأمراء والملوك في أوروبا بهدف مساعدتها للتصدي للخطر العثماني المطبق عليها، إلا أنه تبين من خلال هزيمة فارنا ضعف الروح الصليبية، وضعف قرارات البابا التي لم تأتِ بالنتيجة المرجوة منها مثل العفو العام وصكوك الغفران، والتي أدت نتيجة التنازلات التي قدمها الامبراطور البيزنطي من اعترافه بالمذهب اللاتيني وخضوعه للبابوية إلى صراع مع شعبه عقب عودته من الغرب[2].

3- معركة كسوفا الثانية عام 852هـ/ 1448م:

لم تمنع الهزيمة الفادحة التي لحقت بالصليبيين وعلى رأسهم هونيادي في معركة فارنا عام (848هـ/ 1444م)، من القتال للوصول إلى الاشتباك الحاسم مع السلطان مراد الثاني، بعد موت الملك المجري في فارنا، حيث تم تعيين لادسلاس Ladislaus ملكاً على المجر، وتولى هونيادي الوصاية عليه[3].

أما العثمانيون فبعد انتصارهم في معركة فارنا عام (848هـ/ 1444م)، أخضع السلطان مراد الثاني شبه جزيرة الموره عام (850هـ/ 1446م)، وأخمد القلاقل والثورات بها، ونجح في تأديب قسطنطين باليولوج على خروجه في الموره مستفيداً من انشغال العثمانيين بالتصدي لحملة الصليبيين، اتجه بعد ذلك السلطان مراد بقواته إلى ألبانيا لمواجهة إسكندر بك الذي تمرد بدعم من البابا نقولا الخامس وحاكم المجر هونيادي ضد الحكم العثماني، الأمر الذي دفع اسكندر بك إلى إقامة تحالف مع هونيادي ضد العثمانيين كما أنضم للتحالف أمراء والاشيا، وكانت البندقية في ذلك الوقت قد توصلت إلى اتفاق مع السلطان عام (850هـ/1446م) أبقت به على امتيازاتها التجارية،

---

(1) Finlay, G. A History of Greece, Vole III, Oxford, 1877, p. 495.

(2) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 531.

(3) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس- منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط11، بيروت، عام 1988م، ص228.

Vambery, Hungary, p.210.

كما أن ألفونسو الخامس Alfonso V (1432- 1481م/ 835- 885هـ) ملك نابولي كان غير راغب في القيام بمغامرة غير مضمونة، عندئذ اتجه هونيادي إلى البابا نقولا الخامس (1397 - 1455 م/ 799- 859هـ) الذي خلف إيجين الرابع في 10 ذي القعدة850هـ/ 4 شباط عام (1447م).[1]

نجح هونيادي في تشكيل جيش يضم حوالي أربعة وعشرين ألف مقاتل، ثم تقدم عبر صربيا التي رفضت الانضمام إلى هذا التحالف وقد واصل سيره حتى سهل قوصوه في 24 رجب/ 4 تشرين الأول عام (852هـ/ 1448م)[2]، بينما كانت القوات العثمانية تغير في ذلك الوقت على شرق ألبانيا وعندما علم السلطان بخبر تقدم هونيادي عاد بقواته إلى أدرنة، وعندئذ تقدم اسكندر بك بجيوشه للانضمام إلى هونيادي، وكان اسكندر بك قد توصل إلى معاهدة سلام مع البندقية في الرابع من تشرين الأول عام (851هـ/1448م) لذلك شعر بالأمان وسارع بالانضمام إلى جانب هونيادي [3].

جمع السلطان مراد الثاني أفضل قواته وبلغ عددها حوالي ستين ألف مقاتل واتجه لمقابلة جيوش هونيادي، وأقام معسكره في نيقوبوليس [4]. والتقى الجيشان في 10 شعبان/ 17 تشرين الأول (852هـ/ 1448م)، واستمر القتال ثلاثة أيام ولكن في اليوم الثالث انحاز حاكم والاشيا بقواته إلى جانب السلطان العثماني، وبذلك انتهت هذه المعركة، حيث رفض المجريون القتال بعد ذلك وشقوا طريقهم للهرب[5]، ومن الواضح عدم وجود أي اتصال بين هونيادي والإمبراطور البيزنطي أثناء الإعداد لهذه الحملة، ويبدو أنه قد توقع منه مثلما حدث عند معركة فارنا قبل ذلك، وعلى الرغم من ذلك فإن الإمبراطور البيزنطي كان يعلق أملاً كبيراً عليها ولكنه توفي في 24 شعبان/ 31 تشرين الأول عام (852هـ/ 1448م)[6].

أظهرت أعمال قسطنطين أنه فضل اتخاذ إجراءات عدائية ضد العثمانيين، وقد ظهر ذلك بشكل واضح من خلال الإجراءات التي اتبعها ضد العثمانيين، والتي تزامنت مع صليبية فارنا

---

(1) Housley, Crusades, p. 89.
(2) Pears, The Ottoman Turks, p. 692.
(3) Babinger, Mehamed, p. 53-54.
(4) اينالجيك، الدولة العثمانية، ص38.
رستم، الروم، جـ2، ص287.
(5) Vambery, Hungary, p. 211.
(6) Babinger, Mehamed, p. 56.

انطلاقاً من هنغاريا في عام (847هـ/1444م)، حيث كان البيزنطيون على علم مسبق ببدء تجهيز الحملة الصليبية منذ عام (846هـ/1443م)، وخططوا للاستفادة من تلك الحملة بطريقتين، أولاً كانوا يعتقدون أنه إذا تمكن المجريون من الاستمرار في القتال وهم في طريقهم إلى القسطنطينية سيتم تخفيف الحصار المباشر عن المدينة، ويمكن بعد ذلك التركيز على استعادة تراقيا من العثمانيين الضعفاء، ثانياً شملت خطة قسطنطين من الموره الاعتماد على الحملة الصليبية لتوفير الإلهاء الضروري حتى يتمكن من إعادة احتلال أجزاء من وسط اليونان[1]، واستغل قسطنطين الفرصة التي وفرتها الحملة الصليبية من خلال السيطرة على العديد من المدن والبلدات من العثمانيين في أتيكا و ثيساليا، ويشير المؤرخ دوكاس Doukas أن قسطنطين "توقع الدمار الكامل للعثمانيين" خلال الحملة طوال أواخر عام (847هـ/1444 و848هـ/1445م)[2]، وفي حين حقق قسطنطين مكاسب كبيرة في وقت مبكر من بداية الحملة، إلا أنه مع هزيمة الصليبين في فارنا أصبح بإمكان السلطان مراد الثاني تركيز اهتمامه على البيزنطيين[3].

وعلى الرغم من أعداد القوات العثمانية الكبير رفض قسطنطين إعادة الأراضي التي سيطر عليها للسلطان العثماني مراد الثاني، وبدلاً من ذلك استعد للمعركة من وراء جدار الهيكسمليون The Hexamillion الذي تم تجديده حديثاً، فقد كان قسطنطين قد أعاد تشييد جدار الهيكسمليون عام (846هـ/ 1443م)، بعد حقبة وجيزة من حكمه في الموره، وكان يعتقد اعتقاداً راسخاً أنه يمكن أن يصمد أمام أي هجوم من قبل العثمانيين، لأنه يمتلك سلسلة متقدمة من الحصون والأبراج، وكان يديرها من قبل أعداد كافية من القوات الفرنجية والألبانية، وكان قسطنطين في الواقع الحاكم الرابع الذي عمل على إعادة تحصين الهيكسمليون، وكان يعتقد اعتقاداً راسخاً أنه سوف ينجح في التصدي للهجوم العثماني[4].

عمل البيزنطيون من الموره بالتركيز على تعويض نقاط الضعف البشري في حرب الحصار لأنهم لا يمتلكون الموارد المالية والبشرية اللازمة لمجارات العثمانيين في القدرة العسكرية، ولذلك فقد

---

(1) Halecki, Oskar. The Crusade of Varna, A Discussion of Controversial Problems New York, 1943, Pp. 25-26-30.
(2) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 185.
(3) Ostrogorsky. History of the Byzantine State, Pp. 566 - 567.
(4) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 185.

بنيت الجدران بطريقة المتبعة في القرون الوسطى، ولم تمتلك أي مدفعية لوقف الهجوم العثماني، وقد أساء قسطنطين تقدير نوعية تحصينات مراد الثاني، والذي تمكن من خلال استخدام المدفعية من تحطيم جدران الهيكسمليون، وأخذ العثمانيون أكثر من 60.000 أسير، وبالكاد نجا قسطنطين بحياته[1].

رابعاً: الموقف البيزنطي الأوروبي تجاه التوسع العثماني (852-856/1449-1453):

تربع قسطنطين الحادي عشر على عرش إمبراطورية متهالكة مقطوعة الأطراف لا تضم سوى العاصمة وبعض المناطق المحدودة حولها، أما المورة فقد نشب الخلاف فيها مراراً بين حكامها، وكانت الجيوش العثمانية تجوب المنطقة دون مقاومة، وتدهور اقتصاد بيزنطة بشكل واضح، وبدت القسطنطينية وكأنها جسم غريب داخل كيان الدولة العثمانية، وكان العثمانيون يدركون أنهم لم يتمكنوا من التنقل بحرية بين الجانب الأوروبي، والآسيوي للمضايق في ظل بقاء القسطنطينية بيد أصحابها لذلك شرع العثمانيون في الإعداد للاستيلاء عليها[2].

خلف السلطان محمد الثاني ولده مراد الثاني بعد وفاته في شباط عام (854هـ/1451م)، تحت وصاية وزيره خليل باشا، وكانت قد استقبلت أوروبا هذا الخبر بارتياح شديد واعتقدوا أن نهاية الخطر العثماني قد قرب لصغر سن السلطان الجديد الذي لم يتجاوز العشرين من عمره تقريباً وأنه لم يعد بمقدوره التسبب بالخطر لأوروبا كما فعل والده قبل ذلك[3]، فقد كان السلطان محمد الثاني محباً للمعرفة، حبث درس حياة المشاهير من القادة أمثال الإسكندر الأكبر ويوليوس قيصر وقسطنطين الكبير، واستقبل السلطان الجديد عقب تتويجه سفراء عديد من الدول المجاورة وفي مقدمتهم سفراء بيزنطة والمورة وطرابزون وجدد معهم معاهدات السلام[4]، ويبدو أن حرص السلطان

---

(1) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, p. 56.
(2) Runciman, The Fall of Constantinople, p. 52.
(3) Tursun Bey, The History of Mehmed, Pp. 32-33.
باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص 33./ السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص147.
(4) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, Pp. 93, 95.
باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص 33.

على تجديد معاهدات السلام مع هؤلاء قد أكد شكوكهم في مقدرته، وما أن عاد السفراء إلى بيزنطة حتى نقلوا للإمبراطور البيزنطي صورة عن السلطان العثماني الشاب الذي أقسم على احترام الحدود البيزنطية مع التعهد بدفع نفقة سنوية قدرها ثلاثين ألف آسبرا للأمير العثماني أورخان بن سليمان المحجوز داخل القسطنطينية[1].

كان سوء تقدير بيزنطة للسلطان الجديد سبباً في إتباع الإمبراطور سياسة أثارت غضب السلطان العثماني، فقد استغل فرصة انشغاله في آسيا الصغرى وطالب بمضاعفة النفقة المخصصة للأمير أورخان وهدد بإطلاق سراحه، والوقوف إلى جانبه ودعمه عسكرياً لاستعادة حقه في العرش العثماني في حال رفض السلطان العثماني مطالبه[2].

عملت الحكومة البيزنطية على استغلال كافة الوسائل المتاحة من أجل الوصول إلى مركز التأثير على القرار السياسي في الدولة العثمانية من خلال النخبة فيها من أجل ثنيها عن استخدام أسلوب التهديد والاعتداء العسكري على الإمبراطورية البيزنطية، وقد أدت الاقتراحات للمستشارين البيزنطيين إلى حالة من التخبط داخل بيزنطة تجاه اتخاذ قرار حاسم من العثمانيين، وكان من بين الاقتراحات للمستشار المقرب من قسطنطين سفرانتز هو إمكانية التقرب من الدولة العثمانية من خلال زواج بين قسطنطين الحادي عشر ومارا برانكوفا Brankovic Mara من صربيا في عام (854هـ/1451م)، وكانت مارا زوجة السلطان الراحل مراد الثاني، وتمتعت بمركز مرموق داخل الحكومة العثمانية، وبشكل خاص من ابنها محمد الثاني، لدرجة أنه عند وفاة والده سمح لها بالعودة إلى منزل والدها في صربيا ويشير كولين أمبر Colin Imber أن محمد الثاني منح أيضاً زوجة والده في وقت لاحق الأراضي الرهبانية في سالونيك[3].

بينما كانت السلطانة تقترب من منتصف العمر، اعتقد جورج سفرانتز أن الزواج بين زوجة والد محمد، وقسطنطين الحادي عشر سيشكل الكثير من الفائدة لبيزنطة ويحبط أي هجوم عثماني

---

(1) Runciman, The Fall of Constantinople, p. 80

بروكلمان، الشعوب الإسلامية، ص 430./ صفوت، محمد مصطفى، السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م، ص 43.

(2) Pears, The Ottoman Turks, p. 694. / Creasy, History, p. 76.

رستم، الروم، جـ2، ص 288.

(3) Imber, Colin. The Ottoman Empire 1300 – 1481, Istanbul, 1990, p. 145.

مستقبلي على القسطنطينية، ويضمن ذلك أيضاً عدة تنازلات من قبل العثمانيين، مما يساعد على تنشيط العلاقة مع الدولة البيزنطية[1].

أيد قسطنطين الحادي عشر بشكل كامل اقتراح جورج سفرانتز، ومع ذلك أدت المناقشات داخل الحكومة البيزنطية إلى معارضة العديد من الوزراء لهذا الزواج، وإلقاء الشكوك في عقل الإمبراطور بشأن جدوى هذا الزواج، وفي حين كان سفرانتز يؤمن في مزايا هذا الزواج، اصطدم برفض البعض من مستشاريه بسبب عدم ثقتهم في الدولة الصربية[2].

كان من غير المنطقي تقبل اقتراح بشأن تحالف الزواج من دون دعم الحكومة البيزنطية، وبخاصة بعد تعميمه بين النخبة في القسطنطينية وعدم نيله دعم قوي بين تلك النخب، ، وكانت مارا برانكوفيتش تعهدت بأنها إذا هربت في أي وقت مضى من الدولة العثمانية، سوف تكرس حياتها لله وتبقى أرملة حتى وفاتها [3]، ونتيجة رفض مارا الزواج مرة أخرى أدى إلى فشل مقترح جورج سفرانتز، وأظهر أيضاً فشل الإستراتيجية البيزنطية في التقرب من العثمانيين، ونتيجة الظروف التي عانت منها إدارة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الحادي عشر فقد عرقلت بشدة قدرة الوصول إلى قرارات تتعلق بسياسة واضحة تجاه الإمبراطورية العثمانية، حيث كان كل واحد من مستشاري قسطنطين الحادي عشر له موقف مختلف فيما يتعلق بالعلاقات مع العثمانيين[4]، لقد اعتقد نوتاراس أن أي علاقة مع العثمانيين يجب أن تركز على ثنيهم عن مهاجمة العاصمة البيزنطية، واعتقد أنه يجب أن يكون الدفاع عن القسطنطينية الأولوية الأولى للإمبراطور، وأي إجراءات ممكن أن تخفف من التهديد العثماني للمدينة يجب استغلالها، وكان يفضل عدم القيام بأي عمل عدائي تجاه العثمانيين إلى حين تتمكن بيزنطة من الحصول على المساعدة العسكرية من الغرب الأوروبي، وكان يرى أن تحصينات القسطنطينية يمكن أن تصمد ضد التقدم العثماني لمدة كافية، وأن القوى المسيحية الغربية ستأتي في نهاية الأمر لمساعدة بيزنطة[5].

---

(1) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire ,p. 60.
(2) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire ,p. 63.
(3) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, p. 62/ Nicol, The Immortal Emperor, p. 45.
(4) Nicol, The Immortal Emperor, Pp. 15, 47.
(5) Nicol, The Immortal Emperor, p. 60.

ومن أجل تحقيق ذلك كان على البيزنطيين أن يستغلوا حقبة عدم الاستقرار داخل الدولة العثمانية، ودعم الأطراف المطالبة بالعرش والإمارات التركية المتنافسة لصرف السلطان عن غزو القسطنطينية، بالإضافة إلى ذلك يعتقد نوتاراس أن أي إجراء من قبل العثمانيين ضد المدينة سوف يتطلب الكثير من الوقت بسبب تحصينات المدينة، وأن المسيحيين اللاتين يمكن أن يتدخلوا نيابة عن بيزنطة في التصدي للعثمانيين [1].

مستشار آخر لدى الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر هو جورج سفرانتز، وكان نوتاراس يرى أن مراد الثاني، والد محمد الثاني شكل تهديداً لبقاء بيزنطة بينما كان شاباً، لكنه لم يشكل تهديداً يذكر للإمبراطورية خلال سنواته الأخيرة، وعرف سفرانتز أنه كان يرغب فقط في عيش ما تبقى له من الحياة بسلام[2].

وعلى الرغم من أن الشاب محمد الثاني الذي كان قد بلغ من العمر تسعة عشر عاماً فقط بعد وفاة والده كان مختلفاً تماماً، اعتقد جورج سفرانتز أن استعداء مباشر للسلطان الجديد سيعطيه الذريعة اللازمة لبدء حرب مع البيزنطيين، مما سيؤدي في النهاية إلى سقوط القسطنطينية [3].

كان هناك شبه إجماع بين مستشاري الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر على ضرورة طلب العون والمساعدة من الغرب الأوروبي ولكن بطريقة لا تثير العثمانيين وكان من بين المستشارين المؤيدين لذلك كل من نوتاراس و سفرانتز ونظر الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر بشكل جدي لهذا المقترح، وبالإضافة إلى هذا المقترح كان هناك اقتراح آخر لأندرونيكوس كانتاكوزينوس Andronikos Kantakouzenos، الذي يدعو إلى أعمال عدوانية تجاه العثمانيين كقائد عام للجيش البيزنطي، وكان كاناكوزينوس يرغب في استخدام الجيش لاستغلال نقاط الضعف في الإمبراطورية العثمانية، وأراد أن يستفيد من الثورات والتمردات الكبرى التي تواجه العثمانيين في الأناضول من قبل المجموعات التركية الأخرى التي كانت تحت سيادة العثمانيين، وكان كانتاكوزينوس متحمس ومتشدد، ويعتقد أنه إذا وصلت المساعدات الغربية التي وعد بها مجلس

---

[1] Melville Jones, J R, The siege of Constantinople 1453 seven contemporary accoun, Amsterdam, 1972, p. 29

[2] Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, pp. 59-68.

[3] Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, p. 59.

فلورنسا، فإن القوات المسيحية مجتمعة ستكون قادرة على استعادة المحافظات الأوروبية والآسيوية التي استولى عليها العثمانيون[1]،

نتيجة للمواقف المتفاوتة من أقرب المقربين من قسطنطين الحادي عشر بخصوص السياسة تجاه العثمانيين، والتردد الكبير لشرائح النبلاء والمستشارين البيزنطيين خوفاً على مصالحهم التجارية، إضافة لفقدانه المستشارين أصحاب القرارات الحاسمة في حياته، كل ذلك دفع الإمبراطور للاستمرار في استخدام تكتيكات المماطلة ضد الإمبراطورية العثمانية بدلاً من تبني سياسة جديدة واضحة.

1- المواقف السياسية داخل الحكومة العثمانية تجاه البيزنطيين:

كان قد حاول الأباطرة البيزنطيون منذ عهد مانويل الثاني تقوية الروابط بين النخب والحكام العثمانيون والبيزنطيون، حيث قادت سياسة الامبراطورية البيزنطية في عهد مانويل الثاني تجاه السلطان العثماني محمد الأول في نهاية المطاف إلى إقامة علاقات سلمية، وتبادل الوفود بين الدولتين[2].

حاول جورج سفرانتز إنجاز الأمر نفسه بين قسطنطين ومحمد الثاني، من خلال ربط زوجة والد محمد بالإمبراطور البيزنطي، وأمل سفرانتز هو خلق علاقة الأخوة بينهما، في حين أن رفض مارا للزواج أنهى هذا المسعى الخاص، وكان نتيجة لذلك لابدَّ من البحث عن إقامة علاقات شخصية جديدة مع النخب داخل الدولة العثمانية، وحاول البيزنطيون استخدام العلاقات التي كانت موجودة منذ عهد مانويل الثاني، ويوحنا الثامن، حيث كانت أهم علاقة لبيزنطة مع خليل باشا، الوزير الأول لكل من مراد الثاني، ومحمد الثاني لعقود، وكان قد أرسل النبلاء البيزنطيون الرشاوي إلى الوزير العثماني في أدرنة من أجل كسب ثقته ووقوفه لصالحهم، وقد أشار دوكاس إلى أنَّ خليل باشا بالإضافة إلى كونه كان لطيفاً جداً، فإنه رحب بالهدايا والرشاوي التي كانت تقدم له من البيزنطيين"، وكانت هذه الإجراءات ناجحة، وأصبح خليل باشا معروفاً جداً بتصرفه الودّي تجاه الإمبراطورية البيزنطية [3]، إلاَّ أنَّ البيزنطيين بالغوا في تقدير نفوذهم ومدى تأثيرهم على الوزير

---

(1) Nicol, The Byzantine Family of Kantakozenos, Pp. 68 180.
(2) Barker, Manuel II Palaeologus p. 288.
(3) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, pp.193- 202. "The companion or helper of the infidels." رفيق الكفار أو مساعد الكفار

العثماني خليل باشا، حيث ظل الوزير خليل باشا مواليًا بشكل أساسي للدولة العثمانية. ، بالإضافة إلى ذلك، فإنه مع تولي محمد الثاني عرش الدولة العثمانية عام (854هـ/1451م)، خسر خليل باشا الكثير من النفوذ والمكانة التي كان يتمتع بها في عهد السلطان مراد الثاني، نتيجة استياء محمد الثاني من نفوذ خليل باشا، وذلك منذ عام (847هـ/1444م)[1].

وفي وقت لاحق أعدم من قبل السلطان لسوء سلوكه، وعلاقاته مع البيزنطيين، وذلك بعد حقبة وجيزة من سقوط القسطنطينية[2].

قاد هذا الاعتماد المضلل على خليل باشا الإمبراطورية البيزنطية إلى كارثة، فقد أقنع مستشارو قسطنطين الحادي عشر المعادين للعثمانيين، بقيادة أندرونيكوس وديميتريوس بإثارة العثمانيين بشكل صارخ، لأنهم اعتقدوا أن بيزنطة كانت تتمتع بالدعم غير المشروط من الوزير خليل باشا، وظنوا أنه حتى لو كان استفزازهم غير ناجح، فإن خليل باشا سيتدخل لمنع الحرب، ونتيجة لذلك أرسل قسطنطين الحادي عشر بعثة إلى محمد الثاني موضحا أنه ما لم يتضاعف راتب الأمير أورخان، فإن البيزنطيين سيطلقون سراحه كمنافس على العرش العثماني، إلا أنَّ خليل باشا بدلاً من دعمه مطالب الإمبراطور البيزنطي، شجب عمل البيزنطيين ووقف ضدهم، كما وبخ السفراء البيزنطيين.[3]

وافق خليل على تقديم مطالب البيزنطيين للسلطان، لكنه رفض تقديم الدعم لهم، وكانت النتيجة كارثية، فقد واصل محمد الثاني استعداداته لأخذ المدينة، بالإضافة إلى ذلك، عندما قرر السلطان أخيراً القيام بحصار القسطنطينية فإن خليل باشا قدم له المساعدة في التخطيط لغزو القسطنطينية، حيث عرض الوزير خبرته لأخذ المدينة.[4]

أخفقت بذلك الجهود البيزنطية للدبلوماسية فقد بالغ البيزنطيون في تقدير مدى قدرة رشاويهم في التأثير على الوزير العثماني ففي الوقت الذي قدم النبلاء والأثرياء البيزنطيون الهدايا الكثيرة لخليل باشا في شكل تحف فنية وذهب، ولكن السلطان مدركاً للأساليب البيزنطية الخاصة ضدهم،

---

(1) Tursun Bey, The History of Mehmed, p. 32.
(2) Kritovoulos. History of Mehmed the Conqueror. Trans. Charles T. Riggs, University Press, 1954, Pp. 87-88.
(3) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 193.
(4) Kritovoulos, History of Mehmed the Conqueror, p. 33.

حيث قدم السلطان لجميع مستشاريه هدايا فخمة كانت أكبر بكثير من أي شيء يمكن أن تقدمه بيزنطة[1].

أظهرت الإجراءات التي اتخذها قسطنطين الحادي عشر، والسياسة الوحيدة التي أصر عليها بشأن الدولة العثمانية ميوله العدائية تجاه العثمانيين، والتي عملت على زيادة عزلة القسطنطينية، وفي الحقيقة الإمبراطور البيزنطي جندي فوق كل شيء آخر، ويعتقد بشكل أساسي أن الدبلوماسية سوف تؤدي في نهاية المطاف إلى طريق لعمل عسكري وحصار من قبل العثمانيين، ونتيجة لذلك بعد وقت قصير من وصول قسطنطين الحادي عشر إلى العرش في عام (850هـ/1449م)، أمر مواطني القسطنطينية بتخزين كميات كبيرة من الحبوب، وعمل على استقدام الإمدادات اللازمة لمساعدة المدينة على تحمل حصار عثماني مرتقب، بالإضافة إلى ذلك بدأ الإمبراطور في نقل سكان المناطق النائية في أطراف المدينة إلى القسطنطينية، نتيجة خوف قسطنطين على سلامتهم في حالة اندلاع الحرب، وأراد أن يحبط أي إجراءات عثمانية ضدهم[2].

إن إيمان الإمبراطور قسطنطين بأن الاقتراحات الدبلوماسية تجاه العثمانيين ستخفق، ولضمان سلامة المواطنين البيزنطيين وجه جهوده لإصلاح الأسوار الثلاث للقسطنطينية، وذلك بعد وصوله إلى العرش[3].

2-رد الفعل العثماني على إجراءات الإمبراطور البيزنطي قسطنطين:

بينما كان الإمبراطور البيزنطي ملتزماً بإصلاح تحصينات القسطنطينية عند وصوله إلى العرش البيزنطي، أثارت تلك التحصينات غضب السلطان العثماني، وقرر بناء حصن على الجانب الأوروبي من مضيق البوسفور والذي عرف باسم روملي حصار Romile Hissar، وشدد التزامه

---

(1) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 197.

(2) في انتظار الهجوم العثماني المرتقب، قام الإمبراطور بإعداد تحصينات المدينة ونقل القرويين إلى داخل المدينة، كما تم إحضار القمح والحصاد الذي تم حصاده إلى الداخل.
Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 199.

(3) Runciman, The Fall of Constant1inople, p. 92.

على تنفيذ المشروع في ربيع عام (855هـ/1452م)، عندما قرر محمد الثاني أنه بحاجة إلى وسيلة للسيطرة على طريق الشحن للمسافرين عبر مضيق البوسفور[1].

كانت قد تأثرت بهذه التحصينات كل من بيزنطة والبابوية والغرب الأوروبي بشكل عام، ورداً على ذلك أمر قسطنطين الحادي عشر بإصلاح دفاعات القسطنطينية، كما حاول إتباع الدبلوماسية من خلال مراسلة صديقه الوزير العثماني خليل باشا وذلك بغية صرف أنظار السلطان العثماني عن هذا العمل، إلا أنَّ السلطان سارع بطرد الأهالي البيزنطيين من القرى المجاورة للقلعة، وقد فسر الإمبراطور ورجال حكومته إنشاء هذه القلعة بأنه إعلان حرب ضد بيزنطة[2].

كما أرسل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين سفارة إلى السلطان العثماني احتجاجاً على ذلك لكن السلطان العثماني أوضح لهم أن إنشاء القلعة الهدف منه حماية أملاك العثمانيين على جانبي المضايق لا أكثر[3].

لا شك أن إنشاء هذه القلعة كان له أكثر من معنى، من حيث إحكام الحصار على القسطنطينية، وحرمانها من الغلال والمواد الغذائية التي ترد إليها من البحر الأسود، والأخشاب اللازمة لبناء الأسطول سواء لبيزنطة أو المدن التجارية، بالإضافة إلى التحكم في التجارة بين البحر الأسود والبحر الإيجي، وعندئذ كان على كل قوى المنطقة أن تعيد النظر في أمر سياستها تجاه السلطان العثماني الجديد[4]، ولكن السلطان العثماني واصل استعداده، وجمع وزراءه، وأخذ يعدد أمامهم أخطاء بيزنطة في حق العثمانيين وأشار إلى ضرورة فتح هذه المدينة خوفاً من تنازل أصحابها عنها لحلفائهم من الغرب الأوروبي للدفاع عنها، وأوضح أن المدينة لم تعد منيعة، إلى جانب عدم جدية الإيطاليين في الدفاع عنها[5].

---

(1) كان يُطلق على روملي حصار أيضاً اسم bogas kasen، أو "قاطع المضيق" أو "قاطع الحلق". وكان الأخير ينطبق على بيزنطة.

Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, Pp197-200.

(2) Runciman, The Fall of Constantinople, p. 73.

(3) Kinross, Ottoman, p. 98. / Finlay, A History of Greece, p. 499.

باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص 34-83.

(4) Tursun Bey, The History of Mehmed, p. 33. / Runciman, The Fall of Constantinople, p. 73.

(5) Runciman, The Fall of Constantinople, p. 73.

ترك السلطان أسطولاً كبيراً في غاليبولي لمراقبة المضايق، وأمضى وقتاً طويلاً في فحص استحكامات القسطنطينية، وأعد نفسه لمهاجمتها في نهاية الشتاء، وأمضى شهري شباط وآذار عام (856هـ/1453م) في تجميع قواته حتى بلغ عددها قرابة مائتي ألف، وتضم قوات الانكشارية والفرسان النظاميين والسباه، وقيل أن هذا العدد لم يجتمع لأحد قبله من سلاطين العثمانيين، ومن الملفت للنظر وجود بعض الوحدات الصربية بين قوات السلطان العثماني، وهنا تظهر عبقرية السلطان العثماني عندما أعاد الأميرة الصربية "مارا" أرملة والده إلى أبيها بعد أن أكرمها وأغدق عليها، وأبدى حرصه على استمرار الود مع الصرب[1].

كان الاستعداد الاكثر أهمية من قبل السلطان هو التوصل إلى نوع من المدافع أكثر تطوراً من المدافع العادية، ويرجع الفضل في ذلك إلى شخص مجري يدعى أوربان Urban ، وكان اتجه هذا المهندس في بداية الأمر إلى الإمبراطور البيزنطي وعرض عليه فكرة صنع هذا المدفع ولكن الإمبراطور لم يستطع الإنفاق على هذا المشروع، فاتجه أوربان إلى السلطان الذي سخر له كل ما يلزمه حتى تم ظهور هذا المدفع [2]، وكان لهذا المدفع القول الفصل في هذه المعركة حيث سبب الكثير من الرعب والقلق للبيزنطيين، وقد أدرك السلطان العثماني بعد ذلك ضرورة حرمان الإمبراطور البيزنطي من أية مساعدة قد تصل إليه عن طريق أخوته في المورا فأرسل بعض قواته في خريف عام (855هـ/1452م) بقيادة "طورخان بك" وولديه لشن هجوم شديد عليها ونجح هذا الجيش في التقدم حتى وصل إلى مضيق كورنثة Korinth، وأحكم الرقابة على كل من "توماس" و "دمتريوس"[3].

كما كان السلطان العثماني يدرك أهمية الأسطول في حصار القسطنطينية لذلك أعد أسطولاً كبيراً حوالي مائة وثمانين قطعة جديدة إلى جانب الكثير من القطع القديمة التي يتم إصلاحها،

---

(1) Pears, The Ottoman Turks, p. 696./ Finlay, A History of Greece, p. 505./ Tursun Bey, The History of Mehmed, p. 43.

(2) Ostrogorsky, History of Byzantine State, p. 506;
باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص 36- 32./ عنان، محمد عبد الله، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط2، القاهرة، 1962م.، ص 174-.

(3) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, p. 235.

وهي المرة الأولى التي شهد فيها الأسطول العثماني هذا الاهتمام حتى غدا أكبر أسطول في المنطقة.[1]

3-حصار القسطنطينية وردود الفعل الأوروبية:

إذا كانت الدول الأوروبية ولا سيما المدن التجارية الإيطالية قد أبدت تحفظها في بداية الأمر تجاه تقديم المساعدة للإمبراطور البيزنطي أمام الحصار العثماني، فقد حدث ما جعلها تعيد النظر في أمر هذه السياسة، حيث أن تحطيم سفن تابعة للبندقية والاستيلاء على محتوياتها من قبل العثمانيين أدى إلى توتر العلاقة مع العثمانيين، وفضلت المشاركة في الدفاع عن القسطنطينية في محاولة للحد من تعاظم قوة السلطان العثماني، وهذا ما جعل مجلس الشيوخ في البندقية يصدر الأوامر لانضمام سفن الأسطول البندقي المتواجدة في المنطقة إلى جانب الإمبراطور البيزنطي وتقديم المساعدة له أثناء الحصار العثماني، كما تعهد المجلس بتجهيز سفن حربية أخرى للمساعدة في الدفاع عن القسطنطينية[2].

وكان من المتوقع أن تبادر البندقية بقطع علاقتها مع السلطان تضامناً مع الإمبراطور البيزنطي، ولكن ممثلو البندقية في الشرق وصلتهم تعليمات تشير إلى مد يد العون للمدينة المحاصرة، وفي الوقت نفسه الحفاظ على الود القائم مع السلطان العثماني، كما أنها لم ترسل غير ست سفن من العشر التي وعدت بها قبل ذلك لمساعدة الإمبراطور[3].

كانت جنوه أكثر تردداً من البندقية في موقفها من محنة بيزنطة، فقد أجرى حاكم بيرا ترتيبات مع السلطان العثماني، وحصل على وعد باستمرار الود بينهما بعد التعهد بالكف عن مساعدة القسطنطينية[4]، كما صرح السلطان العثماني له أن سقوط القسطنطينية لا يعني سقوط بيرا، وعلى

---

(1) Creasy, History, p. 79. / Runciman, The Fall of Constantinople, p.74.
فريد، الدولة العلية، ص 161،

(2) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, p. 238. / Nicol, The End of The Byzantine Empire, Pp. 86-87.
باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص193.

(3) Finlay, A History of Greece, p. 504.

(4) Nicol, The End of The Byzantine Empire, p. 86.

الرغم من ذلك فقد شق الكثير من الجنويين طريقهم ليلاً لمساعدة القسطنطينية ضد الهجوم العثماني.[1]

لم تقف مساعدات جنوه عند هذا الحد، بل وصل القائد الجنوي "جستنياني" Giustiniani حاكم كافا Caffa في الثامن والعشرين من كانون الثاني عام (856هـ/1453م)، واصطحب معه سفينتين وحوالي سبعمائة محارب، وما أن وصل حتى أسند إليه الإمبراطور البيزنطي مهمة قيادة القوات داخل المدينة المحاصرة[2].

ومن الملاحظ عدم وجود أي ثقة بين جنوه والبندقية أو تنسيق مشترك بينهما أثناء المعركة، وكان بمقدورهما أن تدفعا إلى الميدان بأكثر من مائة سفينة وأكثر من عشرين ألف رجل لو أرادتا، ولكن كان بينهما الكثير من المشاكل في إيطاليا والتي حالت دون ذلك[3].

منح الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الحادي عشر الكثير من الامتيازات التجارية لمدينة راجوزا أملاً في الحصول على مساعدتها، وعلى الرغم من ذلك أبدت حرصاً شديداً على استمرار الود مع السلطان العثماني وأبدت تحفظها بشأن مساعدة القسطنطينية[4]، وقد حالت أيضاً مشاكل "ألفونسو" ملك نابولي دون تقديم المساعدة في حين كانت جزيرة قبرص خاضعة لحكم المماليك، ولكن الإمبراطور البيزنطي قد حصل على وعد من كريت بالمساعدة الممثلة في العديد من الجنود والبحارة[5].

علق الإمبراطور البيزنطي أملاً كبيراً على مساعدة فردريك الثالث ملك الهابسبورج Habsburg، ولكنه كان مشغولاً بتتويجه إمبراطوراً، وعلى الرغم من أن ذلك فقد تم في روما عام (855هـ/1452م) إلا أنه انشغل بدعواه في عرش بوهيميا والمجر ورفض الالتفات إلى الإمبراطور البيزنطي[6]، ولا شك أن تطلع فردريك لعرش المجر أدى إلى توتر العلاقة مع هونيادي الوصي

---

(1) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 275.

(2) Sphrantzes, The Fall of Byzantine Empire, p. 238. / Ostrogorsky, History of Byzantine State, p. 506

(3) Babinger, Mehamed, p. 79.

أومان، الإمبراطورية، ص 263.

(4) Runciman, The Fall of Constantinople, p. 68.

هايد، تاريخ التجارة، جـ3، ص 153-154.

(5) Nicol, The End of The Byzantine Empire, p. 86.

(6) Brehier, Vie et Mort, p. 515.

على عرش لادسلاس الخامس Ladislas ملك المجر، ومن ثم قد يحول دون تكاتف الجهود لإنقاذ بيزنطة، كما كان قد أرسل الإمبراطور البيزنطي إلى البابا "نيقولا الخامس" Nicolas V خليفة إيجين الرابع (850-859هـ/1447-1455م)، وأوضح له أن سقوط القسطنطينية يعني التهديد المباشر لإيطاليا على يد العثمانيين، وعندئذ أعلن البابا عزمه على إرسال أسطوله للدفاع عن المدينة المحاصرة، وطلب من الإمبراطور "فردريك الثالث" Frederick III عندما حضر إلى روما للتتويج في آذار عام (855هـ/1452م) أن يوجه إنذاراً إلى السلطان العثماني من أجل رفع الحصار عن القسطنطينية[1].

وكان قد حاول "جستنياني" ومعه الكثير من النبلاء البيزنطيين إقناع الإمبراطور بمغادرة المدينة لطلب المساعدة ولكنه رفض ذلك، وقاوم محاولات السلطان العثماني المتكررة للهجوم على المدينة من الشمال والغرب في آن واحد طيلة النصف الأول من شهر أيار، غير أنه عجز في وسط هذه الظروف عن دفع رواتب الجنود والمدافعين مما دفعه إلى انتزاع كنوز الكنائس بعد الوعد بردها عند زوال الخطر[2].

كان قد أرسل السلطان العثماني في الخامس والعشرين من آب للتفاوض مع الإمبراطور البيزنطي – الذي كان على استعداد لقبول أي شرط يوفر له الاحتفاظ بعرشه وديانته – وعرض عليه تسليم المدينة والانتقال إلى المورة أو الدخول في الإسلام أو الحرب، وقد حاول المبعوث العثماني إقناع الإمبراطور البيزنطي بقبول أحد هذه الحلول، ولكن الإمبراطور البيزنطي رفض ذلك[3]، ولم يكن رفض الإمبراطور من منطلق القوة التي يتمتع بها بل لأن الشروط كانت أبعد ما تكون عن القبول بالنسبة له، بدأ السلطان في الإعداد للهجوم الأخير على المدينة فلوح لجنوده بالجوائز والثراء وأعلن أنه لا يريد سوى المدينة فقط أمَّا الأسلاب والكنوز والتحف وغير ذلك ستكون للجنود، وبدأ الدراويش يطوفون معسكرات الجنود يرغبونهم في الاستشهاد[4].

---

(1) Runciman, The Fall of Constantinople, p. 68.

عنان، مواقف حاسمة ، ص 178-179.

(2) عنان، مواقف حاسمة ، ص185.

Pears, The Ottoman Turks, p. 699. / Babinger, Mehamed, p. 89.

(3) Finlay, A History of Greece, p. 513.

(4) Creasy, History, 82

وعلى الجانب الآخر كان الوضع يختلف تماماً داخل القسطنطينية فلم يكن بوسعهم سوى عرض صورة العذراء في موكب عظيم ويندبون خطاياهم خوفاً من عقاب قد يحل بهم، وبدأوا يوجهون اللوم للإمبراطور على عناده وعدم تسليم المدينة وفي مساء الثامن والعشرين من آب كانت آخر خطبة للإمبراطور البيزنطي الذي شرع في استعادة ماضي الإمبراطورية ليحيي في نفوس المدافعين أملاً قد خمد، وقد دخل السلطان العثماني محمد الثاني مدينة القسطنطينية في 29 نيسان (856هـ/1453م) [1].

4-الهجوم الأخير على القسطنطينية وسقوطها عام 856هـ/ 1453م:

على الرغم من أن أول هجوم كان في يوم السادس من نيسان عام 856هـ/1453م، حيث انهالت قذائف المدافع العثمانية الكبيرة التي تجرها الثيران على أسوار القسطنطينية محدثة انفجارات هائلة وأصوات مرعبة أدخلت الفزع إلى قلوب المدافعين عن المدينة، فقد أحاط بالمدينة جيشاً عثمانياً كحبات الرمل من بحر مرمرة إلى القرن الذهبي[2]، ومدافع ضخمة تحيط بأسوار المدينة والتي أحدثت قذائفها خراباً كبيراً بأسوار المدينة، ولكن المدافعين استطاعوا التسلل ليلاً إلى الأسوار وترميم ما يمكن ترميمه[3]

لقد استمر حصار المدينة حتى التاسع والعشرين من أيار، ويرجع الفضل في ذلك إلى شدة حصانة أسوار المدينة ومناعتها، وإصرار الإمبراطور البيزنطي على المقاومة إلى جانب مهارة القائد الجنوي جستنياني الذي تعلم منه الإغريق الكثير من فنون استخدام سلاح النار الإغريقية وهي أكثر الأسلحة فاعلية في هذا الحصار.[4]

---

(1) Nicol, The End of The Byzantine Empire, p. 89. / Brehier, Vie et Mort, p. 523.
عنان، مواقف حاسمة، ص 186.

(2) القرن الذهبي، أفضل الموانئ الطبيعية في العالم، كان في السابق مركز للقوات البحرية البيزنطية والعثمانية. المقدسي،(ت:380هـ/991م)، شمس الدين أبي عبد الله، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: شاكر لعيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2003 م، ص137.

(3) الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص 135.

(4) Runciman, The Fall of Constantinople, p. 96.
باربارو، يوميات الحصار العثماني، ص 38.

لا بدَّ أن اليأس كان قد أصاب الإمبراطور البيزنطي عندما علم بنجاح السلطان العثماني في الدخول إلى منطقة القرن الذهبي، فقد كانت تعدّ هذه الجهة الشمالية أكثر الجهات أمناً وعندئذ كان عليه أن يعيد توزيع قواته على الأسوار في حين إنها لم تكن تكفي لحماية الجهة الغربية [1].

وكانت قد ظهرت بعد ذلك فكرة حرق الأسطول العثماني داخل الخليج، وتمت الاستعدادات لهذا العمل وأبدى البنادقة الحرص على ضرورة الحفاظ على السرية التامة وعدم وصول أي خبر بشأن ذلك إلى الجنويين في القسطنطينية خوفاً من تسرب الخبر إلى الجنويين في بيرا وبعدئذٍ إلى السلطان[2]، وقد صدق حدس البنادقة حيث انتقل الخبر إلى الجنويين في بيرا ثم السلطان العثماني الذي استعد لهذا المخطط، وفي يوم الثامن والعشرين من نيسان قبل بلوغ الفجر بساعات تحركت سفن جنوه والبندقية باتجاه سفن السلطان، ولكن ما أن اقتربت من السفن العثمانية حتى انهالت عليهم قذائف المدافع وتحطمت سفنهم وهلك منهم الكثير وعندئذ شارك الأسطول العثماني في الحصار من جهة الشمال[3]، في حين استمرت المدافع في قصف الأسوار ذات السور الفردي[4]، وهنا تكمن أهمية نقل السلطان العثماني هذه السفن إلى داخل الخليج فقد أجبر الإمبراطور على إعادة توزيع قواته، وإن كان عدد جنوده لا يكف لحراسة الأسوار الغربية فقد لجأ لسحب بعض هذه القوات لتوزيعها على السور الشمالي وعندئذ ضاعت فرصة إصلاح أي تهدم قد يحدث في الأسوار الغربية المواجهة لليابس، هذا إلى جانب أن قصف المدافع للأسوار الشمالية ذات الحائط الواحد قد أحدث بها كثيراً من الاضرار مما أدى نهاية الأمر لسقوط المدينة في 29 نيسان 856هـ/1453م.

---

(1) Kinross, Ottoman, Pp. 102-103. / Runciman, The Fall of Constantinople, Pp. 105-106.

عنان، مواقف حاسمة، ص 182.

(2) Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman, p. 277. / Pears, The Ottoman Turks, p. 699.

عنان، مواقف حاسمة، ص 182.

(3) Pears, The Ottoman Turks, p. 699. / Nicol, The End of The Byzantine Empire, Pp. 87-88. / Runciman, The Fall of Constantinople, p. 107.

رستم، الروم، جـ2، ص 293 / عنان، مواقف حاسمة، ص 182-183.

(4) Babinger, Mehamed, p. 89.

5-موقف الدول الأوروبية من سقوط القسطنطينية:

لم تبادر أوروبا بقيادتيها السياسية والدينية لإنقاذ القسطنطينية ولكن ظهر ما يشير إلى قبول دول أوروبا للأمر الواقع، وخاصة شرق أوروبا على الرغم من كونه أكثر إحساساً بالخطر العثماني، فقد ازدحم بلاط السلطان بسفراء القوى المجاورة مثل الصرب، وجزر البحر الأيجي، والمورا، ووالاشيا[1]، وإذا كان موقف القوى السياسية قد اتصف بالسلبية فعلى العكس من ذلك كان موقف البابوية، فقد أصدر البابا "نيقولا الخامس" في الثالث من أيلول عام (856هـ/1453م) دعوته لحملة صليبية لتخليص القسطنطينية، وفرض ضريبة العشر لتمويلها، ولكن هذه الدعوة لم تسفر عن شيء[2].

ويبدو أن أثر هذا السقوط بدأ يزول تدريجياً بمرور الوقت واختفت الرغبة في تشكيل حملة لاسترداد القسطنطينية، وخاصة أن شعوب الغرب كانت تشعر بالبعد عن هذا الخطر، ولم يكن عندهم ما يدفعهم للتضحية بالأموال والأنفس، واقتصر الأمر على التعاطف مع الشعب المقهور والإحساس بالشفقة تجاهه فقط، وكان حصار القسطنطينية وما صاحبه من عمليات حربية أدى إلى ارتباك التجارة وانهيار طرقها بين آسيا وأوروبا عبر البحر الأسود والمضايق، مما دفع التجار لنقل وكالاتهم ونشاطهم إلى سلطنة المماليك، وإذا كان هذا هو سلوك جنوه والبندقية فقد ظهرت سفن فلورنسا عقب السقوط في ميناء بيرا العثماني محملة بالذهب والفضة والزيوت والأصواف كما استقبل حاكمها بعثة عثمانية أكدت العلاقات بينهما خاصة بعد وقوفها على الحياد أثناء حصار القسطنطينية[3].

6- منعكسات سقوط القسطنطينية داخلياً وخارجياً:

بعد سقوط القسطنطينية بيد العثمانيين تم في البداية تكليف نوتارس حاكماً على المدينة إلا أن الخوف من إمكانية وقوع الخيانة من "نوتارس" دفعت السلطان العثماني للتخلص منه، ولما كانت هذه المدينة تتفوق على كل من بروسا وأدرنة بموقعها المتميز وموروثها الحضاري والثقافي

---

(1) Babinger, Mehamed, Pp. 96, 103./ Runciman, The Fall of Constantinople, p. 168.
(2) Babinger, Mehamed, p. 98.
(3) زكي، نعيم، طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة العامة، القاهرة، عام 1973م، ص 38-39.

والتاريخي فقد أمر السلطان بإعادة بناء أسوارها وتعميرها وغير اسمها إلى استنبول Istanbul بدلاً من القسطنطينية واتخذها عاصمة له[1]، وأمر بإنشاء قصر جديد له وتوطين خمس الأسرى داخل المدينة، وقبل نهاية ذلك العام نجح السلطان في توطين حوالي خمسة آلاف مواطن من الأناضول في العاصمة الجديدة[2].

أدى سقوط القسطنطينية والأراضي البيزنطية المتبقية إلى فيضان اللاجئين المسافرين إلى أوروبا وخاصة أوروبا الغربية، وعلى وجه الخصوص لجأ العديد من العلماء إلى إيطاليا، ومن بين هؤلاء اللاجئين النحويون والإنسانيون والشعراء والكتاب والمحاضرون والموسيقيون وعلماء الفلك والمهندسون المعماريون والكتبة والفلاسفة والعلماء والسياسيون وعلماء اللاهوت، وأحضروا معهم مخطوطات من مكتبات القسطنطينية المدمرة والمدن البيزنطية الأخرى[3]. كان سقوط القسطنطينية نهاية حقبة لأوروبا وهي نهاية العصور الوسطى، فقد كان سقوط الإمبراطورية البيزنطية، كما أحدث سقوط القسطنطينية صدمة وذعر داخل أوروبا بعد عام (856هـ/1453م)، وكان هناك خوف واسع النطاق، وخشيت العديد من الممالك المسيحية من احتمال حدوث غزو عثماني، وأدى سقوط القسطنطينية إلى تغيير الوضع القائم في البحر المتوسط، وأصبحت الخشية من أن تكون إيطاليا هي الهدف التالي للعثمانيين الذين قد يتجه تركيزهم بعد سيطرتهم على القسطنطينية للتوسع نحو الغرب والشرق، كان لسقوط القسطنطينية تأثير عميق على اثنتين من أبرز دول المدن الإيطالية، البندقية وجنوه، وكلاهما قوى تجارية وبحرية كبيرة، وأدى سقوط القسطنطينية إلى انهيار تأثير جنوه في شرق البحر الأبيض المتوسط، وفقدان الحليف الرئيسي للمدينة، كما أدى فقدان تجارة القسطنطينية إلى انخفاض في ثروات المدينة الاقتصادية، وفي الواقع شهدت المدينة انهياراً كبيراً وكانت في حالة من الفوضى حيث أصبحت العائلات الأرستقراطية المتنافسة تكافح من أجل السيطرة على الولايات، واستمر الوضع مأساوياً حتى أوائل القرن السادس عشر[4].

---

(1) Finlay, A History of Greece, Pp. 520-522-523.

عنان، مواقف حاسمة، ص 193.

(2) Finlay, A History of Greece, p. 522. / Runciman, The Fall of Constantinople, p. 158.

(3) Geanakoplos, D. J. Byzantine East and Latin West: Two worlds of Christendom in Middle Ages and Renaissance Harper & Row Publishers, New York, 1966, p. 117

(4) Pullan, Brian. History of Early Renaissance Italy: from mid-thirteenth to the mid-fifteenth century, London: Lane, 1973, p. 117

اضطرت البندقية بعد سقوط القسطنطينية إلى الدفاع عن حيازتها لجزيرة كريت وسالونيك، في وقت عطل فيه العثمانيون تجارتها، حيث دخلت في صراع مرير مع العثمانيين في شرق البحر المتوسط والبلقان.

الخاتمة

على الرغم من أن الإمبراطورية البيزنطية استمرت لأكثر من ألف عام، إلا أنها كانت مليئة بالأزمات منذ البداية تقريباً فقد واجه القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية (القسطنطينية) مجموعة من الأعداء تسبب في ضعفها، إلا أنه يمكن القول إن الصراعات الداخلية هي التي أدت إلى زوالها فقد حاول الأباطرة مثل جستنيان الأول توسيع الإمبراطورية، ولكن طوال تاريخها نشأت مجموعة من المشاكل ساهمت في سقوطها بحيث لم تتسبب قضية واحدة في نهاية الإمبراطورية البيزنطية.

لقد كانت تمتلك تاريخاً عظيماً من خلال اقتصادها وجيشها ووحدتها وقدرتها على الاستفادة من لحظات ضعف المنافسين والجيران، وبمرور الوقت قد تضاءل اقتصادها وقوتها العسكرية، ومعها تضاءلت قدرة الإمبراطورية على اغتنام الفرص، أضف إلى الاضطرابات المدنية والكوارث الطبيعية والأعداء الأقوياء مثل العرب والأتراك السلاجقة والبلغار والنورمان والسلاف والأتراك العثمانيين، والتي ساهمت مجتمعة في انهيار الإمبراطورية البيزنطية في النهاية.

يمكن القول أن معركة ملاذكرد عام 1071م هي المعركة الأكثر حسماً في التاريخ البيزنطي ونظر العديد من المؤرخين إلى أنها كانت بداية النهاية للإمبراطورية مع حلول عام 1070م، حل السلاجقة الأتراك محل العرب كتهديد مسلم رئيسي، ومع ذلك فقد كانا أحد الأعداء العديدين الذين كان على البيزنطيين التعامل معهم في القرن الحادي عشر الميلادي، حيث كان التهديد البلغاري والنورماندي، لكن التهديد الإضافي للأتراك السلاجقة كان على ما يبدو ذو تأثير كبير وخطير فقد كان الأتراك من البدو الرحل السالفين الذين اعتنقوا الإسلام وبدأوا حقبة جديدة من الفتوحات باسم دينهم، بينما كان النورمانديون يغزون إيطاليا، وضع الأتراك أنظارهم على آسيا الصغرى، وتسببت هزيمة البيزنطيين في معركة ملاذكرد إلى كارثة للبيزنطيين حيث قتل الآلاف، وتعلموا أن المرتزقة لا يمكن الاعتماد عليهم حيث فرَّ العديد منهم من المعركة.

بالإضافة إلى إضعاف الجيش البيزنطي بشدة، سمح الانتصار للأتراك في ملاذكرد بالاستيلاء على الأناضول، والذي كان يعدّ قلب الإمبراطورية لأنه كان موطناً لغالبية المزارعين والجنود، وبالتالي تدمير نظام الثيمات، والذي يعد العامل الرئيسي في انتصارات بيزنطة العسكرية

ما بين القرنين الثامن– الحادي عشر للميلاد، ومن أهم مميزات نظام الثيمات العسكري هو أنه أمد الإمبراطورية بالتفوق العددي، ومكن الإمبراطورية من حشد عدد كبير من الجنود بأقل قدر من النفقات، وقد أدى إلغاء هذا النظام إلى ارتفاع ميزانية الانفاق على الجيش بشكل ضخم، وبالتالي أثرَّ على دخل الدولة، ودفع الأباطرة إلى تخفيض عدد الجيش، الذي زود الإمبراطورية بمعظم رجالها، مما يعني أن البيزنطيين اضطروا إلى اللجوء للغرب للحصول على المساعدة العسكرية، كما دفعها للاعتماد بشكل كبير على المرتزقة الأجانب.

ومع ذلك لم تكن معركة ملاذكرد وحدها مسؤولة عن انهيار الإمبراطورية البيزنطية فإنه خلال القرن الثاني عشر للميلاد، تم استرداد جزء كبير من الأناضول، ولكن توقف التعافي بشكل كبير في معركة ميريوكيفالون في عام 1176م، حيث تعرض البيزنطيون لهزيمة من قبل السلاجقة الأتراك وعانوا من خسائر فادحة كان هذا هو الجهد الأخير لاستعادة المناطق الداخلية من الأناضول، ومن الناحية الاستراتيجية كانت معركة ميريوكيفالون Myriokephalon بنفس أهمية معركة Manzikert تقريباً.

بعد معركة ملاذكرد عام 1071م، كان جيش الإمبراطورية البيزنطية في حالة مروعة، وكانت أوروبا الغربية تعدّ الإمبراطورية البيزنطية هي الحصن المنيع الوحيد الذي يمنع المسلمين من غزو القارة لذلك دعا البابا إنوسنت الثالث إلى شن الحملة الصليبية الرابعة عام 1198 لاستعادة السيطرة على الأراضي المقدسة إلا أن الحملة غيرت طريقها واستولت على القسطنطينية عام 1204م، ونهبت معظم الثروة التي جمعتها الإمبراطورية في تاريخها.

بعد سقوط القسطنطينية سنة 1204 م، أسس البيزنطيون دولة جديدة في المنفى تعرف باسم إمبراطورية نيقية البيزنطية، وقد حافظ أباطرة تلك الدولة على بعض المظاهر العسكرية التي كانت موجودة في عهد أسرة آل كومين، وخاضوا حروب كثيرة ضد الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية انتهت تلك الحروب لصالح إمبراطورية نيقية وتكللت بدخول الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوج القسطنطينية سنة 1261 م، وعلى الرغم من استعادة البيزنطيون للقسطنطينية إلا أن ضعف الدولة، وكثرة الحروب التي خاضتها كان العامل الأبرز في إنهاك الإمبراطورية، فلم تقم لبيزنطة قائمة بعدها خصوصاً بعد ضياع الكثير من الأقاليم الغنية بالموارد والثروات

ومصادر إمدادها بالمجندين، وكانت الإمبراطورية البيزنطية قد انتهت عملياً؛ كل ما تبقى كان دمار وأجزاء من أراضي الإمبراطورية المنقسمة،

كانت الإمبراطورية مزدهرة تحت حكم جستنيان الأول عندما قضى وباء رهيب عام 540م على نسبة كبيرة من سكانها أثرَّ على الجيش وأضعفه كما أدت الحرب التي استمرت 25 عاماً مع الفرس إلى إضعاف جيشها وأدى ذلك خلال القرن السابع الميلادي إلى فقدان الإمبراطورية أراضي مثل فلسطين ومصر التي كانت لها أهمية كبيرة لآنها كانت تزود الإمبراطورية بنسبة كبيرة من سلعها ومواردها الطبيعية.

كانت الإمبراطورية البيزنطية أيضاً قد مهدت لسقوطها نتيجة الاقتتال الداخلي الذي حدث غالباً في أوقات احتاجت الإمبراطورية إلى إنشاء جبهة موحدة حدث هذا الصراع الداخلي خلال الغزوات العربية منذ القرن السابع الميلادي، والغزو التركي في القرن الحادي عشر الميلادي، وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين عندما حارب الأجداد الأحفاد! بدلاً من الوقوف معا ضد عدو مشترك، كما تنازع النبلاء على السلطة والأرض.

فبعد الغزوات العربية كانت هناك حقبة من الاستقرار في القرن الثامن الميلادي لكن للأسف أقدمَ النبلاء الجشعين على استغلال الفلاحين الأحرار الذين كانت الحكومة قد اعتمدت عليهم في جمع الضرائب والجنود، لكن النبلاء تسببوا في مشاكل من خلال الاستيلاء على الأراضي وتحويل الفلاحين إلى أقنان، وبالتالي انحطاط الفلاحين الأحرار، ومعه قوة نظام الثيمات لأنه لم يعد يزود الجيش بالرجال بالأعداد التي كان يفعلها سالفاً، وبالتالي زادت الدولة الضرائب على الفلاحين لأنها كانت بحاجة إلى دفع أجور المرتزقة الأجانب وأضعفت هذه الحلقة المفرغة الإمبراطورية بشكل كبير حيث وصلت إلى النقطة التي لم يعد بإمكانها تحمل تكاليف البحرية وإنما اعتمدت على مساعدة أساطيل البندقية مقابل إعفائهم من 10٪ من الرسوم الجمركية المفروضة على البضائع المستوردة من قبلهم مما قلل من دخل الحكومة من التجارة! كل ما سلف أدى إلى ضعف الجيش مما ضمن للإمبراطورية الدخول في دوامة ضعف دائم.

في أوائل العصور الوسطى تباهت الإمبراطورية البيزنطية بتكنولوجيا عسكرية متفوقة مقارنة بأوروبا الغربية وامتلكت جيشاً ثابتاً هائلاً وفقاً لمعايير ذلك الوقت نظراً لأنها كانت إمبراطورية

ثرية بشكل لا يصدق، فقد كان بإمكانها توظيف المرتزقة في أوقات الحاجة في المراحل اللاحقة من الإمبراطورية كان أعداؤها قد استوعبوا التكنولوجيا وتضاءل حجم الجيش البيزنطي، وكان نظام الثيمات هو الأسلوب الأساسي للإمبراطورية في تجنيد الجيش حيث تم تقسيم الإمبراطورية إلى عدة مناطق، قدم كل ثيم لجيش الإمبراطورية عدداً معيناً من الجنود كانت طريقة قليلة التكلفة، وفعالة لبناء جيش وسمحت للإمبراطورية بتكوين قوة هائلة مقارنة بأعدائها، ولكن بعد انهيار نظام الثيمات لم تعد الإمبراطورية قادرة على تحمل تكاليف المرتزقة المرتفعة، وبعد تعرضها للنهب في عام 1204 من قبل الحملة الصليبية الرابعة، وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها سلالة باليولوج، كانت الإمبراطورية البيزنطية محكوم عليها بالفشل، وكانت مجرد مسألة وقت لتنهار.

استعاد ميخائيل الثامن القسطنطينية وتوج إمبراطوراً عام 1259م إلا أنه لم يكن يحظى بتقدير كبير لدى الشعب البيزنطي، على الرغم من كونه حاكماً بارعاً؛ ربما نتيجة محاولته توحيد الكنائس الأرثوذكسية واللاتينية الأمر الذي جعل منه شخصية لا تحظى بشعبية على الرغم من تمكنه من إنهاء الإمبراطورية اللاتينية، وكان موته عام 1282م آخر أمل عابر للإحياء.

نهضت الإمبراطورية العثمانية في عام 1299م مع سقوط الأتراك السلاجقة ووضعت أنظارها على الأراضي البيزنطية، وكانت الإمبراطورية البيزنطية في حالة فوضى تامة وألحقت بها حرب أهلية بين عامي 1321م و1328م أضراراً بالغة حيث تمكن الأتراك الصاعدون من تحقيق مكاسب في الأناضول بعد حصار نيقية والاستيلاء عليها دون قتال عام (1328–1331)، واحتفظ البيزنطيون بالقليل من آسيا الصغرى وكانت إمبراطورية بالاسم فقط هزت حرب أهلية أخرى (1341–1347) البيزنطيين وسمحت للصرب بتحقيق مكاسب في مقدونيا وإبيروس وتيساليا تبع الموت الأسود الحرب الأهلية ودمر القسطنطينية تماماً كما حدث في العديد من المدن في أوروبا.

وبحلول نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، كان البيزنطيون أصبحوا أتباع للأتراك العثمانيين الذين حاصروا القسطنطينية، وجعلوا الاستيلاء عليها أولويتهم الأولى، وبدأ حصار القسطنطينية الأول عام 1397م إلا أنها نجت من هذا الحصار عام 1402م بعد أن تعرض الأتراك لهزيمة ثقيلة أمام جيش من المغول والتتار في معركة أنقرة، وكان قد سعى مانويل الثاني

باليولوج للحصول على دعم من دول في أوروبا الغربية لكنه لم يتلق إلا بعض التعاطف، وقاد السلطان العثماني مراد الثاني حصاراً ثانياً للقسطنطينية عام 1442م، لكنه سرعان ما رُفع بعد مقاومة شرسة من قبل المدافعين عن المدينة، وفي عام 1453م قرر السلطان محمد الثاني إنهاء "الإمبراطورية" البيزنطية مرة واحدة وإلى الأبد في هذه الحقبة كانت الإمبراطورية تتكون من مقاطعة المورا، والقسطنطينية فقط قاتل الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر، وما يقرب من 8000 رجل دافعوا عن المدينة بشجاعة لصد الهجوم العثماني، ولكن في 29 أيار 1453م، سقطت القسطنطينية.

ملاحق

1. الخرائط والصور:

خريطة لجنوب البلقان وغرب الأناضول عام 1410. تتميز الأراضي العثمانية والتركية بظلال من اللون البني، والأراضي البيزنطية باللون الوردي، والمناطق تحت تأثير البنادقة باللون الأخضر.

Necipoglu, Nevra. Byzantium Between The Ottomans and the latins, p.3.

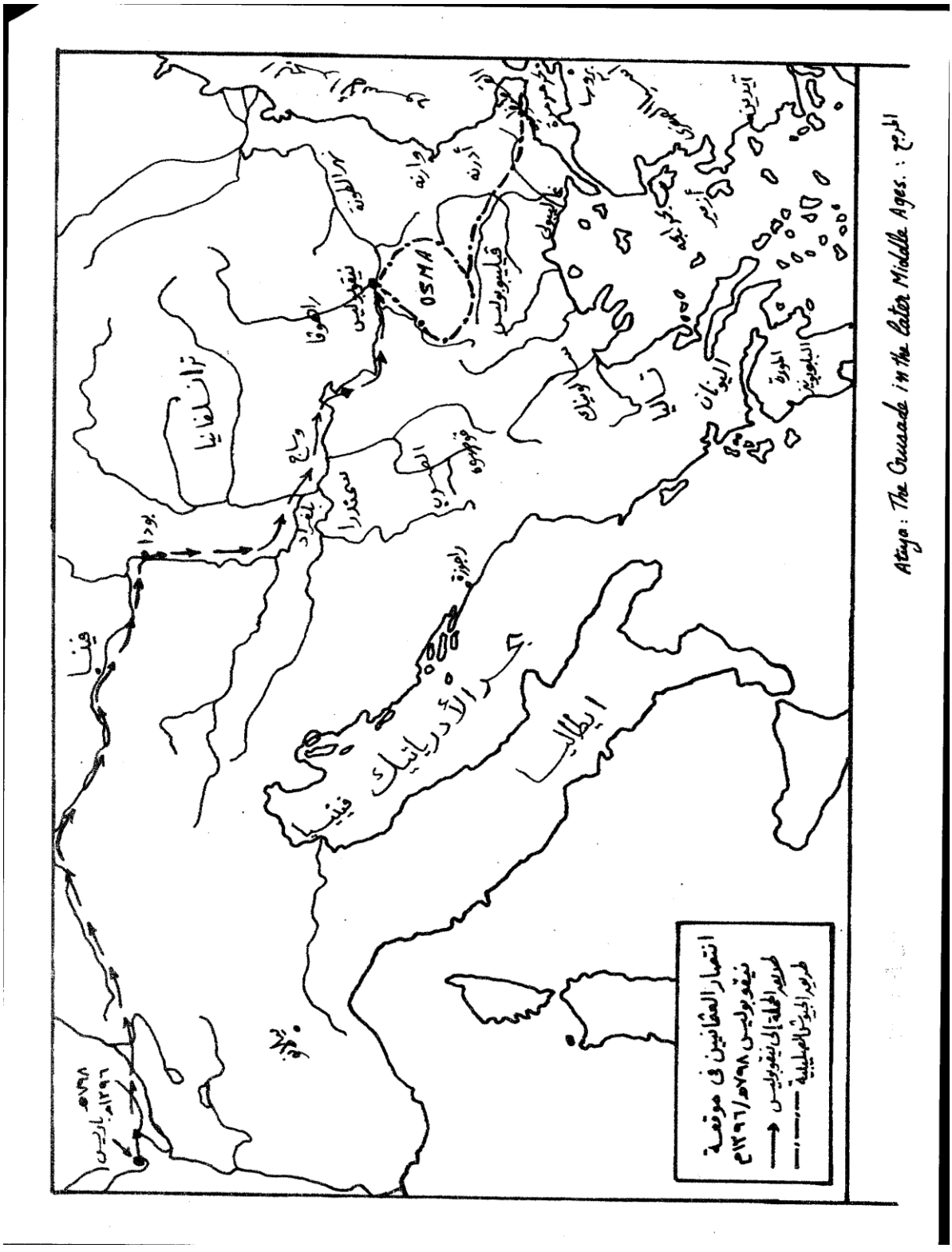

شعوط، المعتصم بالله إبراهيم، جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين حتى فتح القسطنطينية 755-857ه/ 1354-1453م، جامعة الملك فهد الوطنية، السعودية، 1980م، ص75.

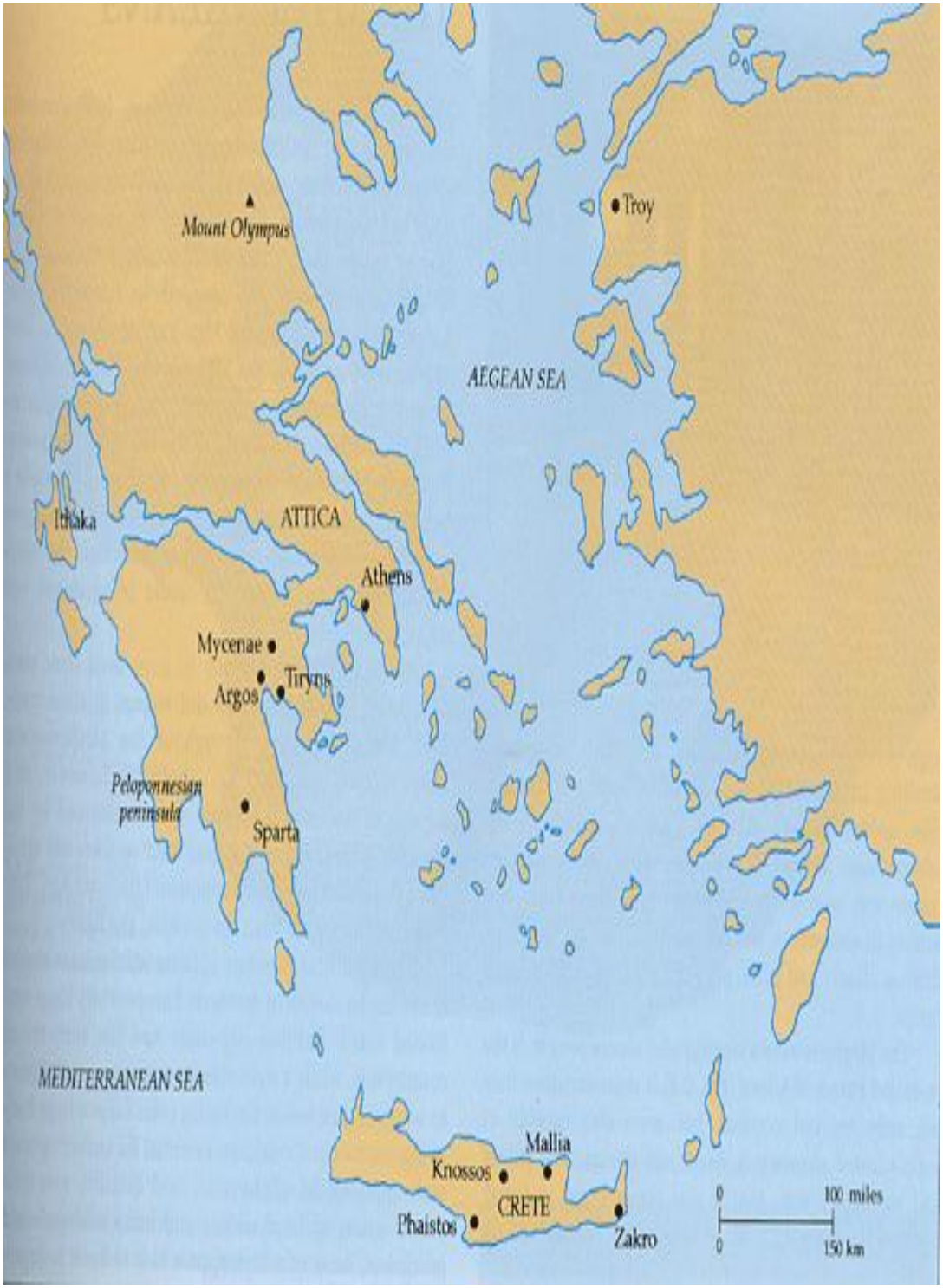

خريطة منطقة بحر إيجة

GILL : Greek identity before the Ottomans, Cambridge University PRESS, 2008, p. 284.

أسوار مدينة القسطنطينية أثناء الحصار

Mark Cartwright:1453: The Fall of Constantinople, 2018.

2.قائمة بأسماء الأباطرة البيزنطيين والسلاطين العثمانيين وبطاركة القسطنطينية وبابوات روما بين عامي 1261-1453م:

أ. قائمة بأسماء الأباطرة البيزنطيين بين عامي659هـ-856/1261هـ-1453م:

1- ميخائيل الثامن باليولوج: 1 كانون الثاني 1259–11 كانون الأول 1282م.

2- أندرونيكوس الثاني باليولوج: 11كانون الأول 1282–24 أيار1328م.

3- أندرونيكوس الثالث باليولوج: 24 أيار 1328–15 حزيران 1341م.

4- يوحنا الخامس باليولوج: 15 حزيران 1341–12 آب 1376م.

5- يوحنا السادس كانتاكوزين: 8 شباط 1347–4 كانون الأول 1354م.

6- أندرونيكوس الرابع باليولوج: 12 آب 1376–1 تموز 1379م.

7- يوحنا الخامس باليولوج: 1 تموز 1379–14 نيسان 1390م.

8- يوحنا السابع باليولوج: 14 نيسان 1390–17 أيلول 1390م.

9- يوحنا الخامس باليولوج: 17 أيلول 1390– 16 شباط 1391م.

10- مانويل الثاني باليولوج: 16 شباط 1391–21 تموز 1425م.

11- يوحنا الثامن باليولوج: تموز 1425–31 تشرين الأول 1448م.

12- قسطنطين الحادي عشر: 6 كانون الثاني 1449–29 أيار 1453م.

ب. قائمة بأسماء السلاطين العثمانيين بين عام 1261-1453م:

1- عثمان الأول: 1299م- 1326م.

2- أورخان: 1326م- 1362م.

3- مراد الأول: 1362م- 1389م.

4- بايزيد الأول : 1389-1402م.

5- حقبة النزاع على العرش 1402-1413م.

6- محمد الأول 1413-1421م.

7- مراد الثاني 1421-1444م.

8- محمد الثاني: 1444-1446.

9- مراد الثاني: 1446-1451م.

10- محمد الثاني: 1451-1481م.

ج. قائمة بأسماء بطاركة القسطنطينية بين عامي 1403-1453م:

1. ماثيو الأول: 1397-1410م

2. اوثيميوس الثاني:1410-1416م

3. جوزيف الثاني:1416-1439م

4. متروفانس الثاني:1440-1443م

5. غريغوريوس ماماس الثالث:1443-1450م

6. أثناسيوس الثاني:1450-1453م

د. قائمة بأسماء باباوات روما بين عامي 1403-1453م:

1- بونيفاس التاسع 1389-1404
2- إينوسنت السابع 1404-1406
3- غريغوري الثاني عشر 1406-1415
4- شغور الكرسي البابوي 1415-1417
5- مارتن الخامس 1417-1431
6- إيجين الرابع 1431-1447
7- نقولا الخامس 1447-1455

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ. قائمة المصادر الأجنبية:

1- Anagnostes, Thessalonicensi: John Anagnostes, De Extremo Thessalonicensi Excidio Narratio, CSH, ed, Boon, 1838.
2- Babinger ,Franz: Mehame'd the Conqueror and his Time, Translated from German by Ralph Manheim, London, 1978.
3- Cananus, John, De Constantinople Anno 1422 Oppugnata Narratio, CSH, ed. Boon, 1838.
4- Demetrios Kydonies, Letters, ed. R.J. Loeneriz,VoI. I Vatican City, 1956.
5- Doukas, Michael, Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks. Trans. by, Magoulias, H, Detroit, 1975.
6- Kritovoulos. History of Mehmed the Conqueror. Trans. Charles T. Riggs, University Press, 1954.
7- Melville Jones, J R. The siege of Constantinople 1453 seven contemporary accoun, Amsterdam, 1972.
8- Michałowicz, Konstanty. Memoirs of ajanissary,trans Benjamin stolz (ann arbor) university of Michigan, 1975.
9- Sphrantzes, G, The Fall of Byzantine Empire, A chronicle by George Sphrantzes (1401-1477) Trans. by, M, Philippides, Amherest, 1980.
10- Syropoulos, Sylvester. Les "M´emoires" du Grand Eccl´esiarque de l'E´glise de Constantinople sur le concile de Florence (1438–1439), ed. and trans. V. Laurent (Paris, 1971).
11- Tursun Bey. The History of Mehmed the Conqueror (Minneapolis and Chicago, 1978.

ب. المصادر العربية:

1- ابن الصيرفي،(ت:900هـ/ 1497م)، علي بن داود، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تح: حسن حبشي، القاهرة، ج1، عام 1970م.

2- ابن اياس،(ت: 930 هـ/ 1523م)، محمد أحمد بن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، عام1984م.

3- ابن بطوطة،(ت: 779هـ/1377م)، شمس الدين أبو عبد الله بن محمد اللوتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: علي المنتصر، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط 4 عام1985م.

4- ابن حجر العسقلاني،(ت: 852هـ/1449م)، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي، أنباء الغمر بأنباء العمر، تح: حسن حبشي، ج3،القاهرة، عام 1972م.

5- ابن سباط الغربي،(ت:692هـ/1522م)، حمزة بن أحمد، صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، ج2، تح: عمر عبد السلام تدمري، لبنان، عام1993م.

6- ابن عربشاه،(ت:854هـ/1450م)، أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي، عجائب المقدور في نوائب تيمور، تح: أحمد فايز الحمصي، بيروت، عام 1986م.

7- الإدريسي،(ت: 560هـ/1166م)، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، ج2،عام 2002م.

8- بردي، ابن تغري،(ت: 874هـ/1469م)، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ.12، تح: جمال الدين الشيال، القاهرة، عام 1972م.

9- حليم بك، إبراهيم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت ، عام 1988م.

10- الحنبلي، (ت:1089هـ/1686م)، أبي الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، ج7، عام 1931م.

11- خوجه، حسن،(ت:1145هـ/ 1732م)، آل عثمان، حسن خوجه بن علي بن سليمان الحنفي، بشائر أهل الإيمان بفتوح آل عثمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 13486.
12- الراوندي،(ت:643هـ/ 1245م)، محمد بن علي بن سليمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، تر: إبراهيم الشورابي، القاهرة، عام1960م.
13- السخاوي،(ت:902هـ/1497م)، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج10، بيروت، دار الجيل، عام1992م.
14- العصامي،(ت :1111هـ/ 1699م)، عبد الملك بن حسين المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأواخر والتوالي، ج4، القاهرة، عام 1973م.
15- العيني،(ت:855هـ/1451م)، بدر الدين أبو محمد بن أحمد بن موسى، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد "الشيخ المحمودي"، تح: فهيم محمد شلتوت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، عام 2003م.
16- فريدون بك،(ت:991هـ/1583م)، أحمد بن عبد الله فريدون باشا التوقيعي، مجموعة منشآت السلاطين، مكتبة السليمانية، استانبول، مج1، رقم: 3269.
17- القرماني،(ت: 1019هـ/ 1610)، أبي العباس أحمد بن يوسف الدمشقي، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بغداد، 1282.
18- القلقشندي،(ت:821هـ/1418م)، شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج14، عام1923م.
19- المقدسي،(ت:380هـ/991م)، شمس الدين أبي عبد الله، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: شاكر لعيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2003 م.
20- المقريزي،(ت: 845 هـ/ 1442م)، تقي الدين أحمد بن على المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2/4، تح: سعيد عبدالفتاح عاشور ، الطبعة الثانية ، 2007 م.

ج. المصادر الأجنبية المعربة:

1- باربارو، نيقولو،(ت:899هـ/1494م)، الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني 1453م، تر: حاتم عبد الرحمن الطحاوي، ط1، القاهرة، عام 2002م.

2- طافور، بيدرو، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، تر: حسن حبشي، القاهرة، ط1، مج1، عام 2002 م.

د. قائمة المراجع الأجنبية:

1- Angold, M. "The decline of Byzantium seen through the eyes of western travellers," in Travel in the Byzantine World, ed. R. Macrides (Aldershot, 2002).

2- Antoniadis-Bibicou, H. Recherches sur les douanes `a Byzance (Paris, 1963).

3- Atiya, A, The Crusades in The Later Middle Ages, London, 1938.

4- Badoer, Indici Il libro dei conti di Giacomo Badoer (Costantinopoli 1436–1440). a cura di Bertelè, Giovanni, Published Padova ,Esedra, 2002.

5- Barker, J. W. Manuel II Palaeologus 1391- 1425, A study in later Byzantine statesmanship, Rutgers University Press, 1st Edition, 1969.

6- Barraclough ,Geoffrey: The Madival Papacy, London, 1966.

7- Bartusis, M. C, The Late Byzantine Army: Arms and Society, 1204–1453 (Philadelphia, 1992).

8- Bendall, S. "A coin of Constantine XI," The Numismatic Circular (1974).

9- Brehier, Louis. Attempts at Reunion of The Greek and Latin Churches, CMH(1), IV, 1927.

10- Vie Et mort de Byzance, Bibliothèque de synthèse historique, tome 32. Paris,1947.

11- Broquere. Bertrandon. de la. Le voyage d Outremer de Bertrandon de la Broqui`ere, ed. Ch. Schefer (Paris, 1892.

12- Browning, Robert. The Byzantine Empire, New York, 1980.

13- Byzantium between the Ottomans and the Latins, Politics and Society in the Late Empire. Cambridge University Press, 2009

14- Castellan (George). History of the Balkans From Mohammed the Conqueror to Stalin Hardcover, Translator, Nicholas Bradley, New York, 1992.

15- Chrysostomides, J. Documents for the History of the Peloponnese in the 14th and 15th Centuries, (ed.) Monumenta Peloponnesiaca (Camberley, 1995).

16- Clavijo, Embassy to Tamerlane 1403–1406 , ed. F. Lopez (Madrid,1999).

17- Creasy, Edward: History of The Ottoman Turks, Beirut, 1961.

18- Creighton, Mandell, A History of The Papacy, New York, 1897.

19- Darko, Eugenius, Laonici Chalcocandylae Historiarum Demonstrationes, 2 vols. (Budapest, 1922–1927).

20- Dennis, G. "Four Unknown Letters of Manuel II Palaeologus, Byzantion, (1966).

21- The Byzantine Turkish Treaty of 1403, Pont. Institutum Orientalium Studiorum, 1967.

22- Marinescu, C. Contribution `a l'histoire des relations ´economiques entre l'Empire byzantin, la Sicile et le royaume de Naples de 1419 `a 1453, Studi bizantini e neoellenici 5 (1939).

23- Venetian commercial privileges under the Palaeologi, (1970)

24- Diehl, Charles: Byzantium, Greatness and Decline, New Brunswik, 1957.

25- Filelfo, F. Odes. Edited and translated by Diana Robin Harvard University Press,2009.

26- Finlay, George: A History of Greece, Vole III, Oxford, 1877.

27- Franc`es ,E. "Constantinople byzantine aux XIVe et XVe si`ecles. Population, commerce,m´etiers,"RESEE 7/2 (1969).

28- Frucht, Richard . Eastern Europe: An Introduction to the People, Lands, and Culture. ABC-CLIO.(2004).

29- Geanakoplos, D. J. Byzantium, Church, Society and Civilization Seen through Contemporary Eyes, London, 1984.

30- Byzantine East and Latin West: Two worlds of Christendom in Middle Ages and Renaissance Harper & Row Publishers, New York, 1966.

31- Gibbon, Edward . The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, Vole III , London, 1869

32- Gibbons, Herbert. The Foundation of Ottoman Empire1300-1403, London, 1968.

33- Gill, Joseph . The Council of Florence, Cambridge, 1959.

34- Concilium Florentinum", OCP, 43, 1977.

35- Greeks and Latins in A Common Council, The Council of Florence (1438-1439)", OCP, 25, 3-4, 1959.

36- The Second Encounter with The West, A. D. 1204- 1453, in Philip Whitting, Byzantium, Oxford, 1971.

37- Haldon, John, A History of Byzantium Tempus Publishing Ltd, 3rd edition, 2005.

38- Halecki, Oskar. The Crusade of Varna, A Discussion of Controversial Problems , New York, 1943.

39- Hammer, Joseph. Histoire de L'Empire Ottoman, Paris, 1830.

40- Hayes, Carlton. History of Europe, to 1648, New York, Vol I, 1958.

41- Hefele, Ch. Histoire des Counciles, Paris, VII, 1916.

42- Hofmann, G. Letter to the Pontifical Council of Florence looking, Vol. iii (Rome, 1946)

43- Housley, Norman: The Later Crusades (1274- 1580), Oxford, 1992.

44- Imber, Colin. The Ottoman Empire 1300 – 1481, Istanbul, 1990.

45- Inalcık, H. An Economic and Social History of the Ottoman Empire, 1300–1914, ed. Quataert (Cambridge, 1994).

46- The Classical Age 1300-1600, The Ottoman Empire, Phoenix Press, 2000.

47- Kapsalis, Athanasius. Matthew I, Patriarch of Constantinople (1397 - 1410), his life, his patriarchal acts, his written works, (Thesis Masters). Durham University, (1994).

48- Kate, Fleet, European and Islamic Trade in the Early Ottoman State. The Merchants of Genoa and Turkey (Cambridge, 1999)

49- Kazhdan, A. The Oxford Dictionary of Byzantium, . ed., 3 vols. (New York and Oxford, 1991)

50- Kinross, Lord: The Ottoman Centuries, The Rise and Fall of The Turkish Empire, London, 1977.

51- Laiou, A. E. The Economic History of Byzantium from the Seventh through the Fifteenth Century, Volume 1, Washington, DC, 2002.

52- Lazaris, Stavros, "L'empereur Jean VIII Paléologue concile de Ferrare – Florence", Byzantinische Forschungen, 2007.

53- Leonte, Florin. Rhetoric in Purple: the Renewal of Imperial Ideology in the Texts of Emperor Manuel II Palaiologos, (PhD thesis). Central European University, Budapest, Hungary, 2012.

54- Menzies, Sutherland: History of The Ottoman Empire In Europe, London, 1877.

55- Miller, W: The Latins in the Levant, a History of Frankish Greece (1204–1566). New York: E.P. Dutton and Company, 1908.

56- The Balkans States", The Turkish Conquest 1355- 1483",in, Cambridge Medieval History, 1927.

57- Nicol, D. M. The Immortal Emperor, The Life and Legend of Constantine Palaiologos, Last Emperor of the Romans (Cambridge, 1992.

58- The Last Centuries of Byzantium, 1261–1453, Cambridge University, 1993.

59- Byzantium and Venice, A Study in Diplomatic and Cultural Relations (Cambridge,1988).

60- A biographical dictionary of The Byzantine Empire, London, 1991.

61- A Byzantine Emperor in England (Manuel II's Visit to London in 1400- 1401) in, Nicol, Byzantium: its Ecclesiastical History and Relations with The Western World, London, 1972.

62- The Byzantine Family of Kantakozenos, Cantacuzenus 1100- 1460, Harvard University, 1968.

63- The End of The Byzantine Empire, London, 1979.

64- Necipoglu, N. Byzantines and Italians in fifteenth-century Constantinople, commercial cooperation and conflict ” 1995.

65- Oman, Charles. A History of The Art of War in The Middle Ages, 1278-1485, Vol. 2, London. 1999.

66- Ostrogorsky, George. History of Byzantine State, Eng. Trans, J. Hussey, Oxford, 1955.

67- Painter, Sidney. A History of The Middle Ages 284- 1500, New York, 1954.

68- Pears, Edwin. The Ottoman Turks to The Fall of Constantinople", CMH(2), 4, 1927.

69- Pitcher, Donald Edgar. An Historical geography of The Ottoman Empire from earliest Times to The End of The Sixteenth Century, Leiden, 1972.

70- Plested, Marcus. Orthodox Readings of Aquinas, Oxford University Press, 2012.

71- Plethon, George Gemistos. the Last of the Hellenes, by CM Woodhouse, Clarendon Press, Oxford, 1986.

72- Runciman, Steven. The Fall of Constantinople 1453, Cambridge, 1965.

73- Schreiner, P. “Venezianer und Genuesen w¨ahrend der ersten H¨alfte des 15. Jahrhunderts in Konstantinopel (1432–1434),” Stven (1970).

74- Shaw, Stanford. History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Vol. I, (1280- 1808) Cambridge, 1976.

75- Sinor, Denis: History of Hungary, New York, 1959.

76- Spandounes, Theodore. On the Origins of the Ottoman Emperors, Cambridge University Press, 1997.

77- Stanley, Lane- Poole, Turkey, London, 1908.

78- Stephenson, Carl. Mediaeval History, New York, 1943.

79- Thompson (J.W), The Mediaeval Ages 300–1500, Vo1. 2, London, 1931.

80- Treadgold (W): History of the Byzantine State and Society, Stanford, press, 1997.

81- Vambery, Arminius: Hungary in Ancient Medieval and Modern Times, London, 1887.

82- Vasiliev, A. "Pero Tafur, a Spanish traveler of the fifteenth century and his visit to Constantinople, Trebizond, and Italy, (1932).

83- Vasiliev, Alexander, History of Byzantine Empire, Vol. 2, Madison, 1971.

84- Vaughan, Dorothy: Europe and The Turk, A Battern of Alliances 1350- 1700, 1954.

85- Wirth, Peter. Zum Geschichtsbild Kaiser Johannes' VII. Palalologos. Byzantion, Published By: Peeters Publishers, Vol. 35, (1965).

د. المراجع المعربة:

1. أبو النصر، محمد عبد العظيم، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ط1، عين للدراسات، مصر، عام 2001م.
2. أحمد، محمد، تاريخ الحضارة البيزنطية الاجتماعي والثقافي والفني، تح: سهيل زكار، دار التكوين، سوريا، عام 2010م.
3. اسطيفان، نجيب، صراعات الكنيسة وسقوط القسطنطينية، ط1، دار التكوين، دمشق سوريا، عام 2011م.
4. اسماعيل، أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، الرياض، السعودية، مكتبة العبيكان، عام 1996م
5. أنيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، عام1981م.
1. أومان، شارل، الإمبراطورية البيزنطية، تر: مصطفى طه بدر، القاهرة، عام 1953م.
2. اينالجيك، خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد الأرناؤوط، بني غازي، عام 2002م.

6. برجاوي، سعيد أحمد، الإمبراطورية العثمانية، تاريخها السياسي والعسكري، بيروت، عام 1993م.
3. بروكلمان، كارل، الأتراك العثمانيون وحضارتهم، تر: نبيه أمين فارس– منير البعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، عام 1949م.
4. بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط11، تر: نبيه أمين فارس– منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، عام 1988م.
5. بينز، نورمان، الإمبراطورية البيزنطية، تر: حسين مؤنس، القاهرة، عام 1950م.
7. بيهم، محمد جميل، فلسفة التاريخ العثماني، دار صادر للطباعة، عام 1925م.
6. تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد رضا محمد رضا، الهيئة العامةج2، القاهرة، عام 1991م.
7. تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد رضا محمد رضا، الهيئة العامةج3، القاهرة، عام 1994م.
8. تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مج1، مؤسسة فيصل، استانبول، 1988م.
9. تاريخ أوربا العصور الوسطى، تر: محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ط2، 1957م.
8. الترمانيني، عبد السلام، التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، دار طلاس، دمشق، ج4،1997م.
9. توفيق، عمر كمال: تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعارف، عام 1967م.
10. جوكتشه، حسين، السلاطين الأوائل عصر تأسيس الدولة العثمانية، تر: سمير زهران، ط1، دار النيل للطباعة والنشر، عام 2016م.
11. الحضارة البيزنطية، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، عام 1997م.
10. الحويري، محمود محمد: تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، عام 2002م.
12. ديل، شارل: البندقية جمهورية أرستقراطية، تر: أحمد عزت عبد الكريم– توفيق اسكندر، دار المعارف، القاهرة، عام 1947م.

11. رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون 1516–1916م، دمشق، 1974م.
12. رستم، أسد، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم، بيروت – لبنان، منشورات المكتبة البوليسية، ج2، ط،2، عام 1988م.
13. رسل، برتراند، الفلسفة الغربية، الفلسفة الكاثوليكية، تر: زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، عام 1968م،جـ2.
14. رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، عام 1980م،جـ3.
13. زكي، نعيم، طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة العامة، القاهرة، عام 1973م.
14. الزيدي، مصعب حمادي نجم، الصليبيون في بلاد الشام، ط1، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان، عام 2014م.
15. سترابون، س، الجغرافيا سبعة عشر كتاباً في جزأين، ج2 (11–17)، تر: حسان مخائيل اسحق، ط1، دار مؤسسة رسلان للطباعة، سوريا– دمشق، عام2017،جـ2.
16. سرهنك، المير ألاي اسماعيل، تاريخ الدولة العثمانية، دار الفكر الحديث، بيروت، عام 1988.
15. الشرقاوي، أحمد عبد الوهاب، جغرافية الممالك العثمانية، دار البشير للثقافة والعلوم، عام 2018م.
16. شعوط، المعتصم بالله إبراهيم، جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين حتى فتح القسطنطينية 755–857هـ/ 1354–1453م، جامعة الملك فهد الوطنية، السعودية، 1980م
17. الشناوي، عبد العزيز محمد، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، دار المعارف، عام 1969م.
18. الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، ط2، 1980م.
19. شوجر، بيتر، أوروبا العثمانية 1354–1804م في أصول الصراع العرقي في الصرب والبوسنة، تر عاصم الدسوقي، القاهرة، عام 1998م.
17. شينيه، جان ليكود، تاريخ بيزنطة، تر: جورج ريناتي، بيروت، عام 2008م.
20. الصرفي، رزق الله منقريوس، تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، 1908م،جـ3.

21. صفوت، محمد مصطفى، السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م.
22. ضبيع، صلاح، العلاقات العثمانية البيزنطية، بيروت – لبنان، دار الاجتهاد للنشر، عام 1999م.
23. طقوش، محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط2، بيروت، لبنان، دار النفائس، عام 2008م.
24. عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوربا في العصور الوسطى، ط3، الأنجلو المصرية، جـ1، عام 1978م.
25. عاقل، نبيه، الإمبراطورية البيزنطية، دمشق، عام 1969م.
26. عبد السيد، حكيم أمين، قيام دولة المماليك الثانية، دار الكاتب العربي، القاهرة، عام 1967م.
27. عبد العاطي، عبد الغني، معركة فارنا الصليبية، مجلة كلية التربية بدمياط، العدد السابع عشر، تموز، 1992م.
28. عبيد، اسحق، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس 1261–1282، مطبعة دار الكتب، بيروت، د.ت
29. عطا، زبيدة، الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، دار الفكر العربي، القاهرة، عام 1977م.
30. عطية، السيد محمد متولي، الدولة البيزنطية في عالم القرن الخامس عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المنصورة، 1998م.
31. عمران، محمود سعيد، معالم التاريخ الاسلامي الوسيط، دار النهضة العربية، عام 1998م.
32. عنان، محمد عبد الله، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط2، القاهرة، 1962م.
33. فريد، محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة، ط1، عام 1896م.
34. فياض، محمد محمد، تيمورلنك، دار المعارف، القاهرة، عام 1954م.
18. فيشر، هربرت، أصول التاريخ الأوربي الحديث، تر: زينب عصمت راشد– أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، عام 1965م.

35. قاسم، عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية (الأيديولوجية-الدوافع-النتائج)، القاهرة، 1993.
19. كانتور، نورمان ف، التاريخ الوسيط، تر: قاسم عبده قاسم، ط2، دار المعارف، عام 1986م.
36. كوبريلي، محمد فؤاد، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة، 1967م
37. الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، المؤسسة العربي للدراسات والنشر، بيروت، د.ت،جـ1.
38. لوريمر، يوحنا، تاريخ الكنيسة، الناشر المكتبة العالمية، جـ4، د. ت.
39. ليكود شينيه، جان، تاريخ بيزنطة، تر: جورج زيناتي، ط1، بيروت، عام 2008م
20. مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، جـ1، القاهرة، عام 1993م.
40. مصطفى، أحمد عبد الرحيم، في أصول التاريخ العثماني، ط1، دار الشروق، بيروت، عام 1982م.
41. معلوف، الياس، الآباء اليسوعيين من الإيمان إلى المعرفة، دار الفارابي، بيروت– لبنان، ط1، 2013م.
42. مؤنس، حسين، أحاديث منتصف الليل، القاهرة، مصر، دار الهلال، عام 1977م.

هـ. المراجع العربية:

21. هايد، ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد رضا محمد رضا، الهيئة العامةج1، القاهرة، عام 1985م.
22. هسي، ج. م، العالم البيزنطي، تر: رأفت عبد الحميد، دار المعارف، القاهرة، عام 1984م.
23. هويزنجا، يوهان، اضمحلال العصور الوسطى، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة العامة، القاهرة 1978م.
43. وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، مج1، ط3، دار المعرفة، بيروت، عام1993م.
44. يحيى، جلال، عصر النهضة والعالم الحديث، الهيئة العامة، القاهرة، 1979م.

24. يلماز، اوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، تر: عدنان محمود سلمان، مج1، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان، عام 2010م.

45. اليوسف، عبد القادر أحمد، الإمبراطورية البيزنطية، بيروت، عام 1966م.

و. الرسائل العلمية:

ضبيع، محمد، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عصر آل باليولوج 1261-1453م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، عام 1999م.

ز. المقالات:

- كربال، زكية، مجمع فيراري- فلورنسا 1438-1439م ومسألة الوحدة بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية، قضايا تاريخية، عدد 8، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، عام 2017م.

ح. المعاجم:

1- صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مطبوعات الملك فهد الوطنية، 2000م.

2- موستراس، س، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، تر: عصام الشحادات، بيروت، عام 2002م.

Brief

This message is a study of the political positions that emerged in the last century of the life of the Byzantine Empire in response to the rapid Ottoman military expansion, and in an atmosphere of political and military instability characterized by civil wars and foreign invasions, and how the reaction of people from different segments of the Byzantine society to the Ottoman threat And what kinds of solutions did the Byzantine Empire seek, and the options available to them in relation to foreign alliances؟

These problems deserve attention, as the incident of the fall of Constantinople is considered one of the most important events in the Middle Ages and modern alike. Political, religious and commercial results are very important, there are more important results, as they contributed to the development of the European Renaissance and the movement of geographical discoveries because the fall of the city and the previous Ottoman raids on Byzantium led many Greek scholars and intellectuals to flee to the West.

university of Damascus

Faculty of Arts and Humanities

Department of History

The Byzantine Empire between the years

805-856 H / 1453-1403 m

(Political study)

A research project submitted for a PhD degree in Arab and Islamic history

student preparation

Nadeem Khalil Layka

Supervisor

D.r. Ghatas Naemeh

school year

2020/2021
1440/ 1441